

(الجزء التاسع) ٣٠ رمضان سنة ١٣٢٩ (المجلد الرابع عشر)

(قيمة الاشتراك)

عن سنة ٦٠ قرشا صاغا في مصر والسودان و٣ ريالات ونصف في المملكة العثمانية و٢٠ فرنكا في الخارج و١٧ شلنا في الهند و ٨ روابل في روسيا (والدفع سلفا)

(تنبيه)

يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه من المستلم

الاشتراك في المنار يكون دائما من أول سنتها ... ومنتصفها ...

المنار

١٣١٥

(مجلة شهرية)

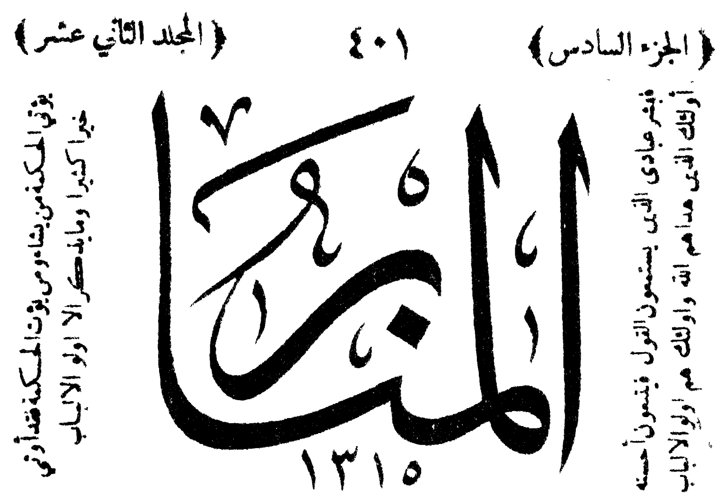
تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

(فهرس الجزء التاسع)



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر — السبت سلخ جمادى الآخرة ١٣٢٧ — ١٧ يوليو (تموز) سنة ١٢٨٥هـ ١٩٠٩م)

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٩٦ : ١٩٦) (* لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ

(١٩٧) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٨ : ١٩٧)

*) تصحيح : وقع غلط في العدد الذي وضع في الجهة اليسرى للنقطتين المركبتين وهو عدد المصحف الذي طبعه فلوجل الالماني وذلك من ابتداء آية (١٨٠ : ١٧٥ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم) فهنا تنتهي الآية في عد فلوجل ويجعل قوله تعالى (سيطوقون ما بخلوا به) ابتداء آية ١٧٦ « ف » . وكذلك قسم آية (١٨٣ : ١٧٩ الذين قالوا ان الله عهد الينا) فجعلها آيتين أول الثانية منهما (١٨٠ ف قل قد جاءكم رسل من قبلي) وكذلك قسم آية ١٩٣ : ١٩٠ ربنا اننا سمعنا منادياً » فجعلها آيتين أول الثانية منهما ١٩١ « ف » ربنا فاغفر لنا » وأيضاً جعل آية ١٩٥ : ١٩٣ فاستجاب لهم ربهم) ثلاث آيات أول الثانية منهن (١٩٤ فالذين هاجروا — وأول الثالثة ١٩٥ ثواباً من عند الله) وهنا يتفق مع عد مصاحف الآستانة ومصر وتكون آية لا يغرنك هي آية ١٩٦ في المصحف الذي يعتمد على عدده الاوربيون وهو ما وضع أرقامه عن يسار النقطتين : والمصاحف التي يعتمد على عددها المسلمون وهو ما وضع على يمينها وتكون آيات السورة في الجميع ٢٠٠

﴿ أثمان مطبوعات المنار ماعدا اجرة البريد والتجليد ﴾

مليم

١٢ تفسير القرآن الحكيم لكل من الجزء الثاني والثالث والرابع من الورق المتوسط

١٧ » » » لكل من » » » » » » الجيد

٧ التوسل والوسيلة وتفسير سورة العصر ١٥ مليما

٢٤ شرح عقيدة السفاريني جزء ٢

٢٥ أسرار البلاغة

٢٥ دلائل الاعجاز

٢٥ التربية الاستقلالية

هذه الكتب قلت نسخها ولم يبق منها الا بقية قليلة

٥ محاورات المصلح والمقلد

٤ شبهات النصارى وحجج الاسلام

٤ سجل جمعية ام القرى

٤ الدين في نظر العقل الصحيح

٣ اغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان

٠٥ قصة خديجة أم المؤمنين

١٥ العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ

وقد تم طبع الارواح النوافخ الملحق به وثمنهما معاً عشرون قرشا

٥ رسالة التوحيد طبعة ثانية

١٥ انجيل برنابا ورق متوسط ومن الورق الجيد ٢٠ قرشا

٦٠ ثمن كل سنة من المنار وثمن الثانية مئتي قرش والثالثة ١٠٠ قرش

٢٠ تاريخ الاستاذ الامام (جزء المنشآت) ورق متوسط

٢٥ » » » » جيد

١٠ » » » (جزء التأبين والمراثي) » متوسط

١٥ » » » » جيد

فيه من نعيم وتمتع كأنه يقول على المؤمن ان يجعل مرمى طرفه ذلك الثواب الذي وعدته فهو النعيم الحقيقي الباقي وهذا الذي فيه الكافرون متاع قليل فلا تطلبوه ولا تحفلوا به . يسهل بهذا على المسلمين ما كلفوه من تحمل الايذاء والعناء في إقامة الحق

أقول أما معنى الآية فهو لا يغرنك أيها المخاطب المؤمن أو لا يغرنك يا محمد (قولان) تقلبهم قالوا وما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم من مثل هذا فالمراد به أمته فروي عن قتادة أنه قال : والله ما غروا نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى قبضه الله . ومعنى غره أصاب غرته فنال منه بالقول أو العمل شيئا مما يريد وهو غافل عن ذلك لم يفطن لما في باطن الشيء مما يخالف الظاهر. قال الراغب والغرة (بالكسر) غفلة في اليقظة والغرار غفلة مع غفوة . وأصل ذلك من الغر (بالفتح) وهو الأثر الظاهر من الشيء ومنه غرة الفرس وغرار السيف أي حده . وغر الثوب أثر كسره وقيل : اطوه على غره، وغره كذا غرورا كأنما طواه على غره اهـ فالأظهر أن الغرور مأخوذ من الغرة (بالكسر) أي الغفلة ويقرب منه أو يتصل به أخذه من غر الثوب (بالفتح) وهو أثر طيه الذي يعبر عنه بالثني والمكسر وجمع الغر على غرور قال في الاساس « واطوه على غروره اي مكاسره » والمراد اطوه على طياته الأولى ليبقى على ما كان عليه ومنه غرارة الصغار (بالفتح) أي سذاجتهم وقلة تجاربهم يقال فتى غر وفتاة غر (بالكسر) وقيل ان الغرور مأخوذ من الغرار بالكسر وهو من السيف والسهم والرمح حدها قالوا غره أي خدعه وأطمعه بالباطل كأنه ذبحه بالغرار . وفيه مبالغة و بعد

وحاصل معنى النهي عن الغرور أن تقلب الذين كفروا في البلاد آمنين معتزين لا ينبغي ان يكون سببا لغرور المؤمن بحالهم وتوهمه ان هذا شيء يدوم لهم فان هذا من إبقاء الاشياء على ظاهرها من غير بحث عن اسبابها وعللها ، والغوص على بواطنها ودخائلها ، كما يطوى الثوب على غره وكما ينظر الغر الى ظواهر الاشياء دون بواطنها . ومن اكتنه حالهم الاجتماعية علم ان تقلبهم في البلاد وتمتعهم بالأمن والنعمة فيها ليس قائما على أساس متين ، ولا مرفوعا على ركن ركين ، وإنما هو من قبيل حركة الاستمرار لمحرك من الباطل سابق لم يكن له معارض فاذا عارضه ما أنتم عليه من الحق لا يلبث ان يزول بالنسبة الى مجموعهم واما من يموت من أفرادهم على

لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنّٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ خٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٩ : ١٩٨) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتٰبِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خٰشِعِينَ لِلّٰهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيٰتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ، (١٩٩ ف) أُولٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٠ : ٢٠٠) يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٭

أقول قد علم مما تقدم ان بعض المفسرين قالوا إن المراد بقوله تعالى في الآيات السابقة « ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك » ما وعد الله به المؤمنين من النصر والظفر وأننا اخترنا ان المراد ذلك وما وعد من ثواب الآخرة . وعلى هذين القولين ربما يستبطئ بعض المؤمنين إيتاءهم الوعد المتعلق بالنصر والتغلب على الكافرين الظالمين كما يدل قوله تعالى (٢ : ٢١٤ حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) فجاء قوله تعالى ﴿ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ﴾ الآية تسلية لهم وبياناً لكون الإملاء للكافرين واستدراجهم لا يصح ان يكون مدعاة ليأس المؤمنين ولا حجة للمنافقين الذين قالوا عند الشدة (٣٣ : ١٢ ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) — فهذا وجه في اتصال هذه الآية بما قبلها في ترتيب الآيات الشريفة

وقال الامام الرازي اعلم انه تعالى لما وعد المؤمنين بالثواب العظيم وكانوا في الدنيا في نهاية الفقر والشدة والكفار كانوا في النعم ذكر الله تعالى في هذه الآية ما يسليهم ويصبرهم على تلك الشدة

وقال الأستاذ الامام كان الكلام في أولي الألباب المؤمنين وقد علمنا ان الله تعالى يستجيب لهم بالأعمال فالعبرة بالعمل ومنه المهاجرة وتحمل الايذاء في سبيل الله وبذل النفس في القتال حتى يقتلوا وبذلك يستحقون ثواب الله تعالى . ثم ذكر حال الكافرين للمقابلة وربط الكلام بما قبله بالنهي عن الاغترار بما هم

يكون بمحض الفضل والاحسان للابرار فقال ﴿ وما عند الله ﴾ من الكرامة الزائدة على هذا النزل الذي هو بعض ما عنده وأول مايقدمه لعباده المتقين ﴿ خير للابرار ﴾ لا مما يتقلب فيه الذين كفروا من متاع فان ، بل ومما يحظى به المتقون من نزل الجنان ، وهذا الذي قلناه أولى من القول بأن ماعند الله للابرار هو عين ذلك النزل الذي قال انه من عنده لان نكتة وضع المظهر وهو قوله تعالى « وما عند الله » موضع المضمر الذي كان ينبغي ان يعبر به لو كان هذا عين ذاك تظهر على هذا ظهورا لا تكلف فيه ، وبه ينجلي الفرق بين الذين اتقوا وبين الابرار فان الابرار جمع بارّ أو برّ وهو المتصف بالبر الذي بينه الله تعالى في سورة البقرة بقوله (٢ : ١٧٥ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) الخ وقد أشرنا اليه في آيات الدعاء القريبة (راجعه ثانية في ص ١١٩ ج ٢ تفسير) فشرح البر بما ذكر في تلك الآية يؤيد ما ذكره الراغب من انه مشتق من البر (بالفتح) المقابل للبحر وانه يفيد التوسع في فعل الخير فهو اذاً أدل على الكمال من التقوى التي هي عبارة عن ترك أسباب السخط والعقوبة بتحصل بترك المحرمات وفعل الفرائض من غير توسع في نوافل الخيرات . وذكر جزاء المؤمنين بقسميهم — الذين اتقوا والابرار — بلفظ الاستدراك التنصيص على ما ذكرنا من المقابلة بينهم وبين الذين كفروا كما قلنا

﴿ وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا ﴾ ان من يفسر الذين كفروا في الآية السابقة بأهل الكتاب يجعل هذه الآية استدراكا أو استثناء من عمومها أي ذلك جزاء من استكبرتم ما يتمتعون به من أصر منهم على كفره وان منهم لمن يؤمن بالله الخ ويصح هذا أيضا على الوجه الذي اخترناه من عموم الذين كفروا . وقد جاء بمعنى هذه الآية عدة آيات . وقد روى النسائي من حديث أنس قال لما جاء نعيّ النجاشي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلوا عليه » قالوا يا رسول الله نصلي على عبد حبشي فأنزل الله هذه الآية . وروى ابن جرير نحوه عن جابر وفي المستدرك عن عبد الله بن الزبير قال نزلت في النجاشي « وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله »

فراش نعيمه ولم ينسأ له في أجله الى ان يظهر أمر المؤمنين فما يستقبله من عذاب الآخرة أعظم مما ناله من نعيم الدنيا والنتيجة ان ذلك كما قال ﴿ متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ أي ذلك التقلب في البلاد الذي يتمتعون به متاع قليل عاقبته هذا المأوى الذي ينتهون اليه في الآخرة فيكونون خالدين فيه سواء منهم من مات متمتعا بدنياه ومن أنسئ له في عمره حتى أدركه الخذلان بنصر الله المؤمنين فسلب منه متاعه أو نغصه عليه . واما المؤمنون فسيأتي ما لهم في مقابلة هذا في الآية الآتية . وجهنم اسم للدار التي يجازى فيها الكافرون في الآخرة قيل انها أعجمية معربة وقيل بل هي عربية من قولهم ركية جهنام (بكسر الجيم والهاء والتشديد) أي بئر بعيدة القعر فجهنم اذاً بمعنى الهاوية . والمهاد المكان الممهد الموطأ كالفراش قيل سميت الدار مهادا تهكما بهم . وقد تقدم ذكر الكلمتين في البقرة (٢ : ٢٠٦ ــ فراجع ص ٢٤٨ ج ٢ تفسير)

قيل ان الآية نزلت في مشركي مكة إذ كانوا يضربون في الأرض يتجرون ويكسبون على حين لا يستطيع المسلمون ذلك لوقوف المشركين لهم بالمرصاد وإيقاعهم بهم أينما ثقفوهم وعجز هؤلاء عن مقاومتهم إذا خرجوا من دارهم للتجارة أو غير التجارة . ويروى ان بعض المؤمنين قال ان أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت الآية . وقال الفراء كانت اليهود تضرب في الارض فتصيب الاموال فنزلت هذه الآية في ذلك

ثم بين تعالى في مقابلة ذلك مأوى المؤمنين ليعلموا انهم في القسمة غير مغبونين، فقال

﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله ﴾

قالوا إن النزل ما يهيأ للضيف النازل وقيل أول ما يهيأ له وخصه الراغب بالزاد . قال الفراء نصب « نزلا » على التفسير كما تقول : هو لك هبة و بيعا وصدقة . واذا كانت الجنات نزلا وهي النعيم الجسماني فلا جرم يكون النعيم الروحاني برضوان الله الأكبر أعظم من الجنة ونعيمها اضعافا مضاعفة وقد وعدهم هذا الجزاء على التقوى التي يتضمن معناها ترك المعاصي وفعل الطاعات ثم أشار الى ان النعيم الروحاني

في هذا العصر قلما يرجعون عن عقيدة أو رأي في الدين جروا عليه وتلقوه عن مشايخهم وقرأوه في كتبهم وان كان باطلا وخطأ ظاهرا

وفي هذه الآية تأييد لكون حال المؤمنين على ما كانوا عليه من ضيق خيرا من حال الكافرين على ما كانوا عليه من سعة كأنه يقول انظروا الى حال الاخيار من أهل الكتاب كيف لا يحفلون بذلك المتاع الدنيوي بل يؤثرون عليه ما عند الله تعالى . فهذا من باب المثل والاسوة للمسلمين .

أقول وصفهم بخمس صفات (إحداها) الايمان بالله يعني الايمان الصحيح الذي لا تشوبه نزغات الشرك ولا يفارقه الاذعان الباعث على العمل ، لا كمن قال فيهم (٢ : ٨ ومن الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر وما هم بمؤمنين) ولا من قال فيهم (١٢ : ١٠٦ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)

(ثانيها) الايمان بما أنزل الى المسلمين وهو ما أوحاه الله إلى نبيهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقدمه على ما بعده لأنه العمدة الذي عليه العمل وله الهيمنة والحكم الفصل في الخلاف لثبوته باليقين ، وعدم طروء الضياع عليه والتحريف ،

(ثالثها) ما أنزل اليهم وهو ما أوحاه الى الله تعالى الى أنبيائهم . ولا ينافي ذلك ضياع ونسيان بعضه وطروء التحريف بالترجمة والنقل بالمعنى على البعض الآخر فان المراد الايمان به إجمالا واتباع ما أرشد اليه القرآن فيه . وقد تقدم بيان حكم القرآن في التوراة والانجيل في تفسير الآية الأولى من هذه السورة فراجعه (ص ١٥٥ — ١٥٩ ج ٣ تفسير)

(رابعها) الخشوع وهو ثمرة الايمان الصحيح الذي يعين على اتباع مايقتضيه الايمان من العمل . فالخشوع أثر خشية الله تعالى في القلب تفيض على الجوارح والمشاعر فيخشع البصر بالسكون والانكسار ، ويخشع الصوت بالمخافتة والتهدج ، كما يخشع غيرهما

(خامسها) وهي اثر لما قبلها عدم اشتراء شيء من متاع الدنيا بآيات الله كما هو فاش في أصحاب الايمان التقليدي الجنسي من علماء ملتهم ويقع مثله من أمثالهم في سائر الملل ، وقد تقدم بيانه في هذه السورة وما قبلها

اه من لباب القول . وتقول انها تشمل النجاشي وغيره من اليهود والنصارى الذين صدق عليهم ما فيها من الصفات وكذا المجوس على القول بأنهم أهل كتاب كما روي عن علي كرم الله وجهه ولكن لا نعرف أحدا منهم أسلم في عهد التنزيل الاسلمان الفارسي رضي الله عنه على انه كان قد تنصر قبل إسلامه . ثم راجعت الرازي فاذا هو يقول : واختلفوا في نزولها فقال ابن عباس وجابر وقتادة نزلت في النجاشي حين مات وصلى عليه النبي (ص) فقال المنافقون انه يصلي على نصراني لم يره قط . وقال ابن جريج وابن زيد نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه . وقيل نزلت في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فأسلموا . وقال مجاهد نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم . وهذا هو الأولى لانه لما ذكر الكفار بأن مصيرهم الى العقاب بين فيمن آمن منهم بأن مصيرهم إلى الثواب اه

وقال الأستاذ الامام انه بعد ان بين حال المؤمنين وما اعدلهم من الثواب ، وذكر حال الكافرين وما عدلهم من العقاب ، ذكر فريقا من أهل الكتاب ، يهتدون بهذا القرآن ، وكانوا مهتدين من قبله بما عندهم من هدي الأنبياء ، وذكر من وصفهم الخشوع لله وما كل من يدعي الايمان بالكتاب خاشع لله . وهذا الخشوع هو روح الدين وهو السائق لهم الى الايمان بالنبي الجديد وهو الذي حال بينهم و بين ان يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا . وهذا الثمن يعم المال والجاه فان منه التمتع بما كانوا فيه من ذلك و إن صعبا على الانسان أن يترك ما ألفه . وخص هؤلاء بالذكر على كونهم من المؤمنين الذي وعدوا بما تقدم ذكره في مقابلة الكافرين لأجل القدوة بهم في صبرهم على الحق في الدين السابق والدين اللاحق وذكر إيمانهم بصيغة التأكيد لأن أهل الكتاب كانوا بغرورهم بكتابهم وتوهمهم الاستغناء بما عندهم عن غيره كانوا ابعد الناس عن الايمان وكان من الغرابة بعد ذلك العناد ومكابرة النبي صلى الله عليه وسلم وحسده على النبوة والتشدد في إيذائه ان يؤمن بعضهم إيمانا صحيحا كاملاً . ولهذا كان المؤمنون منهم قليلين وكانوا من خيارهم علما وفضلا وبصيرة . واننا نرى علماءنا الاذكياء

والطبيعية ، فهي واجبة على المسلمين في هذا العصر لان الواجب من الاستعداد العسكري لا يتم الابها . وقد اطلق لفظ المرابطة عند المسلمين على الاقامة في ثغور البلاد وهي مداخلها على حدود المحاربين لأجل الدفاع عنها اذا هاجمها الاعداء فان هؤلاء يقيمون فيها ويقومون في اثناء ذلك بربط خيولهم وخدمتها وغير ذلك مما يحتاج اليه من الاستعداد

وقال الاستاذ الامام في الوصية بالتقوى : يكثر الله تعالى من هذه الوصية ومع ذلك نرى الناس قد انصرفوا عنها بتة حتى صار التقي عند الناس هو الاهبل الذي لا يعقل مصلحته ولا مصلحة الناس . ولا شيء أشأم على التقوى من فهمها بهذا المعني

التقوى ان تقي نفسك من الله أي من غضبه وسخطه وعقوبته ولا يمكن هذا الا بعد معرفته ومعرفة ما يرضيه وما يسخطه ولا يعرف هذا الا من فهم كتاب الله تعالى وعرف سنة نبيه (ص) وسيرة سلف الأمة الصالح مطالبا نفسه بالاهتداء بذلك كله . فمن صبر وصابر ورابط لاجل حماية الحق وأهله ونشر دعوته واتقى ربه في سائر شؤونه فقد أعد نفسه بذلك للفلاح والفوز بالسعادة عند الله تعالى .

وأقول ان الفلاح هو الفوز والظفر بالبغية المقصودة من العمل وقد يكون ذلك خاصا بالدنيا كما في قوله ٢٠ : ٦٤ وقد أفلح اليوم من استعلى) وقد يكون خاصا بالآخرة كقوله (١٨ : ٢٠ ولن تفلحوا إذاً أبدا) ويكون مشتركا بين الدارين وعندي ان أكثر وعد القرآن المؤمنين من هذا النوع . وإرادة الفلاح الدنيوي من الآية التي نفسرها ظاهرة فان الصبر ومصابرة الاعداء والمرابطة والتقوى كلها من أسباب الفوز على الأعداء في الدنيا كما أنها مع حسن النية وقصد إقامة الحق والعدل الذي هو شأن المؤمن من أسباب سعادة الآخرة فنسأل الله تعالى ان ينيلنا ما أرشدنا اليه من سعادة الدارين

قال تعالى ﴿ أولئك لهم أجرهم عند ربهم ﴾ أي أولئك المتصفون بما ذكر من الصفات لهم أجرهم اللائق بهم عند ربهم الذي رباهم بنعمه وهداهم الى الحق أي في دار الرضوان التي نسبها الرب عز وجل اليه تشريفا لها ولأهلها . بخلاف الذين ليس لهم مثل هذه الصفات من أهل الكتاب المغرورين بأنفسهم وسلفهم عنادا حملهم على كتمان الحق الذي هو نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهم يعلمون انه الحق فأولئك هم الذين ليس لهم في الآخرة الا النار فان كل من بلغته دعوة محمد (ص) وظهرت له حقيتها كما ظهرت لهم وجحد وعاند كما جحدوا وعاندوا فلا يعتد بإيمانه بالأنبياء السابقين وكتبهم ولا يكون إيمانه بالله تعالى إيمانا صحيحا مقرونا بالخشية والخشوع والذلك لا يخشاه في مكابرة الحق والاصرار على الباطل . ولا ينافي هذا ما في آية (٢: ٦٢ ان الذين آمنوا والذين هادوا) من الإطلاق لان تلك الآية فيمن لم تبلغهم دعوة النبي (ص) على حقيقتها ولم تظهر لهم حقيتها كالذين كانوا قبله

﴿ إن الله سريع الحساب ﴾ يحاسب الخلق كلهم في وقت واحد قصير بما يكشف لهم من تأثير أعمالهم في نفوسهم بحيث يتمثل لهم فيها كل عمل سبق منهم كالصور المتحركة التي تمثل الوقائع في هذا العصر . وقد سبق تقرير ذلك

ثم ختم سبحانه السورة بهذه الوصية للمؤمنين لانها هي التي تتحقق بها استجابة ذلك الدعاء وإيفاء الوعد بالنصر في الدنيا وحسن الجزاء في الآخرة فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ قال الاستاذ الامام أي اصبروا على ما يلحقكم من الاذى وصابروا الأعداء الذين يقاومونكم ليغلبوكم على أمركم ويخذلوا الحق الذي في أيديكم ورابطوا الخيل كما يربطونها استعدادا للجهاد .

أقول فالمصابرة والمرابطة وهي الرباط بمعنى مباراة الاعداء ومغالبتهم في الصبر وفي ربط الخيل كما قال (٨: ٦٠ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) على الاصل الذي قرره الإسلام من مقاتلتهم بمثل ما يقاتلوننا به فيدخل في ذلك مباراتهم في هذا العصر بعمل البنادق والمدافع والسفن البحرية والبرية والهوائية ، وغير ذلك من الفنون والعدد العسكرية ، ويتوقف ذلك كله على البراعة في العلوم الرياضية

إلي أملاكها وملكها . وشدد أيضاً فقال بعدم صحة أركان الاسلام تحت حكومتها مطلق الصلوة فالجمعة داخلة في ذلك ونحو الصيام والحج والزكوة ، فاضطرب منه أكثر من سمع ما قال اضطرابا شديدا ، ظنا منهم بان حقيقة الامر كما قال :

فياسيدي ومولاي وقرة عيني ويا ناصر الحق والسنة ، ويا قامع البدع الدينية الذليلة الشنيعة ، و يا كاشف الغمة عن هذه الامة المرحومة ، و يامقتدى الامة ، وقدوة الائمة ، ويارحمة الله لهذه الملة الحنيفية ، أرجو من حضرتكم ان تتفضلوا بالجواب الواضح الشافي عن قول ذلك العالم ، على نحو ما اهتديتم بالكتاب والسنة السنية ، مع البراهين والادلة الشرعية المرضية القوية ، كما هو دأب جنابكم على صفحات المنار المنير ، أدام الله ضياءه الى يوم الحشر والقرار ، و بارك في عمر سعادة صاحبه وعامله نحو ما عامل المقربين من عباده المتقين ، وجزاه نحو ما يجزي المحسنين من عباده المخلصين ، انه على مايشاء قدير ، و بالاجابة جدير ،　　الداعي والمستدعي

قارئ المنار المنير وصديقكم المطيع الخالص وصديق أصدقاء المنار المنير وصاحبه ومحبهم وعدو عدوهم ومبغضهم العبد الضعيف النحيف الحقير الفقير الى رحمة ربه العلي القدير تراب اقدام انصار الحق محمد ز . هـ . د . تارابار من طلبة المدرسة الفيضية بمدينة تراونيك (بوسنه)

(ج) لاشك ان ذلك التركي قد اخطأ في جملة ما قاله والصواب انه لاتجب الهجرة وجوبا عينيا على من كان متمكنا من إقامة دينه آمنا من الفتنة فيه وهي الإكراه على تركه او المنع من إقامة شعائره والعمل به وهو نحو مما قالته عائشة ففي البخاري انها سئلت عن الهجرة فقالت « لا هجرة اليوم كان المؤمن يفر بدينه الى الله ورسوله مخافة ان يفتن فاما اليوم فقد أظهر الله الاسلام والمؤمن يعبد ربه حيث شاء» والأصل في المسألة آية «٤: ٩٧ ان الذين توفاهم الملائكة » وستأتي ، وفيها أحاديث وآراء للعلماء نذكر اهمها : فاصح ما ورد فيها حديث ابن عباس عند احمد والشيخين وأصحاب السنن الثلاثة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » وروي مثله عن عائشة في الصحيحين وروى احمد والنسائي وابن ماجه والطبراني وغيرهم عن عبدالله بن السعدي ان النبي

فتاوى المنار

فتحنا هـذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبـه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعـد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيـح لاغفاله

﴿ الهجرة وحكم مسلمي البوسنه فيها ﴾

(س ٢٥) من صاحب الامضاء في البوسنه (٥

بعد السلام عليكم يافضيلة الأستاذ الأكبر، والعلامة الفهامة الهمام الاوحد، حجة الاسلام، وامام أهل الحق وفخر الأنام، العالم العامل الفاضل الكامل المحقق، والبحر النحرير الفيلسوف الحكيم المدقق، الاديب اللبيب، فريد العصر، ووحيد الدهر، سيدنا ومولانا ومرشدنا ، الشيخ محمد رشيد رضا ، عمره الله وحياه بأحسن الحياة ،

أقول : بسم الله الرحمن الرحيم الحمـد لله ذي العظمة والكبرياء ، والصلوة والسلام على سيدنا ومولانا وقرة أعيننا رسوله الداعي الى سبيل الهدى سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين المهتدين بهـداه والذين اتبعوهم باحسان إلى يوم الحشر والجزاء ،

أما بعد فقد أخبرني بعض المصاحبين بان واحدا من علماء الاستانة قد اتفق ان ألقى وعظا في جامع بمدينة عندنا ، فمن جملته ان قال فيه بوجوب الهجرة علينا وعدم صحة النكاح ونحوه بعد ما ألحقت النمسا وضمت (ولاية البوسنه والهرسك)

---

٥) ان السائل من المغالين في حب المنار وصاحبه فهو يطرينا بالألقاب والنعوت التي نخجل من ذكرها وإنما ننشرها عملا بما جرينا عليه اخيرا من نشر الاسئلة بنصوصها كما جرى عليه علماؤنا من قبل الا من اذن لنا بتصحيح بعض اغلاطه اللفظية

دار الكفر . وقال الخطابي أيضا ان الهجرة افترضت لما هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة الى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع الدين وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر فقال (٨ : ٧٣ والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) فلما فتحت مكة ودخل الناس في الاسلام من جميع القبائل انقطعت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب . وقال البغوي في شرح السنة يحتمل الجمع بطريق أخرى فقوله «لاهجرة بعدالفتح» أي من مكة الى المدينة ، وقوله « لا تنقطع » أي من دار الكفر في حق من أسلم الى دار الاسلام ، قال ويحتمل وجها آخر وهو ان قوله « لا هجرة » أي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان بنية عدم الرجوع الى الوطن المهاجر منه الا باذن ، فقوله « لا تنقطع » أي هجرة من هاجر على غير هذا الوصف من الاعراب ونحوهم . وقد أفصح ابن عمر بالمراد فيما أخرجه الاسماعيلي بلفظ انقطعت الهجرة بعد الفتح الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار أي ما دام في الدنيا دار كفر فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي ان يفتن على دينه . ومفهومه انه لو قدر ان لايبقى في الدنيا دار كفر أن الهجرة تنقطع لانقطاع موجبها . وأطلق ابن التين ان الهجرة من مكة الى المدينة كانت واجبة وان من أقام بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة بغير عذر كان كافرا . قال الحافظ وهو إطلاق مردود . وقال ابن العربي الهجرة هي الخروج من دار الحرب الى دار الاسلام وكانت فرضا في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستمرت بعده لمن خاف على نفسه والتي انقطعت أصلا هي القصد الى حيث كان . وقد حكي في البحر ان الهجرة عن دار الكفر واجبة اجماعا حيث حمل على معصية فعل أو ترك أو طلبها الامام بقوته لسلطانه وقد ذهب جعفر بن مبشر وبعض الهادية الى وجوب الهجرة عن دار الفسق قياسا على دار الكفر وهو قياس مع الفارق والحق عدم وجوبها من دار الفسق لانها دار اسلام و إلحاق دار الاسلام بدار الكفر بمجرد وقوع المعاصي فيها على وجه الظهور ليس بمناسب لعلم الرواية ولا لعلم الدراية وللفقهاء في تفاصيل الدور والاعذار المسوغة لترك الهجرة مباحث ليس هذا محل بسطها . اه

صلى الله عليه وسلم قال « لا تنقطع الهجرة ماقوتل العدو » وهو يوافق حديث ابن عباس في وجوب النفر على من استنفر للجهاد الشرعي وترك وطنه لأجل ذلك وهذا لا وجود له الآن

وأما حديث جرير بن عبدالله عند ابي داود والترمذي « انا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » وتعليله ذلك بقوله « لا تتراءى ناراهما » فقد صحح البخاري وابو حاتم ومخرجاه وغيرهم إرساله الى قيس ابن أبي حازم وفي الاحتجاج بالمراسيل الخلاف المعروف في الأصول ورواه الطبراني موصولا . وهو لا ينطبق على أهل بوسنه لانهم ليسوا بين أظهر المشركين . وقد كان للاسلام سياسة خاصة في مشركي العرب. وفي الباب حديث عن معاوية رواه أحمد وأبو داود والنسائي وقد اشرنا اليه في الجزء الماضي وهو انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تنقطع الهجرة ينقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » وهذا الحديث قال الخطابي « اسناده فيه مقال »

أما أقوال العلماء في احكام هذه الأحاديث فنذكر منها ما أورده الشوكاني في شرح المنتقى في الجمع بينها قال . وقد اختلف في الجمع بين أحاديث الباب فقال الخطابي وغيره كانت الهجرة فرضا في أول الاسلام على من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم الى الاجتماع فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجا فسقط فرض الهجرة الى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو ، انتهى قال الحافظ (ابن حجر) وكانت الحكمة أيضا في وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من اذى من يؤذيه من الكفار فانهم كانوا يعذبون من أسلم منهم الى ان يرجع عن دينه وفيهم نزلت « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » الآية . وهذه الآية باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج منها . وقال الماوردي إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام فالاقامة فيها أفضل من الرحلة عنها لما يترجى من دخول غيره في الاسلام. ولا يخفى ما في هذا الرأي من المصادمة لأحاديث الباب القاضية بتحريم الاقامة في

اما مازعمه ذلك الواعظ التركي من عـدم صحة النكاح وأركان الاسـلام في بوسنه بعد إلحاقها بالنمسا فهو باطل ، لا يصدر مثله الا من جاهل، ولولا إباحةماحرم الله على المسلمين من التقليد لما كان لهذا الجاهل من سبيل لتشكيك أولئك المسلمين الذين سمعوا وعظه في عبادتهم وعقود زوجيتهم اذ الوعظ ببيان كتاب الله وسـنة رسوله لا يأتي فيه شيء من هذه المزاعم والأباطيل. فمتى تستنير بصائر جماهير المسلمين و يعتصمون بحبل الله حتى اذا حاول ان يعبث بدينهم عابث طالبوه بمـا عنده من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا جاءهم بهديهما قبلوه، والاردوا ما جاء به ورفضوه ، ؟؟

لافرق في العبادة والنكاح بين المسلم في دارالكفر والمسلم في دارالاسلام وإنما هنالك احكام تتعلق بالمعاملات السياسية والمدنية والحربية وأدخل بعضهم في السياسية صلاة الجمعة . ومن البديهي ان الهجرة لم تكن حتما لازما في زمن كزمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لنصره والاخذ عنه ولما كان من اشتداد المشركين في ايذاء المسلمين قبل فتح مكة ومع ذلك لم يرد في السنة من التشديد على من لم يهاجر شيء مما زعم هذا الواعظ الجاهل فقد روى أحمـد ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم من حديث بريدة انه قال قال رسول الله (ص) « اذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال — أو خلال — فايتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . ادعهم الى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم انهم ان فعلوا فلهم ماللمهاجرين وعليهم ماعلى المهاجرين فان أبوا ان يتحولوا منها فأخبرهم انهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء الا ان يجاهدوا مع المسلمين ، فان هم أبوا فسلهم الجزية فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم» الخ

واما ماقالوه في دار الكفر ودار الاسلام فلا حاجة الى بسطه هنا وقد سبق لنا بحث فيه من قبل فليراجعه من شاء

***

ما أورده الشوكاني وهو زبدة ماقيل في شرح الاحاديث من علمائه

أقول انك تجدهم قد اختلفوا في كل وجه من وجوه المسألة الا اثنين احدهما عدم التمكن من اقامة الدين بالفتنة وهي حمل المسلم على الكفر أو مخالفة دينه في فعل أو ترك أو بالجهل ، وثانيهما الجهاد الديني أي المتعلق بحماية دعوة الاسلام وأمن أهله على دينهم وحقيقتهم ففي هاتين الحالتين تجب الهجرة بلاخلاف . أي على من عجز عن إقامة دينه سواء كان واحداً أو جمعا وعلى من احتيج الى جهاده وكان نفره مما يعزز المسلمين و يفيدهم في الدفاع المطلوب شرعا. فأما هذا الوجه فمن البين الظاهر انه لا يتحقق في أهل بوسنة الآن كما تقدم وما أظن ان الوجه الأول متحقق فيهم أيضا وهم اعلم بأنفسهم

ويدخل في باب الوجه الأول الهجرة الى طلب العلم الواجب عند الحاجة الى ذلك فان لم يهاجر من يتعلم و يعود ليعلم أثم جميع المسلمين الذين فقدوا هذا العلم في وطنهم . وكذلك الهجرة من المكان الذي فشا فيه الفسق والمجاهرة بالمنكرات وصارت التربية على التقوى والصلاح متعذرة فيه. وقد روى ابن وهب عن مالك أنه قال: تهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهارا ولا يستقر فيها .واحتج بصنيع ابي الدرداء في خروجه من أرض معاوية حين أعلن بالربا فأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من وزنها ، رواه أهل الصحيح . وقال مالك في موضع آخر اذا ظهر الباطل على الحق كان الفساد في الارض وقال لاتنبغي الاقامة في ارض يكون العمل فيها بغير الحق. اه

أقول و إنما يكون هذا من الافراد الذين يتعذر عليهم ازالة المنكر فان وجد جم يقدر على إزالة المنكر وجب ذلك عليه دون الهجرة

ومن قال انه لا يظهر له دخول هذا في الوجه الأول قلنا لك ان تعده وجها آخر وهو ظاهر . ولا حاجة الى قياس الفسق على الكفر ليصح ما ذكر من الهجرة من حيث يفشو الفسق و يتعذر الصلاح أو يتعسر الى حيث الصلاح والخير

وجملة القول ان المسلم يجب عليه ان يقوم بالحق والخير كما يرشده دينه فان عجز عن ذلك في بلاد وجب ان يهاجر منها الى حيث يقدر عليه والا كان ظالما لنفسه وقيل له يوم الحساب اذا اعتذر باستضعاف الكفار اوالفساق له ومنعه من العمل بدينه ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجر فيها ؟

ما حل بنا من ضعف وهوان . وفساد في الاعمال وخسران . من سوء تربية في الصغر تولد منه في الكبر فساد وطغيان . وتهاون بالصلاة وتجاهر بالعصيان وموت شعور عند سماع أوامر ونواهي القرآن . وكثرت الخرافات والاوهام . ادخلها الجاهلون وصبغوها بصبغة دين الاسلام . ومعظم أهل زماننا هذا هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان . والمصيبة في الاعمال والاديان . اعظم منها في الاموال والابدان . ونحن نعلم كل ذلك علم اليقين . وأهملنا شعائر الدين . فوقعنا في شدائد متراكمة . ونظرت الينا الاجانب نظر تحقير وملامه . وان التباعد عن الاهتداء بهدي الشرع الكريم . وعدم التمسك بعروة الدين القويم . قدأدى بنا ذلك الى الاهمال . والانحطاط وشر المآل ودينا يأمر بالتعاون والاتفاق . ونحن نسعى الى التنافر والافتراق . حتى ذهبت اعمالنا ادراج الرياح . وضاعت اوقاتنا بين الجد والمزاح . ولا نقدر على القيام بمهام الاعمال ولا على مثابرة الاشغال . فآلت امورنا الى اسوء الحال . وخابت الآمال . وانا لو اتحدت كلماتنا . وصرنا حزبا متعاونا . ساعيا في مصالح امورنا . في ديننا ودنيانا . لكان اكبر الاعمال هيّنا . ونجح نجاحا مبينا ، واذا نظرنا الى حال الامة الغربية ، ذات السعادة والرفاهية ، وجدنا انها تدرجت على اصول الاسلام ، و بذلت الجهد في التعاون والاتحاد والالتئام ، كان اكبر المشروعات ،عندها من اسهل الممكنات ، وان كان عندنا يعد الناس نجاحه من المستحيلات ، وهم يعقدون الشركات ، و ينشئون الجمعيات ، ليعود ذلك على ابناء ملتهم بالنفع والفضائل ، ونحن ننشيء الجمعيات للتلوث بادران الخمول والرذائل ، و يعود ذلك علينا بضعف الديانة ، وتضييع الصيانة ، كانت المواعظ عندهم داعية الى التقدم السريع ، وعندنا قدصارت سلما الى تأخرنا الشنيع ، فياذوي الابصار ، اين التبصر والاعتبار ، وما هذه الغفلة والاغترار ، فليت شعري ما اعتذاركم بعد الانذار ، اما علمتم ان الله لم يخلق الدنيا عبثا ، بل جعلها دار سعي واختبار ، يعقبها بدار جزاء وقرار ، وجعل لنا العقول لنميز بها بين النفع والاضرار ، وامرنا بفعل الخيرات ونهانا عن الاوزار ، ومن اطاعه ادخله الجنة ومن عصاه ادخله النار ، وليس لنا عليه بعد ذلك حجة ولا اعذار ، عباد الله تعاونوا واتفقوا ، واعتصموا بحبل

﴿ خطبة جمعة في سوء حال المسلمين في هذا الزمان ﴾

(س ٢٦) من م . ا . ص في سنغافوره

سنغافورا في ٧ جماد الاول ٣٢٧

حضرة العلامة الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المنيرة بمصر

قد اتى على المسلمين بهذه الاصقاع حين من الدهر وهم لا يسمعون الخطبة في مساجدهم غير خطب ابن نباتة او نحوها فتعودوا سماع فضائل الشهور و بيان قرب الساعة والحث على ترك الدنيا الى غير ذلك ولما كان الزمان في تقلب دائم حصلت العرصة في الجمعة الماضية للغيور الاديب الشاب المحبوب عباس بن محمد طه فأنشأ خطبة تناسب الأحوال الحاضرة بهذه الجهات تمام المناسبة ثم رقي المنبر بالجامع الكبير المسمى (مسجد سلطان) فخطب خطبة تؤثر في نفوس الغيورين وان خطيب المسجد لم يخطب في ذلك اليوم نظراً لما كان عليه من العذر ثم طفق الجامدون بعد فراغ الصلاة يشيعون ان الخطبة لا تليق ان تكون خطبة للجمعة لان فيها تكفير المسلمين وذمهم ومدح الكفار مع ان خطبة الجمعة دينية محصة وما في هذه الخطبة من أمور الدنيا وتقبيح احوال المسلمين ورفع شأن الكافرين مخل لنظر الدين ولذلك قال هؤلاء انهم لا يريدون ان يصلوا الجمعة في هذا الجامع اذا اعيدت تلك الخطبة حتى بالغ بعض الناس في سب ذلك الخطيب وسمعت ذلك انا والشيخ عبد القادر وغيره فعلمنا أن كره المغفلين هذه الخطبة قد بلغ الغاية واننا قد اطلعنا على الخطبة عند بعض معارفنا فنقلت منها عدة نسخ نسخة منها لتقديمها الى مجلتكم المنيرة وهذه هي الخطبة :

* * *

«الحمد لله الذي جعل الجمعة من اسباب الاجتماع تقرأ فيه المواعظ لتمزق غشاء الاسماع . فتتأثر منها القلوب والطباع . وتفتح بذلك ابواب الخير والانتفاع . احمده سبحانه وتعالى على جزيل الفضل والاحسان . واشهد ان لااله الا الله وحده لا شريك له المنان . واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث بالبيان . اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه في كل وقت وأوان . أما بعد فيا عباد الله: ان

و ينتقدون الخطب القديمة التي معظمها مدح للشهور والمواسم بالباطل وذم للدنيا وتزهيد فيها . على ان تلك الخطب القديمة المشهورة في جميع البلاد الاسلامية لا تخلو من وصف المسلمين بترك الاسلام و إضاعة الكتاب والسنة والضراوة بالمعاصي والمنكرات وناهيك بتلك العبارة المشهورة التي حفظناها من الخطباء لأول عهدنا بالصلاة في صغرنا وهي « لم يبق من الاسلام الا اسمه، ولا من القرآن الا رسمه» ومهما أكثر المكثرون من الانكار على المسلمين ووصفهم باضاعة الدين فهم لا يأتون بأبلغ من هذه العبارة ولا يكونون الا شارحين لها

ماذا ينتظر السائلون عن هذه الخطبة من المنار وهو الذي نبه منذ سنته الأولى الى وجوب إصلاح الخطابة في المساجد الجامعة وترك تلك الخطب المحشوة بالاباطيل المميتة للهمم، وقد كتبت قبل إنشاء المنار فصلا طويلا في الخطابة أودعته كتابي « الحكمة الشرعية» فهل ينتظرون مني أن أجيز تلك الخطب السخيفة المألوفة ومافيها من الاحاديث الموضوعة وأنكر مايجيء به أذكياء الخطباء من المنبهات التي تزلزل ذلك الجمود القديم ؟

يظهر ان أنكر ما استنكروه من هذه الخطبة هو اقتباس الخطيب قوله تعالى « هم للكفر يومئذ أقربَ منهـم للايمان » يريد ان الذين تلبسوا بتلك المنكرات التي نهى عنها هم يوم إذ أدخلت عليهم الخرافات والاوهام وتلبسوا بها أقرب الى الكفر منهم الى الايمان . وليس هذا تكفيرا صريحا ولا هو في قوم معينين بذواتهم وانما هو في قوم يأتون ما نهى عنه الاسلام ويتركون ما أمر به فماذا يريدون ان يقول الواعظ فيهم

اخرج ابن ابي شيبة في المصنف عن عبد العزيز بن ابي داود وابن ابي حاتم عن مقاتل ان الصحابة اخذوا في شيء من المزاح فانزل الله تعالى فيهم (٥٧ : ١٦ ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ومن المعروف عند أهل القرآن ان الفسق والظلم والكفر كثيرا ما ترد فيه على مورد واحد كما بيناه في تفسير « ٢ : ٢٥٤ والكافرون هم الظالمون » وروى مسلم والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن ابن مسعود قال : ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية « ألم يأن » الخ الا اربع سنين . وعنه قال لما نزلت هذه الآية اقبل بعضنا

الله جميعا ولا تفرقوا » (الحديث) قال (ص) اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لأخراك كأنك تموت غدا » الى آخر الخطبة ،

وما دعاني الى افادتكم بهذه الواقعة الا لنصرة الحق وحضرتكم أهل لذلك

(المنار) وجاءنا سؤال آخر عن خطبة هناك الظاهر انها هذه بعينها وهذا نصه

سنغافورا ١٣ جماد الاول (؟) سنة ١٣٢٧

(س ٢٧) من س . ح س .

حضرة العلامة الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار بمصر

لا يخفى ان من طبيعة الانسان حب الفخر والشهرة ويوجه كل قوته الى الوصول اليه بأي وجه كان ولا يجول بخاطره انه امام الملأ من الاكابر كالذبابة لولا ذلك لما تجرأ بعض الناس على تلاعب بعض أمور العبادة فقلب الخطبة على غير وجهتها التي شرعت لاجلها فخطب على منبر أكبر الجوامع هنا خطبة تقشعر من سماعها الابدان يكفر فيها المسلمين ويقبح اعمالهم ويستحسن اعمال الكافرين وذلك بمسمع من العباد والعلماء ظنا منه ان ذلك مما يوجب فخره ولا يدري ان الامر بالعكس وقد افتى العلماء بمنع ان تخطب خطبة الجمعة مثل تلك الخطبة ولذلك جئتكم بهذه الرقعة سائلا عن رأيكم الصائب في ذلك

(ج) ان المصريين ليعجبون من استنكار بعض مسلمي سنغافوره لهذه الخطبة التي يسمعون كل جمعة في مساجدهم ماهو أشد منها انكارا لحال المسلمين وتركهم لهداية دينهم وإضاعتهم لمصالح دنياهم وتقدم سائر الامم عليهم ، ومن ذلك عبارة يكررها في الخطبة الثانية الشيخ خالد النقشبندي خطيب مسجد الست الشامية المشهور بالصلاح وحسن الخطبة وهي « اتقوا الله فقد تقدم الاجانب وتأخرنا ، اتقوا الله فقد نشطوا وكسلنا » الخ وهو نحو مما قاله خطيب سنغافوره فلماذا استنكر هناك ولم يستنكر هنا ؟ لا سبب لذلك الا أن العلماء والعوام هنا اعلم ممن هناك بالاسلام والمسلمين وما يحتاجون اليه وهذه هي الخطب التي يسمونها هنا الخطب العصرية ويرجون فائدتها ونفعها

لايخفى على جنابكم أحوال تلامذة المدارس من جهة المباحثة مع بعضهم البعض ، فيوم من الايام اجتمعت أنا و بعض رفقائي للمباحثة وصرنا نتباحث الى ان وصل بحثنا عن السؤال الآتي :

(١) ما هو أصل اسم بنت النبي (ص) الملقبه به (أم كلثوم)

(٢) لأي سبب لقبت به (أم كلثوم)

وطال بنا الجدال في هذا الموضوع واقسمت أفكارنا الى آراء كثيرة وحيث انه لم نوفق لمعرفة السؤالين المرقومين أعلاه قر بنا القرار بالتفسير من فضيلتكم واخذ رأيكم في هذا الموضوع فكلفوا هذا العاجز بالسؤال من جنابكم

ولأجل ذلك حررت لفضيلتكم هذا التحرير راجيا إرشادنا في هذا البحث والله الملهم الى الحق والصواب ولكم الأجر والثواب والسلام على من اتبع الهدى ودين الحق ودمتم

(ج) لا أدري كيف وجدتم ذلك المجال الواسع للخلاف وانقسام الأفكار في هذه المسألة وهي لاتحتمل عندنا خلافا فالعرب كانت تسمي أيمن وأم أيمن وسلمة وأم سلمة والمعروف أن بنت النبي صلى الله عليه وسلم سميت ام كلثوم ابتداء ولم يكن كنية كنيت بها بعد ان سميت باسم آخر وفي الصحابيات كثيرات سمين بهذا الاسم . وكلثوم من الكلثمة وهي استدارة الوجه

* * *

﴿ عهد (موضوع) زعموا انه من النبي (ص) للنصارى ﴾

(س ٢٩) من احد العلماء في حمص

ان مجلة (روضة المعارف) التي تصدر في بيروت أدرجت في عددها الثالث عشر من هذه السنة صورة عهد للنبي صلى الله عليه وسلم تزعم أنه أملاه على سيدنا معاوية رضي الله عنه لأهل الذمة ولدى البحث في كتب الحديث والسير والتاريخ ما وجدت هذا العهد بهذا اللفظ الطويل الذي نقلته هذه المجله ونقلته عنها جريدة لسان الحال فأرجوك ايها الفاضل ان تفيدني عن درجة هذا العهد من الصحة والحسن

على بعض : أيّ شيء أحدثنا اي شيء أضعنا ؟ فاذا كان رب العزة يعظ افضل المؤمنين من السابقين الاولين بمثل هذه الاية فهل يستنكر في مسلمي زماننا مثل تلك الخطبة ؟ ما هذا الغرور الذي اصابنا ! نسيء ونطلب الشكر على إساءتنا ! وليراجع السائلون تفسير (٢ : ٢١٤ ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) في الجزء الثاني من تفسير القرآن الحكيم (ص ٣٠٢ — ٣١١) ولينظروا ماهي النسبة بين اولئك المخاطبين بالآية عند نزولها و بين اهل عصرنا هذا وهم مخاطبون بها أيضا . ومثلها كثير ننبه دائما في التفسير عليه ونحث مسلمي زماننا على وزن انفسهم بميزان القرآن ثم سيرة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة اصحابه عليهم الرضوان . ولو شئنا ان نعزز ذلك بالاحاديث والآثار لفعلنا ولكن المنصف يكتفي بما ذكرناه ، والمغرور أو صاحب الهوى لا يقنعه شيء يخالف هواه ، أما اذا كان السائل الثاني يعني بما ذكره خطبة غير التي أرسلها السائل الأول منهما وفيها تكفير للمسلمين صريح وتحسين لأعمال الكفار التي هي من كفرهم فلا مندوحة لنا عن إنكار ذلك بشدة . اما الاعمال التي ليست من كفرهم فمنها الحسن والقبيح قال تعالى في اليهود (٥ : ٦٦ منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون)

* * *

﴿ أم كلثوم بنت النبي (ص) ﴾

(س ٢٨) من خليل رشدي افندي ملحس التلميذ بمكتب نابلس الاعدادي

الحمد لله وحده

حضرة الفيلسوف العظيم والأستاذ الحكيم الامام العلامه بحر فهامه سيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة (المنار) الاسلامي نور الله قلبه وأدام مجده على مدى الدوران آمين

بعد اهداء ما يليق بحضرتكم من التحيات الزاكية أعرض لجنابكم بأن تتكرموا على هذا العاجز بنشر سؤالي الآتي على صفحات مجلتكم « المنار » الأغر وسرد جوابه بما يتراءى لكم ولحضرة فضيلتكم الشكر والمنة سلفا :

اما ما يدل على كذب هذا العهد مما يتوقف العلم به على الإلمام بالتاريخ فربما يعذر ناشروه بجهلهم له ولكنهم لا يعذرون بجهل المسائل المعلومة من الدين بالضرورة

ثم ان هنا مسألة تاريخية تكاد تكون معروفة عند العامة وقد جهلها ناشرو هذا العهد وهي مسألة التأريخ بالهجرة ففيه « كتبه معاوية بن ابي سفيان بإملاء رسول الله يوم الاثنين في ختام أربعة أشهر من السنة الرابعة من الهجرة بالمدينة » فمن المشهور أن هذا التأريخ قد حدث في خلافة عمر بن الخطاب بمشاورة الصحابة (رض) ولم يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أبو بكر (رض) وما ذكر مختلق العهد هذا التاريخ الا ليظهر كذبه علم التاريخ فالمروي في صحيح البخاري ان معاوية اسلم في عام الفتح أي في السنة التاسعة للهجرة فكيف كان يكتب للنبي في السنة الرابعة، ثم ان ختام الشهر الرابع للهجرة وهو شهر جمادى الآخرة لم يكن يوم الاثنين وانما كان يوم الجمعة . وذلك ان الهجرة كانت في شهر ربيع الأول ولما اراد الصحابة في عهد عمر التأريخ بالهجرة جعلوه من أول السنة القمرية التي حدثت فيها فكان في ذلك زيادة شهرين كما هو مشهور . ثم انه اكثر من الشهود ليظهر كذبه أيضا وهاك البيان بالايجاز

في ذكر هؤلاء الشهود أربعة أنواع الغلط احدها واهونها الاسماء المحرفة والمصحفة كالفضيل بن العباس صوابه الفضل وحسن بن ثابت صوابه حسان وابو درداء صوابه الدرداء ويزيد بن ثابت صوابه زيد . والثاني من لم يكن اسلم كمعاوية . والثالث من كان قد مات او استشهد كحمزة . والرابع من لا وجود لهم في الصحابة كداود بن جبير والعاصي ابو حنيفة واساف بن يزيد وكعب بن كعب . ولو استقصينا كل ما في هذا العهد المكذوب من الخطإ لأفضى بنا ذلك الى تطويل نحن في غنى عنه بهذا القول الوجيز

* * *

﴿ رسم المصحف ﴾

(س ٢٨) من صاحب الامضاء في قزان (روسيا) في ٦ جمادى الآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا حفظه الله ومتعنا وسائر المسلمين بعلومه الشريفة

وعمن خرجه منه المحدثين وفي أي كتاب هو وهل هذا اللفظ المنقول كله مروي محفوظ عن ائمة هذا الشان الموثوق بهم الذين يعول على نقلهم فيكون حجة في العمل

لقد رأيت في هذا العهد طولا كبيراً وألفاظاً لا تشبه ألفاظ صاحب الرسالة في عهوده ورأيت بعض الصحابة المدرجة اسماؤهم بصفة شهود كان قدمات قبل هذا التاريخ و بعضهم لم يكن اسلم فأرجو إيضاح الجواب على كل جملة ليكون الانسان على بصيرة لا زلت مرجعا لحل الاشكالات وتحقيق المسائل وليكن الجواب على صفحات مجلتكم ليطلع عليه القراء الكرام

(ج) قد اطلعنا في مجلة روضة المعارف على هذا العهد الملفق الموضوع فساءنا اندفاع قومنا في تيار المجاملة الى هذا الحد الذي يتهجم فيه على نشر هذه الأكاذيب الموضوعة على النبي (ص) على حين نحن في غنى عنها بما عندنا من الآيات الكريمة والاحاديث الصحيحة وسيرة السلف المعروفة

ان هذا العهد المكذوب لم يروه أحد من المحدثين ولا يحتاج من له ادنى شمة من علوم الدين الى اطلاع واسع ليعرف انه مصنوع موضوع فذلك واضح من عبارته في أغلاطها واسلوبه في ركاكته ومافيه من الاصطلاحات الحادثة ومن المبالغة والتكرار ومن مسائله التي توهم ان الاسلام وجد في الارض لأجل تعزيز النصرانية وخدمة أهلها والدفاع عنهم والخضوع والذل لهم وإعانتهم على المعاصي والجنايات اذا ارتكبوها فان مما جاء فيه « وان جراحد من النصارى جريرة اوجنى جناية فعلى المسلمين نصره ومنعه (أي حمايته) والذبّ عنه والغرم عن جريرته » فهل يعقل من شم رائحة الاسلام ان النبي الذي يقول كما في صحيح البخاري « لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » يأخذ العهد على أمته بأن ينصروا مرتكبي الجرائم والجنايات من النصارى ويحموهم و يدفعوا عنهم ؟ وهل يتفق هذا مع قوله تعالى في الآية التي أذن فيها للمسلمين بالجهاد والدفاع عن أنفسهم « ٢٢ : ٤١ الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »

وفي هذا العهد كثير من امثال هذه المسائل الباطلة بالاجماع التي لا يبيحها الاسلام لأحد بل يعد استباحتها كفرا وردة عن الاسلام

يحذفون الالفات فيا ظهر المراد (منه) مثل الكلمات المذكورة» فنحذف الالفات فيهن .
ورسم المصاحف المطبوعة هنا ليس على نسق واحد ، في بعضها تلك الكلمات مكتوبة بألفات بعد اللام وفي بعضها بحذف الالفات . وان المصحف الذي يحفظ في بلدة بترسبورغ عاصمة الروسية في المكتبة الامبراطورية و يظن كونه واحدا من مصاحف سيدنا عثمان رضي الله عنه قد حذف فيه الالفات في مثل هذه المواضع .
والعلامة شهاب الدين المرجاني القزاني الذي افنى عمره في خدمة العلم وصنف كتابا مفيدا في رسم المصحف وكان مأمورا بتصحيح المصاحف المطبوعة من جهة الحكومة قد حذف الالفات قصدا في مثل هذه الكلمات ولزيادة الاطمئنان ولكون المسألة عامة مهمة ومتعلقة بعموم اهل الاسلام اتفقنا على المراجعة الى (؟) جنابكم المحترم بالاستفسار في تلك المسئلة رجاء ان تتفضلوا بابداء ملاحظاتكم العالية في صفحات المنار . والسلام والاكرام

رئيس اللجنة المتشكلة لتفتيش رسم المصاحف المطبوعة ببلدة قزان
ملا صادق الايمانقولى القزاني

(ج) ان ديننا يمتاز على جميع الأديان بحفظ أصله منذ الصدر الأول فالذين تلقوا القرآن عمن جاء به من عند الله (ص) حفظوه وكتبوه وتلقاه عنهم الالوف من المؤمنين وتسلسل ذلك جيلاً بعد جيل . وقد أحسن التابعون وتابعوهم وأئمة العلم في اتباع الصحابة في رسم المصحف وعدم تجويز كتابته بما استحدث الناس من فن الرسم وان كان أرقى مما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم لأنه صنعة ترتقي بارتقاء المدنية إذ لو فعلوا لجاز أن يحدث اشتباه في بعض الكلمات باختلاف رسمها وجهل أصلها .
فالاتباع في رسم المصحف يفيد مزيد ثقة واطمئنان في حفظه كما هو و بعد الشبهات ان تحوم حوله ، وفيه فائدة أخرى وهي حفظ شيء من تاريخ الملة وسلف الامة كما هو
نعم ان تغير الرسم واختلاف الإملاء يجعل قراءة المصحف على وجه الصواب خاصة بمن يتلقاه عن القراء، ولذلك أحدثوا فيه النقط والشكل وهي زيادة لا تمنع معرفة الاصل على ما كان عليه في عهد الصحابة . ثم إنه يجعل تعليم الصغار عسرا

اما بعد فان من المسائل التي تدور بيننا الآن مسئلة رسم المصاحف المطبوعة في بلدة قزان ، حيث ان العلماء صرحوا بأن رسم المصاحف يجب فيه الاتباع لرسم المصاحف التي كتبت بامر سيدنا عثمان رضي الله عنه وفي رسم المصاحف القزانية مخالفة كثيرة لرسم تلك المصاحف فتشكلت بقزان لجنة من العلماء والقراء لتفتيش رسم هذه المصاحف ونصوص العلماء فيه وتكلموا في وجوب الاتباع وعدمه فذهب كثير منهم الى انه ينبغي اتباع رسم المصاحف العثمانية وان الرسم سنة متبعة ، على ما نص عليه ابو عمرو الداني والشاطبي والجزري والسيوطي والزمخشري وغيرهم . وبعضهم قالوا انه لا يجب اتباع الرسم محتجين بقول شيخ الاسلام العز بن عبد السلام حيث قال « اما الآن فلا يجوز كتابة المصاحف على المرسوم الاول خشية الالتباس ولئلا يوقع في تغيير من الجهال » ويجيب الفريق الاول عن هذا بان المواضع التي يتوهم فيها الالتباس يمكن التخلص منها بالنقط والاشكال . ثم فتشوا المصاحف المطبوعة في الديار الاسلامية من الاستانة ومصر وهند وغيرها فوجدوا فيها ايضا مخالفة كثيرة لرسم المصاحف العثمانية ، فما ندري ما سبب عدم اعتنائهم في هذا الباب ؟ أأهملوا في رسم كتابنا المقدس ، ام لا يقولون بلزوم الاتباع . واذا كان الاتباع واجبا كما يقول به اكثر الائمة فما ينبغي ان نصنع لنقرأ برواية حفص المعروفة في بلادنا في مثل كلمة «آتان» في سورة النمل آية ٣٦ فانه كتب في مصاحف سيدنا عثمان رضي الله عنه كلها بغير ياء بعد النون والحال ان حفصا يقرأه آتاني بياء مفتوحة بعد النون فكيف يكون زيادة ياء بعد النون في مثل هذه المواضع تخلصا من الالتباس والتلفيق في القراءة . وهل يجوز مخالفة الرسم لاجل الضرورة في مثل تلك الضرورة وما نصنع في الكلمات التي حذفت فيها الالفات في بعض المصاحف المطبوعة والمكتوبة القديمة مثل كلمة الاعلام والاحلام والاقلام والازلام والاولاد ، وتلك الكلمات كتبت في بعض المصاحف « الا علم والا حلم والا قلم » بحذف الالف بعد اللام والحال ان قاعدة الخط العربي تقتضي اثبات الالف في مثلها : وليس فيها نص صريح من علماء الرسم في حق الحذف أو الاثبات . هل ينبغي فيها اتباع قاعدة رسم الخط العربي واثبات الالفات ام تقول «انهم كانوا يعتبرون الظهور وعدم الالتباس ولهذا كانوا

واما ما طبعه المسلمون من المصاحف في الاستانة وقزان ومصر وغيرها من البلاد غير متبعين فيه رسم المصحف الإمام في كل الكلمات فسببه التهاون والجهل والاعتماد على بعض المصاحف الخطية التي كتبت قبل عهد الطباعة فرسم فيها بالرسم المعتاد الكلمات التي يظن انه يقع الاشتباه فيها إذا هم كتبوها كما كتبها الصحابة كلفظ «الكتاب» بالألف بعد التاء وهو في المصحف الإمام بغير ألف ليوافق في بعض الآيات قراءة الجمع فكتبوه بالألف . ولم أر مصحفاً كتب أو طبع كله بالرسم المعتاد

ونحمد الله تعالى ان وفق بعض الناس الى طبع ألوف من المصاحف برسم الصحابة المتبع وأحسن المصاحف التي طبعت في أيامنا هذه ضبطا وموافقة للمصحف الإمام المتبع هو المصحف المطبوع في مطبعة محمد أبي زيد بمصر سنة ١٣٠٨ إذ وقف على تصحيحه وضبطه الشيخ رضوان بن محمد المخللاتي أحد علماء هذا الشأن وصاحب المصنفات فيه . وقد وضع له مقدمة بين فيها ما يحتاج اليه في ذلك . فالذي أراه انه ينبغي للجنة القزانية ان تراجع هذا المصحف فانها تجد فيه حل عقد المشكلات كلها ان شاء الله تعالى ككلمة الاقلام وأمثالها وهي بغير ألف وكلمته « ءاتاني » التي رسمت في المصحف الامام «ءاتن» فيرون ان هذا المصحف وضع فوق النون ياء صغيرة مفتوحة هي من قبيل الشكل لتوافق قراءة حفص فهي فيه هكذا « ءاتن ى »

وجملة القول إننا نرى أن الصواب الذي ينبغي ان يتبع ولا يعدل عنه هو أن تطبع الاجزاء والمصاحف التي يعلم فيها المبتدئون بالرسم الاصطلاحي لتسهيل التعليم وهو ماجرت عليه الجمعية الخيرية الاسلامية هنا باذن الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فهي تطبع أجزاء القرآن كل جزء على حدته بالرسم الاصطلاحي وتوزعها على التلاميذ في مدارسها . واما سائر المصاحف فيتبع في طبعها رسم المصحف الامام كالمصحف الذي ذكرناه آنفا . واذا جرى المسلمون على هذا في الاستانة ومصر وقزان والقريم وسائر البلاد الاسلامية فلا يمضي جيل أوجيلان الاوتنقرض المصاحف التي طبع بعض كلماتها بالرسم الاصطلاحي و بعضها برسم الصحابة . ولا ضرر من وجودها الآن اذ هي مضبوطة بالشكل كغيرها فالاشتباه والخطأ مأمونان في جميع المصاحف ولله الحمد

ولذلك افتى الامام مالك بجواز كتابة الألواح ومصاحف التعليم بالرسم المعتاد كما نقل:

قال علم الدين السخاوي في شرحه لعقيلة الشاطبي قال اشهب رحمه الله سئل مالك رضي الله عنه أرأيت من استكتبته مصحفا أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ فقال لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكتبة الاولى . قال مالك ولا يزال الانسان يسألني عن نقط القرآن فأقول له أما الامام من المصاحف فلا أرى أن ينقط ولا يزاد في المصاحف مالم يكن فيها وأما المصاحف الصغار التي يتعلم فيها الصبيان وألواحهم فلا أرى بذلك بأسا. ثم قال « أشهب » والذي ذهب اليه مالك هو الحق اذ فيه بقاء الحال الأولى الى أن يعلمها الآخر وفي خلاف ذلك تجهيل الناس بأوليتهم . وقال أبو عمرو الداني (في كتابه المسمى المحكم في النقط) عقيب قول مالك هذا ولا مخالف لمالك في ذلك من علماء الامة اه

فالذي أراه هو الصواب أن تطبع المصاحف التي تتخذ لأجل التلاوة برسم المصحف الامام الذي كتبه الصحابة عليهم الرضوان حفظا لهذا الأثر التاريخي العظيم الذي هو أصل ديننا كما هو لكن مع النقط والشكل للضبط . ولو كان لمثل الأمة الانكليزية هذا الأثر لما استبدلت به ملك كسرى وقيصر ولا أسطول الالمان الجديد الذي هو شغلها الشاغل اليوم . واما الالواح والأجزاء وكذا المصاحف التي تطبع لاجل تعليم الصغار بها في الكتاتيب فلتطبع بالرسم المصطلح عليه اليوم من كل وجه تسهيلا للتعليم ومتى كبر الصغير وكان متعلما للقرآن بالرسم المشهور لا يغلط إذا هو قرأ في المصاحف المطبوعة برسم الصحابة مع زيادة النقط والشكل . وكذلك يكتب القرآن في اثناء كتب التفسير وغيرها بالرسم الاصطلاحي ليقرأه كل أحد على وجه الصواب . وبهذا نجمع بين حفظ أهم شيء في تاريخ ديننا وبين تسهيل التعليم وعدم اشتباه القارئين

اما ما احتج به العز بن عبد السلام على رأيه فليس بشيء لأن الاتباع إذا لم يكن واجبا من الاصل فلا فرق بين الآن الذي قال فيه ما قال وبين ما قبله وما بعده بل يكتب الناس القرآن في كل زمن بما يتعارفون عليه من الرسم واذا كان واجبا في الاصل وهو مالا ينكره فترك الناس له لا يجعله حراما أو غير جائز لما ذكره من الالتباس على ان زوال هذا الالتباس على انه لا يسلم له

ونقول ان ماذكرته الخطيبة من هذه المباحث نافع ولا بد منه وان كان بعضه خطأفي نظرنا او بعضه يملوأفهام كثيرات من حاضرات الخطبة، وانما نفعه أنه يحرك اذهانهن وينبه أفكارهن فتخرج به عقول بعضهن من مضيق ليس فيه الاصور الزينة والاثاث والرياش الى فضاء واسع فيه كل شيء ومتى فكرت الواحدة منهن في مسألة من تلك المسائل يكون لها فيها رأي خاص قد يخالف رأي الخطيبة وقد يوافقه وذلك ضرب من ضروب ترقية الفكر التي يطلبها الرجال المحبون لإصلاح الامة

نعم ان القسم الآخر الذي يبحث فيه عن العادات والاخلاق والآداب التي هي مناط السعادة بين الصنفين هو أنفع وأولى بالعناية وقد أجادت الخطيبة وأفادت بما ألقته على المستمعات لها من النصائح والمباحث وذكرتهن بما يغفل عنه اكثرهن من أمر الصلة بينهن و بين الرجال وما يجب ان تكون عليه . ولكنه قلما يفيد الرجال فائدة جديدة لأنهم يعرفونه في الغالب لما سبق لكتابهم من الخوض فيه وهم ينتظرون ان يستفيدوا من كتابة المرأة في النساء اكثر مما يستفيدون من كتابة الرجال عنهن. وعسى أن تكثر الفوائد لكل منهما فيما تجود به الخطيبة من الخطب والمقالات من بعد ، فأن أول الغيث قطر ، وقليلها لا يقال له قليل

لقد قربت الخطيبة مسافة التفاوت بين الرجال والنساء في العقل والفهم كما قربت مسافة التفاوت بين المرأة المصرية والمرأة الغربية . وما قالته أشبه بكلام السياسيين الذين يراعون المصلحة فقط منه بكلام الفلاسفة الذين يتحرون الحقيقة فقط أرادت أن ترفع من شأن صنفها في أنفسهن وأنفس الرجال وان ترغب رجال وطنها في الوطنيات وتنفرهن عن الاجنبيات فجاءت من الخطابيات في هذا المقام بما يناسبه

ونرجو ان تعيد الكرة فتبحث في مسألة التفاوت بين الرجال والنساء فيما يتعلق بالبيوت والخطبة والزواج والحياة الزوجية بحث المؤرخ الحكيم ، والاجتماعي الخبير ، وان تكون مستقلة في ذلك غير مقلدة لمن كتب من الرجال في هذه المسائل ولا مستمدة منهم شيئاً ، بل من البحث في العادات والاختبار للأحوال ، لعلها تستطيع ان ترشدهن الى ما يرقق حجاب جهلهن ، فيجعله كبراقع وجوههن ، فيبصرن ما بين الرجال و بينهن ، مما يحول دون ما يجب من الألفة والود بينهم و بينهن ،

بحث

﴿ في خطبة العقيلة المصرية « باحثة بالبادية » ﴾

نشرنا في الجزء الخامس هذه الخطبة ووعدنا بأن نبين رأينا فيها في هذا الجزء وكنا نريد ان نطيل القول فيه فكثرت علينا المواد العارضة فسامتنا الاختصار فكان مالا بد منه

ان الخطيبة تساهم بعبارتها وأفكارها كتاب الطبقة الثانية من الرجال بمصر ولكني رأيت عبارة مقالاتها النسائيات في الجريدة أصح من عبارة الخطبة فيظهر أنها لم تعن بتحرير الخطبة عنايتها بتحرير المقالات كما يفعل الذين يكتبون الخطب قبل إلقائها ولا بد لذلك من سبب ينهض عذرا

أودع في الخطبة من الحكم ، ماهو جدير بأن يحفظ و يضرب به المثل ، ولا تخلو من الملح والافاكيه التي تستملح في الخطب ، لما فيها من تجديد النشاط وذود الملل ، ولم أر فيها على طولها شيئا تمنيت لولم يكتب — وان نطق به — الا كلمة واحدة في نساء الافرنج . ورأيت مسائلها المستمدة من الصحف ، اكثر من مسائلها المستمدة من الكتب ، فليت نساءنا يكثرن من قراءة الصحف فانها دروس تكرر فتثبت مباحثها في الذهن

ينتقد بعض الناس من الخطبة كثرة المباحث النظرية والمسائل البديهية ككون الزوجين الذكر والانثى خلقا للموادة لا للمباغضة وكون العالم لا يعمر بدونهما، وكونهما سواء في القوة والاستعداد أو متفاوتين ، وغير ذلك من المسائل الفلسفية والاجتماعية كمسألة تعليم احد الصنفين كل مايتعلمه الآخر أو عدم تعليم البنات ، ومسألة خلق النساء للبيوت والعمل فيها والرجال لكسب المعاش ومسألة الحجاب ويرى هؤلاء المنتقدون ان القسم الأول من الخطبة لو كان كالقسم الثاني في الأمور العملية الواقعة من العادات والمعاملات بين الرجال والنساء لكان خيرا وأنفع

زواجه الا شقيا. أعرف شابا من هؤلاء رغب عن الزواج زمنا طويلا لاعرّض له فيه بعض رؤسائه الاغنياء في الحكومة برغبتهم في مصاهرته فتجاهل ذلك وسعى في الخروج من دائرة رياستهم ، لخجله من العمل فيها مع رد رغبتهم ، ثم تعاونت عليه الفطرة والعفة، فلم ير بدا من طاعتهما في طلب الزوجة ، فكان من رأيه أن يقترن بفتاة متعلمة تكون دونه جمالا ، ومثله أو دونه مالا ، حتى لايحجبها الإدلال عليه بجمالها ومالها عن معرفة قيمته ، والغبطة بالاقتران به ، وماذا كان ، بعد الظفر بهذا القران

كان ان تلك الدميمة عاملته بالصلف والزهو ، وحاولت استعباده لهواها ، وألحت في ذلك الحاحا ، ولجت في عتوّ ونفور ، حتى عيل صبره ، ولم ينجع فيها وعظه ولا هجره ، ولم يلق من أهلها الا ناصرا لها عليه ، ومغريا لها بسوء معاملته ، والتهكم بصلاته وديانته ، فأنشأ يستشيرني في طلاقها وانا اقول له (٣٣ : ٢٧ اتق الله وامسك عليك زوجك ـ ٤ . ١٩ فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) ثم طلقها ولو شاء ان لا يعطيها شيئا لفعل فانها رضيت بأن تبرئه من حقها ولكنه أعطى الحق وزيادة

لست أحكم على المرأة وأهلها بقول أحد الخصمين فانني كنت واقفا على جميع وقائع القضية اذ كان الرجل يستشيرني في كل شيء فآمره بالحلم والصبر وحسن الخلق مع الثبات على مطالبه الشرعية كستر الرأس والصدر والساعدين والعضدين في حضرة غير المحارم من الاقارب الذين اعتادوا زيارتهم امتثالا للشرع لا اتباعا للظنة . ولو شئت لذكرت غير هذه الواقعة من أمثالها

أليس عجيبا ان يجهل قدر أمثال هؤلاء الرجال مع حرص زوجاتهم على تحبيب أنفسهن اليهم والاستعانة على ذلك بالعزائم والطلسمات ، والبخور والتناجيس والتولات ، وهم يقولون لهن ، غير هذا أولى لكن ، وأدنى الى حظوتكن ، تبذلن بعض عنايتكن ، في تدبير أمر بيوتكن ، لتكون العيشة فيها راضية ، والحياة معكن هنيئة ، واعلمن ان الخرافات التي يعبر عنها بالروحانيات ، لا سلطان لها على نفوس العقلاء ، فاستمالتنا بها كاستمالتنا بالاسراف في الزينة مما تمجه أذواقنا ، وتشمئز منه نفوسنا . وأنّى لهن بفهم هذا الكلام وتصديقه ؟ انهن لا يفهمن منه الا انه احتقار لهن ، وميل عنهن الى غيرهن ،

ليس الغرض من هذا إثبات كون الرجال كلهم مظلومين مع النساء كلا ان منهن

اذا كانت المثا كلة في الاخلاق والعادات ، والمساهمة في الأهواء والرغبات ، معياراً للمساواة بين النساء والرجال ، فلا مندوحة لنا عن القول مهما بأن السواد الاعظم من أهل هذه البلاد لايزال ذكرانهم واناثهم في مستوى واحد ولذلك يرضى جماهير الرجال بما يفتحره نساؤهم كل يوم من بدع التبرج والتهتك ، فقد مسن الرجال وفنكت النساء ، فصار جمهور الفريقين في المجانة سواء ، ولذلك نرى الزواج لايزال كثيرا

واذا نظرنا في المسألة من وجه آخر نرى ان الرجال مهما فسدت أخلاقهم أرقى من النساء عقولا وأفكاراً وأن المتعلمين والمهذبين منهم أكثر وانه يوجد عدد كثير ينمو عاما بعد عام قد تغير رأيهم ووجدانهم في الزواج فهم يطلبون فيه حياة إنسانية عالية لاتحصل بمجرد دواعي النسل ومقدماته ولا بالنسل نفسه وهو الغاية الطبيعية الشرعية له و إنما هي عبارة عن حاسة زائدة على الحواس الخمس يدرك بها كل من الزوجين من الانس وسكون النفس وشعور الود والرحمة والاخلاص مالم يكن يدرك حقيقته قبل الزواج وانما يشعر كل احد باضطراب في نفسه يصاحبه علم ضروري بانه لايزول الا بالسكون الذي يكون بالزواج بعد إحكام عقد الزوجية (كما بينا ذلك في مقالات الحياة الزوجية من المجلد الثامن) ولكن المرتقين يعرفون من أركان ذلك وشروطه ومن قيمته مالا يعرفه من دونهم

يعلم هؤلاء المرتقون في مراتب الانسانية ان تلك الحياة التي تتلمسها فطرتهم لاتنال الا اذا اقترنوا بمن هن على مقربة منهم في الفهم والخلق ومعرفة قيمة الحياة الزوجية فهل يوجد كثيرات من هذا الطراز في نسائنا ؟

ان الشاب من هؤلاء ليبحث السنين الطوال عن فتاة مهذبة الاخلاق ، ذكية الفؤاد ، وان لم تكن ذات جمال بارع ، ولا رزق واسع ، بل منهم من يشترط عدم ذلك ثم هو لا يظفر بمطلبه ، على ان المعرضات (أي للخطبة والزواج) كثيرات في البيوت وفي الشوارع والأسواق ، وقد تعرف الفتاة هي وأهلها الخاطب فيرضون مقامه وعيشته ودينه وأخلاقه ثم يصدهم عن قبول خطبته عادة من اسخف العادات و إن كانوا يظنون انهم لا يكادون لا يجدون صهرا مثله ، ومنهم من يرد خطبته لأن الفتاة لا يعجبها زيّ ثيابه

ومن هؤلاء من تزوج بعد التحري الطويل في السنين الطوال فلم يكن في

الجزية وتجند أهل الذمة

جرى الصحابة في فتوحاتهم على جعل الجزية التي يفرضونها على أهل الذمة جزاء على حمايتهم والدفاع عنهم وعدم تكليفهم منع أنفسهم و بلادهم أي حمايتها والدفاع عنها ولذلك كانوا يفرضونها على من هم أهل للدفاع دون غيرهم كالشيوخ والنساء فكان ذلك منهم تفسيرا و بيانا لمراد الكتاب العزيز منها . وكأن العثمانيين سموها لأجل ذلك بدل عسكرية

ولما كان من مقتضى الدستور العثماني تجنيد جميع العثمانيين وتكليفهم تعلم الفنون العسكرية وأعمالها لأجل الاشتراك مع المسلمين في الدفاع عن أنفسهم و بلادهم التي هي بلاد جميع العثمانيين كان من لوازم ذلك وضع الجزية أو بدل العسكرية عنهم

وههنا مسألتان يظن الجاهل بحقيقة الشريعة الإسلامية وأصولها أن الدستور مخالف لها فيهما إحداهما انه لا يجوز تكليف أهل الذمة الدفاع عن أنفسهم ولا عن البلاد التي يقيمون فيها ما دام للمسلمين ولاية عليها . والثانية ان الجزية فرض لازم لا يجوز وضعه بحال

فاما المسألة الاولى فيصح ان يقال فيها انا لا نسلم انه لا يجوز تجنيد أهل الذمة اذا اقتضت المصلحة العامة ذلك برأي أهل الشورى فان المصلحة العامة هي الاصل والاساس للحكومة لا تترك لغيرها وانما يترك غيرها لها وقد سبق لنا تقرير هذا الاصل واثباته غير مرة . على اننا إذا سلمنا جدلا انه لا يجوز إكراههم على مساعدتنا على الدفاع عن أنفسنا وأنفسهم و بلادنا و بلادهم فلنا ان نقول ان أمر التجنيد لا ينفذ إلا بعد أن يقرره مجلس النواب العام الذي اشتركنا نحن وإياهم في انتخاب أعضائه وجعلناهم وكلاء عنا ليقرروا و يضعوا القوانين التي تقوم بها مصلحة الجميع وهذا ينافي كون التجنيد بالاكراه وان كره بعض رؤساء الدين المتعصبين منهم فان هؤلاء الرؤساء ليسوا نوابا عن أهل دينهم في وضع القوانين

من لاترى بعلها الا محمولا في السحر من حانات الأزبكية ومواخيرها الى بيتها فيلقى فيه كأنه ميت لايعي ولايتحرك ، الا ان يقول هجرا ، أو يأتي نكرا ، وانما الغرض منه بيان ان المهذبين لايكادون يجدون مهذبات يعرفن قيمتهم وان خير النساء عفة وأدبا ليفضلن في الغالب المجان الفاسقين من الرجال لتصبيهم إياهن بالتطرز والتطرس والتورّن (١) على ان حظهن منهم بعد الزواج يكون في الاكثر دون حظ فواجر الاجنبيات والوطنيات لانهم في الغالب من الذواقين

ليس بين الرجال والنساء عندنا الآن خلاف كبير في مسألة توسعهن في العلوم ولا في مسألة مزاحمتهن لهم في الاعمال فاذ كرته الخطيبة في ذلك جاء قبل أوانه وانما اكبر الخلاف في كون جمهور عظيم من المتعلمين يطلبون حياة جديدة في البيوت فلايجدونها لذلك قل التزوج في هذا الصنف وأكثر المتزوجون من أفراده الأغنياء من استخدام الأوربيات ولذلك يتزوج بعض المتفرنجين بهن حتي صار في مصر احتلالان اجنبيان - كما قالت الخطيبة - أحدهما في المواقع العسكرية وثانيهما وهو أشأمهما في البيوت

قالت ان الرجال يخطئون في إناطة فساد النساء بالتعلم وحقهم ان ينيطوه بالتربية وقالت انه لاصلة بين التعليم والتربية الا في تعلم الدين ، قد أحسنت في جعلها أمر التربية أهم من أمر التعليم ولكنها افتأتت علينا بما نسبته الينا فاننا نشكو من فساد التربية اكثر مما نشكو من فساد التعليم وقلته . وليس الانفصال بين التربية والتعليم بالمقدار الذي ادعته فان التعليم الصالح يمدّ التربية الصالحة ويغذيها وهي الاصل في الصلاح فيمكن ان يكون الامي صالحا بحسن التربية ولكنه لايبلغ مرتبة من ربي وتعلم . وأما من تعلم ولم يترب على الاعمال الصالحة فيكون شرا من الجاهل الذي لم يؤخذ بالتربية لانه يكون أعلم بوجوه الشر وأجرأ على العمل بها

اذاً لابد من تربية البنات وتعليمهن ليحسنّ ادارة بيوتهن ويكنّ قرة عين لأزواجهن في انفسهن وأولادهن (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)

---

(١) تطرز الرجل وتطرس تنوّق في اللباس فلم يلبس الا فاخرا . ويقال أيضا تطرس في الطعام اذا تنوق فيه وتورن اكثر من التدهن والتنعم

وهذه المقاولات والكتب مما ارتضاها عمر وجل الصحابة فكان سبيلها سبيل المسائل المجمع عليها . قال الامام الشعبي وهو أحد الائمة الكبار أخذ « أي سواد العراق » عنوة وكذلك كل ارض الا الحصون فجلا أهلها فدعوا الى الصلح والذمة فأجابوا وتراجعوا فصاروا ذمة وعليهم الجزاء ولهم المنعة وذلك هو السنة كذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدومة »

ولا تظنن أن شرط المنعة في الجزية انما كان يقصد به مجرد تطييب نفوس أهل الذمة واسكان غيظهم ولم يقع به العمل قط فان من أمعن النظر في سير الصحابة واطلع على مجاري أحوالهم عرف من غير شك انهم لم يكتبوا عهدا ولا ذكروا شرطا الا وقد عضوا عليها بالنواجذ وافرغوا الجهد في الوفاء بها وكذلك فعلهم في الجزية التي يدور رحى الكلام عليها ـ فقد روى القاضي أبو يوسف في كتاب الخراج عن المكحول انه لما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا أشداء على عدو المسلمين وعيونا للمسلمين على اعدائهم فبعث أهل كل مدينة رسلهم يخبرونهم بأن الروم قد جمعوا جمعا لم ير مثله فأتى رؤساء أهل كل مدينة الامير الذي خلفه أبو عبيدة عليهم فأخبروه بذلك فكتب والي كل مدينة ممن خلفه أبو عبيدة الى ابي عبيدة يخبره بذلك وتتابعت الاخبار على ابي عبيدة فاشتد ذلك عليه وعلى المسلمين فكتب أبو عبيده الى كل وال ممن خلفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ماجبي منهم من الجزية والخراج وكتب اليهم أن يقولوا لهم انما رددنا عليكم أموالكم لانه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كان بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم . فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم الاموال التي جبوها منهم قالوا « ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئاً وأخذوا كل شيء بقي حتى لا يدعوا شيئاً »

وقال العلامة البلاذري في كتابه فتوح البلدان حدثني أبو جعفر الدمشقي قال حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال بلغني انه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من

وأما المسألة الثانية فيدلك على الحق فيها هذه النصوص التي ننقلها عن رسالة للشيخ شبلي النعماني العالم الشهير نشرت في أواخر السنة الاولى من المنار حقق فيها ما ذكرناه من كون الجزية جزاء الحماية والدفاع وأورد في الاستدلال على ذلك هذه النصوص المروية فقال :

ولعلك تطالبني باثبات بعض القضايا المنطوية في هذا البيان أي إثبات أن الجزية ما كانت تؤخذ من الذميين الا للقيام بحمايتهم والمدافعة عنهم وان الذميين لو أدخلوا في الجند أو تكفلوا أمر الدفاع لعفوا عن الجزية فان صدق ظني فاصغ الى الروايات التي تعطيك الثلج في هذا الباب وتحسم مادة القيل والقال .

(فمنها) ما كتب خالد بن الوليد لصلوبا ابن نسطونا حينما دخل الفرات وأوغل فيها وهذا نصه . « هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا ابن نسطونا وقومه اني عاهدتكم على الجزية والمنعة فلك الذمة والمنعة ومامنعناكم (أي حميناكم) فلنا الجزية والا فلا . كتب سنة اثنتي عشرة في صفر » (ومنها) ما كتب نواب العراق لاهل الذمة وهاك نصه « براءة لمن كان من كذا وكذا من الجزية التي صالحهم عليه خالد والمسلمون . لكم يد على من بدل صلح خالد ما أقررتم بالجزية وكننتم . أمانكم أمان وصلحكم صلح ونحن لكم على الوفاء » .

(ومنها) ما كتب أهل ذمة العراق لأمراء المسلمين وهذا نصه « انا قد أدينا الجزية التي عاهدنا عليها خالد على أن يمنعونا وأميرهم البغي من المسلمين وغيرهم » (ومنها) المقاولة التي كانت بين المسلمين و بين يزدجرد ملك فارس حينما وفدوا على يزدجرد وعرضوا عليه الاسلام وكان هذا في سنة أربع عشرة في عهد عمر بن الخطاب وكان من جملة كلام نعمان الذي كان رئيس الوفد « وان اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم والا قاتلناكم » . (ومنها) المقاولة التي كانت بين حذيفة بن محصن و بين رستم قائد الفرس وحذيفة هو الذي أرسله سعد بن أبي وقاص وافدا على رستم في سنة أربع عشرة في عهد عمر بن الخطاب وكان في جملة كلامه « أو الجزاء ونمنعكم ان احتجتم الى ذلك » فانظر الى هذه الروايات الموثوق بها كيف قارنوا بها بين الجزية والمنعة وكيف صرح خالد في كتابه بأنا لا نأخذ منكم الجزية إلا اذا منعناكم ودفعنا عنكم وان عجزنا عن ذلك فلا يجوز لنا أخذها

دهستان وسائر أهل جرجان ان لكم الذمة وعلينا المنعة على ان عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته عوضا عن جزائه ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ولا يغير شيء من ذلك ، شهد سواد بن قطبه وهند بن عمر وسماك بن مخرمة وعتيبة بن النهاس وكتب في سنة ١٠٨ اه « طبري » ص ٢٦٥٨

ومنها الكتاب الذي كتبه عتبة بن فرقد أحد عمال عمر بن الخطاب وهذا نصه:

« هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذر بيجان سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل مللها كلهم الامان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم على ان يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ومن حشر منهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك اه (طبري صحيفة ٢٢٦٢)

ومنها العهد الذي كان بين سراقة عامل عمر بن الخطاب وبين شهر براز كتب به سراقة الى عمر فأجازه وحسنه وهاك نصه :

« هذا ما أعطى سراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهر براز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وملتهم أن لا يضاروا ولا ينقضوا وعلى أرمينية والأبواب الطراء منهم والتناء (١) ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الوالي صلاحا على أن توضع الجزاء عمن أجاب الى ذلك ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل اذر بيجان من الجزاء فان حشروا وضع ذلك عنهم ، شهد عبد الرحمن بن ربيعة وسلمان بن ربيعة وبكير بن عبد الله وكتب مرضي بن مقرن وشهد اه (طبري صحيفة ٢٦٦٥ و٢٦٦٦)

ومنها ما كان من أمر الجراجمة وقد أتى العلامة البلاذري على جملة من تفاصيل أحوالهم فقال حدثني مشايخ من أهل انطاكية ان الجراجمة من مدينة على جبل لكام عند معدن الزاج فيما بين بياس وبوقا يقال لها الجرجومة وان أمرهم كان في

(١) الطراء الغرباء الذين يطرءون جمع طارئ والتناء المقيمون

الخراج،وقالوا « قدشغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم » فقال أهل حمص « لولايتكم وعدلكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم . ونهض اليهود فقالوا والتوراة لايدخل عامل هرقل مدينه حمص الا أن نغلب ونجهد فأغلقوا الابواب وحرسوها وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود وقالوا إن ظهر الروم واتباعهم على المسلمين صرنا على ما كنا عليه والا فانا على أمرنا مابقي للمسلمين عدد

وقال العلامة الازدي في كتابه فتوح الشام يذكر اقبال الروم على المسلمين ومسير أبي عبيدة من حمص « فلما أراد أن يشخص دعا حبيب بن مسلمة فقال اردد على القوم الذين كنا صالحناهم من أهل البلد ما كنا أخذنا منهم فانه لا ينبغي لنا إذ لا نمنعهم ان نأخذ منهم شيئا وقل لهم نحن ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح ولا نرجع عنه الا أن ترجعوا عنه وانما رددنا عليكم أموالكم لأنا كرهنا أن نأخذ أموالكم ولا نمنع بلادكم » فلما أصبح أمر النـاس ان يرتحلوا الى دمشق ودعا حبيب ابن مسلمة القوم الذين كانوا أخذوا منهم المال فأخذ يرد عليهم وأخبرهم بما قال أبو عبيدة وأخذ أهل البلد يقولون «ردكم الله الينا ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا الينا بل غصبونا وأخذوا مع هذا ماقدروا عليه من أموالنا » وقال أيضا يذكر دخول أبي عبيـدة دمشق « فأقام أبو عبيدة بدمشق يومين وأمر سويد بن كلثوم القرشي ان يرد على أهل دمشق ما كان اجتبي منهم الذين كانوا أمنوا وصالحوا فرد عليهم ما كان أخذ منهم وقال لهم المسلمون نحن على العهد الذي كان بيننا وبينكم ونحن معيدون لكم أمانا » ،

اما ما ادعينا من ان أهل الذمة اذا لم يشترطوا علينا المنعة أو شاركونا في الذب عن حريم الملك لا يطالبون بالجزية أصلا فعمدتنا في ذلك أيضا صنيع الصحابة وطريق عملهم فانهم أولى الناس بالتنبه لغرض الشارع وأحقهم بادراك سر الشريعة «والروايات في ذلك وان كانت جمة ولكن نكتفي هنا بقدر يسير يغني عن كثير (فمنها) كتاب العهد الذي كتبه سويد بن مقرن أحد قواد عمر بن الخطاب لرزبان وأهل دهستان وهاك نصه بعينه « هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزبان صول ابن رزبان وأهل

الحرية . وقد نقل الينا البرق والبريد في هذا العام ان الحكومة الانكليزية لم تمكن الكاثوليك من القيام بتقاليدهم الدينية في عيد الفصح . وجاء البرق في هذه الايام بأن تلاميذ المدارس البروتستانت والكاثوليك في ليفربول قد تشاجروا فيها تشاجرا ادى الى إقفال الحكومة خمسين مدرسة منها وان امهاتهم شاركنهم في هذا الجهاد الديني . وقد نشر في جريدة الاخبار أحد الكتاب مقالة في ذلك فكهة هذا نصها :

﴿ التعصب الديني الانكليزي ﴾

« هل الصغار غير الكبار »

جاء في نبأ برقي من لندن انه أقفلت خمسون مدرسة في لفربول لوقوع مشاجرات بين أولاد البروتستانت والكاثوليك اشتركت أمهاتهم فيها

فاذا فرضنا ان في كل مدرسة من هذه المدارس ١٠٠ تلميذ نصفهم متساهلون والنصف متعصبون فيكون عدد الذين اشتركوا في هذه المعركة — على أقل تقدير — ألفي تلميذ من صميم الناشئة الانكلوسا كسونية . أما أسلحتهم فأولها « البوكس » الانكليزي وثانيها « الرفس » بالجزم الانكليزية وثالثها المضاربة بأدوات المدارس من ألواح الاردواز والبراجل والمقاشط والمساطر وغيرها مما لا تخلو منها جعبة تلميذ

ولا بد ان حضرات الأمهات المتدينات المتعبدات المتقيات من طائفة البروتستانت حملن معهن الى هذه المعركة ما وجدنه امامهن من أحذية قديمة وأرجل كراسي مقشات وزجاجات فارغة . كما حملت بعض الكاثوليكيات الايقونات والصلبان تبركا وذخيرة لهذه الحرب الدينية المقدسة

ومع ان النبأ البرقي لم يأتنا بتفصيل واف عن أسباب هذه الحركة الصبيانية الملية التعصبية فانه لا شبهة في انها نشأت إما عن نفار مذهبي أو عن جدال ديني احتدم بين هؤلاء الصغار فازدرى به المدرسون لما هو مشهور عن أكثرهم من التباعد عن التداخل في كل أمر غير الفرض المدرسي

أما الأمهات المصونات فالراجح انهن أتين لمساعدة أولادهن وانقاذهن من خطر الملاكمة ثم رأين الحاجة داعية الى المداخلة الفعلية فتضاربن

استيلاء الروم على الشام وانطاكية الى بطريق انطاكية وواليها فلما قدم أبو عبيدة انطاكية وفتحها لزموا مدينتهم وهموا باللحاق بالروم إذ خافوا على أنفسهم فلم يتنبه المسلمون لهم ولم ينبهوا عليهم ثم ان أهل انطاكية نقضوا وغدروا فوجه اليهم أبو عبيدة من فتحها ثانية وولاها بعد فتحها حبيب بن مسلم الفهري فغزا الجرجومة فلم يقاتله أهلها ولكنهم بدروا بطلب الأمان والصلح فصالحوه على ان يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا ومسالح في جبل اللكام وان لا يؤخذوا بالجزية ؛ ثم ان الجراجمة مع انهم لم يوفوا ونقضوا العهد غير مرة لم يؤخذوا بالجزية قط حتى أن بعض العمال في عهد الواثق بالله العباسي ألزمهم جزية رءوسهم فرفعوا ذلك إلى الواثق فأمر باسقاطها عنهم اه

(المنار) لفظ المنع في هذه الكتب والعهود معناه الحماية كما اشرنا الى ذلك في رواية منها

التعصب الديني في اوربا

تتهم أوربا أهل الشرق عامة والمسلمين خاصة بالغلو في التعصب الديني الذي يفضي الى إيذاء المخالف في الدين او المذهب وغمط حقوقه . وقد كتبنا في المجلد الأول من المنار مقالات بينا فيها ان مهد التعصب هوأوربا وان الشرقيين عامة والمسلمين خاصة لا يبلغون مدّ اوربا ولا صاعها ولا يردها ولا مترها في التعصب . وحسبك انها اكرهت جميع من كان فيها من الوثنيين ثم من المسلمين على النصرانية الا من هاجر وترك أرضه وماله من حيث بقيت جميع الاديان في الشرق لا سيما الممالك الاسلامية منه . ثم إنها سفكت من الدماء الغزيرة لاجل الخلاف في المذاهب النصرانيــة نفسها مالم يعرف له نظير في الشرق . وقد انقلبت فيها حين الاجتماع بالعلوم والأعمال الدنوية وكثر الملحدون واعطت اكثر الحكومات الاوربية الحرية حقها في كل شيء ولم يقو ذلك كله على محو التعصب الديني لا من مثل روسية التي لا تزال حكومتها نفسها متعصبة فقط بل من مثل انكلترا امريكا في

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين – لليافعي ﴾

٥

بقية بحث احاديث الا حاد وكونها من اصول الدين

قال في الاعتراض الثالث من هذه الكلمة فكأنهم يثبتون صحة الروايات، بعدالة الرجال ثم يثبتون عدالة الرجال بالروايات مما لا يخفى على احد فساد ذلك — الى قوله — وربما اداّنا ذلك الى التسلسل أو الدور في البرهان

واقول ان هذه مغالطة من الفاضل ايضا اذ لا يلزم ذلك اللاهم الا اذا كان المعدل والجارح لغيره هو المعدل لنفسه امّا اذا كان المعدل والجارح قد عرفت عدالته بالاجماع ونقل هذا الاجماع بالإجماع او بما يقاربه كالتواتر بل لو نقلت عدالته باسانيد أخر فلا فساد ولا يلزم شيء مما ذكر الفاضل .

وقوله ان اكثر هذه الروايات مقتضبة الى آخره . فجوابه انهم (رح) يروون ما تلقوه على نحو ما يسمعون فما كان له سبب ذكروه وهو كثير انما قد يترك بعضهم ذلك لسبب ومناسبة حيث لم ير لذلك ضرورة ولذلك تراه في موضع آخر يذكر السبب والمناسبة وقلّ ان يهملوا ذلك . وامّا ما كان يلقيه عليهم (ص) بما يشبه التعليم والتشريع العام فلا يلزم ان يطلب له سبب وا كثر الاحاديث وآيات الاحكام كذلك فلا محذور

أما قوله وقد ايدنا فيه الاستاذ الكبير العلامة المحقق صاحب المنار الاغر فنقول فيه ان كان يعني ما كتبه شيخ الاسلام المذكور على اثر ما كتبه اخونا العلامة خاتمة المحققين رفيق بك العظم حفظهما الله . فنحن قدرأينا ذلك ولم نر فيه تأييدا لحضرة

ولو لم يكن الخطب جللا لما أقفلت ٥٠ مدرسة دفعة واحدة حتى لا يعود التلاميذ الى المخاصمة فالمقاتلة . وربما كانت العودة داعية الى اشتعال نيران الحقد الديني بين غيرهم من تلاميذ المدارس التجهيزية فالجامعة الذي يبلغ عدد طلبتها ٧٩٠ طالبا لان الكل منقسمون الى بروتستانت وكاثوليك وما أثر في التلاميذ الصغار يؤثر فيهم . وبذلك يعبد الانكليز أيام الحروب الدينية ويبرهنون لنا على ان ذاك الرقي المدني الهائل وحفظ أشعارشا كسبير وامتلاك المستعمرات التي لا تغيب عنها شمس لم ينفع في تربية الاخلاق وان دعوى اللورد كرومر بأن بلاد الشرق عامة ومصر خاصة مهبط التعصب الديني دعوى يكذبها اليوم فعل أبناء ليفربول الذين تجمعهم الجامعة الوطنية وتضمهم مدرسة واحدة ولم يحضر منهم أحد الى مصر ليتلقى دروس التعصب من المسلمين والاقباط

واذا كان صغار الامة عنوان كبارها وصورة لاخلاقهم فلا مراء في ان هؤلاء الانكليز يحملون لبعضهم من الاحقاد الدينية اثقالا مثقلة . لان تربيتهم البيتية والمدرسية متشابهة وما يتعلمونه مع شاي ليبتون ووسكي بوكانان هنا وهناك مساو تماما لما يتلقنه صغار ليفربول الذين لم يكادوا يشبون عن الطوق حتى عرفوا كيف يتعصب فريق منهم للوثير وفريق للقديس بطرس والفضل في ذلك راجع الى السيدات المهذبات اللائي لا يكتفين بحقوقهن بل يطالبن بأن يكن مساويات للرجال في حق الانتخابات السياسية

ولا يقتصر التعصب على هؤلاء الانكليز من الامم التي نظنها أرقى منا طباع وأفضل اخلاقا بل يشترك فيها الفرنسوي والايطالي والالماني والروسي - بنوع أخص — فاذا درست أخلاق أحدهم تجده يقطر تعصبا دينيا جنسيا وان لم يكن متدينا وذلك بحكم المعاشرة والروابط الاجتماعية والبيتية

فالتعصب صفة من صفات الانسانية لم يقو العلم ولا التربية على استئصال شأفتها من النفوس . وربما متنا ومات أبناؤنا واحفادنا قبل ان نصل إلى درجة ننسى فيها التعصب (أحد المتعصبين)

المذكورة الا خوف الالتباس بالمصحف و بعضهم لم يقل الاجردوا القرآن

فالاصل الذي بني عليه الفاضل الدكتور مذهبه انمـا هو احتمال من عنده وظن توهمه لم يسبقه الى تخيله أحد من اتباع محمد (ص) بل قولهم وعملهم وأمرهم يناقضه مناقضة النقيض لنقيضه وما هذا حاله لا يصح فرضه ــ على انه لو لم يوجد عنهم ما يناقضه فلا يصح ان يجعل مثل ماهذا حاله أصلاً لمخالفته نصوص القرآن ــ بل لو لم يوجد في القرآن ما يناقضه فلا يصح كذلك لمخالفته ما يوجبه العقل للرسل صلوات الله وسلامه عليهم ــ ولو تغاضينا عن ذلك كله فغايته ان يكون احتمالا من جملة احتمالات قاله غير معصوم خالف اجماع المسلمين والله جـلّ شأنه قد ذم من يتبع غير سبيلهم وتهدده ــ فما رأيك باحتمال هذا حاله كيف يعول عليـه أم كيف يسوغ للمنصفين الاعتماد عليه والمفاضلة دونه وهو على كل تقدير ومهما فرض فاسد مدفوع . فهذا بعض مانقوله في شبهة الفاضل في عدم كتابة الحديث وقد ذكرنا بعض أدلته في رسالتنا السابقة والمقام جـدير بالاطالة ولكن فيما ذكرناه كفاية لمن يريد الله له الهداية

اما من بعـد الصحابة من رجال الأسانيد والأئمة المحدثين الذين رووا عن الصحابة (رض) وروى عنهم من بعـدهم من الائمة كذلك فهـم الذين كتبوا الأحاديث واجمعوا على كتابتها وكانوا كلهم رحمهم الله يكتبون وكان المحدثون (رح) يكتبون كل مروياتهم عن الشيخ حين الدرس يكتب ذلك الطلبة كلهم ويقابلون ويصححون على الشيخ أو من كتابه كل ذلك يكون بغاية الاحتياط مـع كمال الفحص والتنقيب عن كل راو وعن كل ما يحدث به

فان قيل اذا كان الامر كذلك لم لم تكن جميع الاحاديث بنقل الجموع والتواتر قلنا ان الاحاديث الصحاح هي هكذا في نفس الامر ودليله تلقيهـم ذلك بالقبول ــ وسبب كونها آحادا انما هو لان أهل الكتب المعتبرة لا يثبتون الا ما يرويه الاثبات الضابطون ومن سواهم لا يروون عنه لئلاّ يغتر به من لم يعرف حاله تقليدا لمن روى عنه ــ ولانهم يختارون الاختصار فلذا وذلك كانوا يختارون في مصنفاتهم الأمثل من الاسانيد ويتركون ما سواه ــ ونحن قد قلنا انهـم لو اختاروا طريقة

الدكتور الفاضل وغايته ان يكون رجح ان ما كتبه المحييون لم يدفع الشبهة تماما على ان حضرة العلامة المحقق رفيق بك العظم حفظه الله انما ذكر تاريخ الكتابة عند العرب و بين بعض حالاتها في الاسلام وذلك في خطبة ألقاها والخطب لا تحتمل الاستقصاء في الاستدلال او ان يغاص فيها وراء عويصات المسائل .

ونقول أيضا قد عرفت مما كتبناه سابقا وماقدمناه حال الصحابة (رض) في الرواية عن رسول الله (ص) وانهم كيف يروون عنه (ص) وعرفت انه كيف كان يبين لهم وعرفت ان حفظهم لما رويا عنهم ليس بالمستبعد وأن المكثرين منهم وغير المكثرين قد كتبوا في حياته أو استكتبوا وهم لم يزالوا يكتبون بعد وفاته ما فات بعضهم عن البعض الآخر . والفاضل الدكتور هو ان قدر ان يثبت كراهية بعضهم فهولا يستطيع يبين علة منصوصة لذلك غير ما ذكرناها عنهم في رسالتنا السابقة . وقلنا ان من كره ذلك فانما كره ان يكتب رأيه اما احاديث النبي (ص) فقد كتبها كثير منهم بمرأى ومسمع منه (ص) ومنهم (رض) فلم ينكر (ص) ذلك ولا هم انكروا ذلك . ولم يتلف بعضهم ما عند البعض الآخر بالاحراق وغايته ان بعضهم اتلف مكتوبات نفسه ورأيه وهذا بخلاف فعلهم بالقرآن الذي كان عند بعضهم غير ما اجمعوا عليه . و بذلك يظهر ظهورا لاغبار عليه ان كتابة الحديث لم تكن في معتقدهم مكروهة مطلقا وحاشاهم من ذلك -- فقد كان الخلفاء الاربعة (رض) وغيرهم من كبار الصحابة (رض) اذا وقعت واقعة ووجدوا فيها حديثا عن رسول الله (ص) لا يعدلون به سواه بل يحكمون بمقتضاه و يحفظونه و يكتبونه في رسائلهم الى عمالهم فكتابة الحديث بالصفة التي ذكرناها كانت من عملهم ومما أجمعوا عليه فعلا وتقديرا

وغاية ما يثبت عن بعضهم انه كره كتابته في كتاب واحد لا يرجع الى سواه ويكون مرتبا كما كتب القرآن يعمل به الناس ويتركوا ما لم يكن فيه — على انهم قد عزموا على ذلك وكان ميل أكثرهم الى الفعل ومن كره ذلك فانما كرهه رجوعا بعد الموافقة على الكتابة ومع ذلك هو لم يكرهها ويتركها لأجل ان الحديث شريعة موقتة ولم يستدل على الترك بما يدل على انه فهم ان الأحاديث شرعية موقتة كما بينا ذلك في رسالتنا السابقة — وهم قد صرحوا بانهم لم يتركوا كتابة الحديث بالصفة

الثقات الضابطين مثل ما ذمه الله عن المشركين في هذه الآيات ؟ وما لم تتحد العلة ويعلم انتفاء المانع لا يصح القياس

والفاضل حفظه الله كثيراً ما يستدل بهذه الآية ونحوها على رد وذم العمل بالاحاديث الصحاح في زعمه . وقد سبقه الى الاستدلال بها على ذلك الخوارج . واستدل بها بعض العلماء على رد القياس المساوي والاولوي و بعضهم على رد وجوب الاخذ بالعمومات القرآنية مطلقا أو الذي قد وقع فيها تخصيص أو احتمال وعلى رد الاخذ بالاستصحاب وعلى رد الاجتهاد بترجيح احد الاحتمالين الراجح . واستدلالهم على ذلك اظهر من استدلال الفاضل على ما نحن بصدده فليسلم بما هو اولى من استدلاله . فان سلم لزمه القول بان ما سوى المنصوص في القرآن ليس من الدين مطلقا ولا يجوز العمل به . وعليه فلا ندري ماذا يقول في الوقائع التي لم ينص عليها القرآن . انه مهما يريد ان يقول فيها فالحديث اولى من قوله ورأيه واقرب الى العلم واليقين منه . والا لزمه ان الدين ناقص غير كاف لفصل كل ما وقع

ونقول ان ما استدل به هؤلاء المشركون قد سماه الله ظنا وذمهم عليه . واذا كان الظن يطلق على الراجح من الاحتمالين وعلى المتردد بينهما على السواء وهو الشك وعلى ما هو دون ذلك كالوهم والخرز والخرص ونحوه فهو مشترك لفظي انما يدل على ما يراد منه بقرينة على الراجح ولما كانت هذه المعاني متفاوتة ومختلفة الحقائق فلا يصح ان يقاس هذا منها على ذاك الا اذا استكملت شروط القياس كاتحاد العلة وان لا يكون في المقيس او المقيس عليه وصف يصلح ان يناط به حكم غير الحكم الذي يراد ان يطرد فيها مع عدم المانع كذلك . ومن صحح النظر فيما ذمته هذه الآية يرى انه لا يصح قياس الاحاديث الصحيحة عليه بوجه من الوجوه مطلقا وكذلك العمومات والقياس والاستصحاب ونحوه كل ذلك لا تدل الآية على ذمه . وهذه لا تتعارض بل هي مرتبة واعلاها نص القرآن ثم نص الحديث وهذا الثاني مقدم على العموم مطلقا وقيل على العموم الذي قد تطرقه الاحتمال وليس شيء من هذه الاشياء من الظن المذموم حتى عند من يجعل كل ذلك من الظن . لان كل ما ذمه الله تعالى من الظن في غير هذه الآية من كتابه فانما هو شقيق ما

التواترية لكان كل حديث أو أكثر الاحاديث متواترة في أكثر الطبقات فليتأمل الناظر . وان أراد مصداق ما ذكرنا فليفرض أي حديث مما اتفقوا على صحته ثم ليتتبع طرقه في كتبهم فلا نشك انه حينئذ يوافقنا على ما قلناه — على انه ان وجد في اثناء سنده تفرد راو فذلك الراوي لا بد وان يكون ممن أجمع على حفظه واعتباره وكماله وضبطه بالكتابة ورب رجل يعدل رجالا فتفكر

قال حضرة الفاضل في الكلمة الخامسة ما مؤداه ان المسلمين خالفوا القرآن بإيجابهم العمل بالاحاديث الى آخره — واستدل ببعض آيات في ذم الظن الذي أجبنا عنها في رسالتنا السابقة وزيادة على ذلك نقول قد قدمنا في هذه الجملة المختصرة الادلة القطعية على ان أخبار الآحاد ليست مما تفيد الظن فقط بل هي تفيد اليقين أيضا — فلا بد للفاضل ان ينقض ذلك أولا بأدلة أصح مما سقناها — ثم لا بد له من أدلة جديدة تدل على ان جميع أحاديث الآحاد الثقات الضابطين الذين تنطبق عليهم شرائط أهل الحديث لا تفيد العلم ولو لبعض الناس — ثم لا بد له من دليل يدل على ان المراد بالظن في هذه الآيات ما يرى انه الظن الراجح — وبدون ذلك لا يصح ولا يتم له الاستدلال بهذه الآيات على رد العمل بالاحاديث — نحن لا نرى ان هذه الآيات مما تدل على ذم العمل بالاحاديث ومن أراد ذلك منها فقد حملها مالا تحمله — لان من تفكر في هذه الآيات وامعن النظر فيما اشتملت عليه مما سماه الله ظنا فيها يراه لا محالة انما هو مما يسميه الناس في زماننا هذا بالشك فالقرآن انما يذم ما يكون بمرتبة الشك بل بمرتبة الوهم والخرص فقوله تعالى « سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء » هو استدلال منهم بالمشيئة والقضاء والقدر الذي لم يعرفوا سره ولا ماهو ولا آمنوا به على رد وانكار دين الله وشرعه وعلى تكذيب رسوله (ص) فكأنهم يقولون ان كل ما فعلناه هو حسن ودين مقبول عند الله حتى الغصب والسرقة وقتل النفس التي حرم الله الى غير ذلك مما يقوله اخوانهم الجبرية اليوم فهل يصح هذا الاستدلال ؟ وهل هو ظن راجح ؟ وما المرجح ؟ وهل أخبار

ابن القيم رحمه الله مع تجويزه النسخ بجميع اقسامه ما معناه ان كل ما يظنه الناس معارضة بين السنة والقرآن فليس الامر كما يظنون بل لا بد ان تكون السنة مبينة لآية من القرآن هي في الحقيقة ناسخة او مخصصة لما يظن منه أن السنة خصصته او قيدته وعلى كل تقدير فاهل العلم كلهم متفقون هؤلاء وهؤلاء على انه لا يجوز اهمال وإلغاء شيء مما صح عن النبي (ص) سيان من جوز وقوع المعارضة ومن التمس لها موافقة من آيات الكتاب العزيز لان المرمى والمحط واحد

قال الاخ الفاضل حرموا اكل الحمر الاهلية للحديث مع ان الله يقول « قل لا اجد فيما اوحي اليّ محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الآية . ويقول «انما حرم عليكم الميتة والدم » الآية الخ واقول ان الحصر في هاتين الآيتين قد عارضته آيات أخرى في القرآن نفسه (* واذا اخذ المطعوم المحرم اعم من لحم الحيوان فالمعارض اكثر . وحينئذ إما ان يقال الحصر منسوخ او مخصوص بوقت نزولها وكلا التقديرين مخالف لمذهب الفاضل لعدم تجويزه النسخ أي وقوعه ، ولقوله ان الخصوص بوقت دون وقت لا يكون في القرآن وانما يكون في الحديث لانه أي الحديث شريعة موقتة بزعمه وهو هنا لا محيص له من التزام أحد الاحتمالين رضي ام ابي

ثم نقول اذا كان الحصر منسوخا أو مقيدا بحين النزول فلا يكون الحديث المذكور معارضا لنص القرآن المحكم بلا خلاف وانما هو من باب الزيادة على ما في القرآن او ما سكت عنه ومن لا يجوز ذلك فقوله غير مؤيد بحجة ولا بشبه حجة على أنا نقول ان الله حرم الخبائث والخبيث في القرآن كما حرم الانفاق منه فلم لا يجوز ان يكون لحم الحمر الاهلية من ذلك والحديث مبين لما اجملت تلك الآيات وبذلك يندفع الاعتراض من اصله

قال الفاضل قالوا بحرمة الذهب والفضة والحرير للاحاديث التي رووها والقرآن يقول «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » الآية قلت وليس الامر كما أطلق وأهل الحق (رح) لم يحرموا الا الاكل والشرب في آنية الذهب والفضة وعلى الرجال لبس الذهب في غير السلاح والحرير الخالص لغير الضرورة

*) المنار : ليته بين المعارضة بالشواهد كما تعودنا من إسهابه

ذمه في هذه الآية ولئلا يدخل في ذلك الظن الراجح كالقياس وما ذكرناه بعده ونحو ذلك ايضا قوله تعالى « ان بعض الظن اثم » أي بعض الظن الذي هو بمثابة ظن المشركين غير المستند الى حجة ترجحه فهو اثم لانه من ظن ضعفاء العقول الذين ليس لديهم علم و بصيرة وانما هم يخرصون بالخرز والوهم الكاذب ومفهوم الآية ان البعض الآخر أي كالظن الراجح ونحوه ليس كذلك وحينئذ نقول إما ان يجعل الظن مراتب لا يتناول حكم احداها الاخرى وذلك مثل ما قلناسابقا أو يجعل كالمتواطئ في افراده وهذا مع ضعفه فالظن الراجح مستثني كما عرفت ايضا ، وإما ان يجعل كل ما هو نظير ومثيل ما ذمهم عليه هو الظن وكل ما كان مدركه أقوى مما ذكره الله عن المشركين وذمهم عليه هو من العلم وعلى كل تقدير فاستدلال الفاضل الدكتور بهذه الآية ونحوها على ذم العمل بالاحاديث الصحاح فاسد فما ذمه الله عن المشركين في واد والاحاديث في واد آخر . وبما ذكرناه تنحل عقدة الاشكال التي كثيرا ما تورد مثل هذه المسائل فتأمل ذلك واشكر الله على افضاله

قال اخونا الفاضل وقد اقر الاستاذ الفاضل الشيخ اليافعي بان الظن انما يذم اذا عارضنا به الامر القطعي . ثم رد علي بأني ومن على مذهبي كثيرا ما اعارض نصوص القرآن الشريف الصريحة واخالفها لاجل الاحاديث الآحاد . الى قوله واليك بعض الامثلة على ذلك .

وأقول في الجواب قد قدمنا الكلام على آية الوصية للوالدين والاقربين الوارثين . وهنا نقول للاخ المكرم حفظه الله ان تجويز معارضة نص القرآن بالحديث الصحيح لم يقل احد من المسلمين به فيما اعلم والحقير لا يقول به أيضا هذا فصل (الثاني) ان من جوز نسخ القرآن بالسنة متواترة كانت او مشهورة او آحادية لا يلزمه ان يقول بوقوع ذلك فعلا (الثالث) ان من يجوز نسخ القرآن بالحديث الصحيح هو لم يعارض به نص القرآن وانما اذا صح حديث عن رسول الله (ص) متأخر عن نزول آية ولم يمكن التوفيق بينهما فالمعارضة انما هي بين الحديث واستمرار الحكم أي بقائه او عمومه واطلاقه وقد اختلف في الاول كبار العلماء (رح) وقد قدمنا بعض الكلام على ذلك اما الثاني والثالث فقد قال بجوازه ووقوعه الجمهور لكن قال شيخنا

القرآن بتحريم محرمات لم تذكر في هذه الآية كالمشركة وزواج الأمة لمن يقدر على زواج الحرة والزانيـــة والملاعنة والمطلقة ثلاثا حتى تنكح زوجا غيره ــ والعقد بالربيبة قبل ان يطلق أمها ويدخل بها على خلاف في ذلك بين العلماء ــ كما اختلفوا في المشار اليه في قوله « ما وراء ذلكم » وقد اختلفت طرق أهل العلم في الرد عليهم . ونحن إذا ناقشناهم الحساب قلنا لهم ان الله ذكر ما ذكر من المحرمات منبها بها على ما لم يذكره مما اتحدت فيه علة التحريم — وليس المراد الحصر بالعدّ ، ولا اقامته مقام الرسم والحد، وبناء على ذلك نقول ان الله لم يذكر الجدات ولا بنات الاولاد ولا أم المرضعة ولا بنات الأخت والأخ من الرضاعة ولا سائر من يحرمن من الرضاعة فكما انه لم يصرح بذكر من ذكرناهن وهن محرمات غير داخلات في قوله «وأحلّ لكم ما وراء ذلكم» فكذلك تحريم ان تنكح المرأة على عمتها أو خالتها من كل امرأة لو فرضت ذكرا حرمت على الأخرى ــ لا يحل ان تنكح عليها ــ فقوله « وان تجمعوا بين الأختين » لا يأبى دخول الجمع بين أحدهما وبنت أختها وأخيها في المنع والنهي بل دخولها ظاهر لاهل العلم بالقرآن لاسيما وقد دل الحديث الصحيح أو المتواتر عند بعضهم على ذلك

ولو سلمنا بالمعارضة فهي ليست لنص الآية . وانما هي بين عمومها أو استمرار الحكم وتأبيده وهو ظني كما تقدم والحديث أقل حالاته ان يكون أرجح واذا وقعت المعارضة فالجمع بين الدليلين هو الواجب اذا أمكن والا لزم اهمال أحدهما بلا موجب وهو لا يجوز . هذا على قول من يقول ان الاحاديث الصحاح انما تفيد الظن اما على ما اعتمدناه من انها قد تفيدنا العلم فالامر واضح ظاهر ولا قباحة فيه

قال الفاضل حفظه الله أوجبوا القتل مطلقا على من ارتد عن الاسلام للحديث والقرآن يقول « لا اكراه في الدين» فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . وأقول قوله أوجبوا القتل مطلقا ليس بصحيح على اطلاقه ــ بل لو منع الامام عن قتل المرتد لمصلحة كهادنة ومعاهدة ومأمنة بشروط ألجئ اليها لا يجوز قتله فقتل المرتد قد يختلف حكمه باختلاف الحالات وهذا الاختلاف الذي قد يرى انه تسهيل في

والآية ليست نصاً في تحليل ذلك بل لم يذكر فيها شيء من ذلك بخصوصه وكان سبب نزولها في زينة مخصوصة حرمها المشركون وهي ستر العورة فكانوا لايجيزون بل يحرمون سترها عند الطواف وكانوا يحرمون بعض الرزق الطيب فأمر الله عباده المؤمنين ان يأخذوا زينتهم عند كل مسجد وان يأكلوا ويشربوا من الطيبات من الرزق ونهاهم عن الاسراف في الامرين أي اللباس والاكل والشرب ورد على المشركين بأن قال لنبيه (ص) قل لهم أي أسئلهم من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية فالآية لا يعارضها الحديث لما عرفت ان ماأحل لنا من ذلك هو مقيد بعدم الاسراف وأيضا قوله « من حرم زينة الله التي أخرج لعباده » المراد بالزينة فيه الزينة التي أمرهم بأخذها عند كل مسجد وتلك معلومة لدى المخاطبين (رض) لم تكن هي ذهبا وفضة ولا حريرا ، على ان ماسوى الاكل والشرب في آنية النقدين من كل استعمال لما ذكره جائز للنساء وهن ممن يدخل في الخطاب وأيضا كل مايطلق عليه لفظ الزينة لايمكن الدكتور ان يجوزه لكل أحد بلا تقييد ولا نظنه يجوز للرجال لبس النساء ولا العكس مطلقا واذا كان الامر كذلك فكان الاولى به ان لايعترض علينا بهذه الآية في الاحاديث لاسيما وقد عرفت ان آخر الآية انما هو مبني على ماذكره في أولها

ان من يعارض الاحاديث ويحلل كل مايطلق عليه لفظ الزينة بهذه الآية قوله أشبه شيء بقول من يجوز أكل وشرب وتناول واستعمال كل ماعلى الارض وكل مايخرج منها بقوله تعالى « هو الذي خلق لكم مافي الارض جميعا » الآية فكما ان هذا لايصح فتحليل استعمال كل زينة بكل صفة لايجوز مثله والآية لاتدل عليه

قال حرموا ان تنكح المرأة على عمتها وخالتها وخالفوا قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلكم » الى قوله بعد ان ذكر سائر المحرمات وليس من بينهن المرأة على عمتها أو خالتها . وأقول هذه الآية قد دندن حولها الخوارج وأطالوا بما لا طائل تحته وقد خالفوا اجماع من تقدم عليهم علما وفضلا وخالفوا نصوص رسول الله (ص) والنبي (ص) قد حذر منهم وذمهم وقال انهم يمرقون من الدين استدلوا بعموم قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلكم » وهو غير مراد على اطلاقه لوجود نصوص

وجنابكم تعلمون اني اظن حضرتكم محباً مخلصاً للاسلام والمسلمين فلذلك اكلفكم في بعض الاحيان تكليفا ما - واطالع مقالاتكم وكل ما تسطرون في امر الاسلام والمسلمين بمزيد العناية والتبجيل بل واسعى في اشاعته جهد طاقتي وحسب استطاعتي ليستفيد العالم الاسلامي الهندي من آرائكم الحكيمة - وكذلك لا اشك في كون حضرة ثلي فهمي كامل بك ايضا محبا غيورا للملة والوطن - ولكن اعذروني ياسيدي بأني لا أرى بدا من ان أقول لكم كلمة صادقة - وهي انني كنت دائما لا أرى رأيكم صحيحاً في امر السلطان المخلوع وان ما كتبتم في العدد الاخير من مجلة المنار فقد قرأته بكمال الاسف والحيرة - وليكن في علم حضرتكم اني لا اظن عبد الحميد ملكاً معصوماً - بل أرى فيه من حيث انسان من التقصيرات ومواقع الضعف البشري ما يجب ان يؤخذ عليها - ولا يخفى عليكم وعلى الذين طالعوا كتابنا تاريخ مشروع السكة الحجازية بانني اول من كتب بالصراحة التامة في ذم عمال عبد الحميد وعدم كفاياتهم حين لم تكن في استطاعة أي جريدة من جرائد مصر وسوريا ان تكتب في هذا الباب بمثل تلك الصراحة - لاني كتبت ذلك في شهر يناير سنة ١٩٠٨ وأظنكم غير ناسين ما جريات مشروع السكة الحجازية فانه لما شاع اقتراحي هذا اول مرة خالفه السلطان عبد الحميد اشد الخلاف وكتبت جريدته الرسمية «المعلومات» ان هذا المشروع يكون اشد ضرراً للدولة العلية ولكن يغفر الله للمشيرين المرحومين شاكر باشا وعثمان باشا غازي فانهما بعد أن تأثرا من مكتوباتي المتوالية ايدا المشروع حق تأييده وكانت نتيجته ما كان

ان حضرتكم وحضرة محرر جريدة اللواء تقولان ان مخلصكم هذا (محرر جريدة وطن) ومسلمي الهند لا يعلمون من الحالات الاصلية للدولة شيئا - فاقول بكل الادب ان قياسكما هذا ليس بصحيح فان سوء ادارة ولاية الحجاز والحالة السقيمة التي كانت لا حقة للجيش العثماني المرابط في الولايات البعيدة - والمظالم التي كانت تجلبها يد الجاسوسية على البلاد والعباد كانت حديث كل ناد من اندية القوم في الهند والسند وأفغانستان ولم يكن الفرق غير اننا كنا خبيرين بذلك والعثمانيون هم واقعون تحت نير هذا الاستبداد عملا يذوق بعضهم من طعمها المر ويتأوه من شدائد هذا المظالم

بعض الاوقات والاحوال — انما يستفاد من الاحاديث والسنن لا من القرآن ومن تفكر فيما اشتمل عليه صلح الحديبية من الاحكام عرف ذلك فلنكتف بالاشارة اليه

أما ماذكره حضرة الفاضل فهو ليس في حكم المرتد وانما الآية الاولى في شأن الكفار من أهل الكتاب هل يجبرون على الاسلام أم لا وأما الآية الثانية فليس فيها تجويز الكفر لهم ولا حكم الاكراه لهم منابل هو مسكوت عنه كله انما هو في الكافر الاصلي فالأيراد ليس في محله ·

ونحن نسأل حضرة الفاضل هل يقول باقامة الحدود والتعزيرات على فعل بعض الواجبات والفرائض الذي اجمع عليه المسلمون ودل عليه الكتاب والسنة كما قال « تعالى فإن تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم » الى غير ذلك مما يدل على ان المسلم يجبر على التدين والخضوع لاحكام الدين ؟ ام هو يقول بعدم جواز اقامة الحدود ونحوها ؟ فان قال بالاول وهو ظننا به فقد وافقنا ونقض اعتراضه بنفسه والا كان مخالفا وواقعا في أقبح مما ظن وزعم انّ غيره واقع فيه

(لها بقية)

الانقلاب العثماني الميمون

﴿ ورأي صاحب جريدة وطن الهندية فيه وفي عبدالحميد خان ﴾

أرسل الينا صديقنا الغيور مولوي محمد انشاء الله صاحب جريدة «وطن» الهندية ما يأتي فننشره مع تصحيح قليل لبعض الالفاظ من جهة اللغة والنحو ونجيبه عنه وهو

حضرة الصديق الفاضل :

استلمت كتابكم الخصوصي مع العدد الرابع من مجلة المنار وشكرت فضلكم وقد وصلني في نفس ذلك البريد اعداد من جريدة اللواء ايضا خلاف المعهود وقد نشرت هذه الجريدة كتابي في أحد اعدادها وردّت عليه في العدد الآخر حسب ما رأت فاشكره على لطفه ايضا

نزعة او سكة حديدية ايضا يفتخر بها العصر الحميدي الى الابد» ولعلكم تتعجبون من سماع هذا الامر ان جريدتي « وطن » كانت ممنوعة الدخول في الاستانة و بعض الممالك المحروسة كجريدة « وطن» المصرية وان كانت جريدتي لا يكون فيها غير مدح عبد الحميد وتأييد الخلافة العثمانية شيئا — بل هي مخصوصة لذلك الامر

ولكن مع ذلك كله اعتقد انا وجميع مسلمي الهند بوثوق تام ان تركيا الفتاة أو الامة العثمانية قد ارتكبت خطأ جسيما في عزل عبد الحميد بل كفرت نعمة الله تعالى وقد علمتم من صاحبزاده عبد القيوم عظيم الافغان ان الصدمة التي احس بها مسلمو أفغانستان والهند من عزل عبد الحميد كيف كانت شديدة عليهم وكل يوم يرد علي من الكتب من اقطار الهند مالا استطيع نشره في الجريدة وفيها مافيها من اظهار التألم والتأثر في النفس — وأخاف لو نشرت افكار المنار واللواء في جريدتي أن تأتي غالبا بما هو عكس المقصود — واسمحوا لي ان اقول لكم بكل الاسف ان ما كتبتم حضرتكم تعليقا على مقالتي أو في مكان آخر من مجلتكم هو خارج عن حد الاعتدال يشف عن ميلكم الى الاتحاديين ولذلك ترمونني وجميع مسلمي الهند بالجهل بأحوال الدولة العلية — ان حضرتكم أو حزب تركيا الفتاة أو الرجعيين من العثمانيين الذين يرومون عود عصر الاستبداد — كلكم من المناظرين اوفريق من المتخاصمين لا تستطيعون ان تبدوا او تقيموا رأيا صحيحا واما نحن معاشر المسلمين في الهند ففي وسعنا ان نقيم الرأي الصحيح لاننا لسنا من فريق ولا واسطة لنا بهم غير الاخوة الاسلامية والتعلق الادبي الذي هو روح الاسلام — وانكم مثل الجندي الذي يكافح و يناطح الاعداء في ميدان القتال لا يرى غير ما يكون حواليه ولا يكون همه الا قتل مبارزيه ونحن كالمتفرجين من بعيد نرى كل ما يجري بين الفريقين المتحاربين — وانكم من الذين آذاهم العصر الحميدي حتى اضطروا لترك الاهل والوطن فلا بد انكم تسرون بزوال السبب الذي جر عليكم هذه البلاد وان يكن هو السبب البعيد والقريب غيره والا فلم يكن يليق بحضرتكم ان تصوبوا سهام آيات الانذار من القرآن الكريم الى عبد الحميد الذي لم يبق له (شيء من) الحول ولا الطول وهو الآن تحت مرحمة أعدائه الذين لا تشفى غلهم الا بشرب دمه

والاسلام — وتعلمون حضرتكم حق العلم ان مسلمي الهند لم يكونوا بوجه ما منعما عليهم من السلطان المخلوع ولا مرهونين بهمة من الامة التركية . ان الاتراك أو الخليفة لم تعط ولا درهما واحدا في اعانة مسلمي الهند حين ما ابتلوا ببلاء او انتابتهم نائبة مع ان مسلمي الهند لم يقصروا قط في مديد الاعانة للعثمانيين — حتى أن محرر جريدة وطن غير كونه مقترحا لمشروع السكة الحجازية والبغدادية جمع لها من اموال الاعانة زهاء مليون قرش وارسلها الى اللجنة العليا في الاستانة ولم تستطع جريدة من جرائد العالم الاسلامي ان ترسل مثل هذا المال لاعانه ذلك المشروع العظيم من الاكتتاب العام وكذلك ارسلت في اعانة منكوبي جزيرة اقريطش آلافا من الروبيات — احتسابا وخالصا لوجه الله — ما اردت أن آمن بها على احد ولما تشفع لي دولتلو ذهني باشا في حضرة السلطان بعطاء امتياز (؟) منذ سنتين وصدرت الارادة باعطائي الوسام العثماني من الدرجة الرابعة كتبت الى حضرة الباشا المشار اليه انني لم ار من المناسب أن ارد عطاءكم مع انني لا احسبه شيئاً بمقابلة الاجر الذي يحصل لي من الله الكريم لان تلك الصلة الدنيوية لا يمكن أن تفيدني فائدة ما . ولا يفوتكم ان هذا الامتياز لم يكن ليعتد به لان الذين زاروا الأستانة العلية من الاجانب من أي صنف وطبقة كانوا تحصلوا على امتيازات اجل وافضل من ذلك الامتياز وغير ذلك فاني لم اكن اخدم هذا المشروع رغبة في صله

يظنون بان السلطان عبد الحميد هو الباني والمحرك لفكرة اتحاد الاسلام ولكني أعلم حق العلم انه لم يسع قط لاشاعة هذه الفكرة في مسلمي الهند ولا احد من اعوانه ولو كان كذلك لكان لا بد ان اكون اول من يعلمه وكيف كان من الممكن السعي في نشر افكار اتحاد الاسلام بين مسلمي الهند حينما لم يكن قنصل الدولة العلية في ثغر بمبي عالما باسماء الجرائد الاسلامية التي كانت مشغولة في جمع الاعانات للسكة الحجازية ايضا — واني اعلم واكثر مسلمي الهند مثلي في العلم بان الوسائل الاصلية لترقية المملكة العثمانية لم توجد في عهد عبد الحميد الى حد يجب ان نفتخر به حتى قلت بنفسي في تأليفي كتاب «تاريخ خاندان عثمانية» الصادر في سنة ١٨٩٧ ما مفهومه «لعلي ارى بجنب الجامع الحميدي وحميدية خسته خانه وامثال ذلك من المشروعات

آرائنا أن الدولة العلية فقدت بهذا الامر إحدى يديها وعينيها وصارت ذات يد واحدة وعين واحد فقط بعد ان كانت ذات يدين وعينين

نحن نقول ان عبد الحميد لما أخذ كل أمور المملكة في قبضة يده قد أحسن نظرا الى الحالة الطارئة على البلاد في تلك الايام لانه لو كان القوم كلهم أو جزء قوي من أجزائهم يرى مثل رأي مدحت باشا لكان من المحال سقوط ذالك الرجل المصلح . ولا يذهب من خاطركم ما فعله القواد العثمانيون العظام في حرب الروسية الاخيرة من أخذ الرشوة وكيف كان حال العمال في ذالك العهد فكان كل تبعة الجور والاستبداد على الوزراء والولاة

هذا هو حلمي باشا الصدر الاعظم الحالي لما كان واليا في اليمن أي شيء فعل في تلك البلاد التعسة ؟ لذالك رأى السلطان عبدالحميد ان العافية في ان يأخذ كل أمور المملكة في يده و يقبض عليها بيد من حديد ومن الظاهر ان ترقية القوم الذين قد خيم الادبار بجرانهم لا يكون ممكنا الا بالحكم المطلق

كان حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مطلقا وكان حكم الصديق (رض) والفاروق (رض) أيضا كذلك

لا ننكر ان اجتماع الاختيارات في يد رجل واحد أعني عبد الحميد قد صار في آخر الامر موجبا للخراب أيضا لان الرجل الواحد لا يستطيع أبدا ان يحكم على بلاد واسعة الارجاء مترامية الاطراف وقد اندكت قواه بكثرة الأشغال فظهر عليه ضعف الكهولة والشيخوخة حتى صارت أكثر الامور في يد رجال المابين وهم يبرمون كما يشاؤن ولكن نية عبد الحميد لم تكن سيئة قط لذالك لما رأى ان جزءا كبيرا من القوم صار أهلا للحكم الدستوري اعاده عليه وأعطاه حقه، والظاهر ان هيئة الادارة التي تشكلت في سنة ١٩٠٨ هي من أحسن ما يكون

ولا يسعكم إنكار ان المتعلمين المتنورين الآن في بلاد العثمانية قليلون جدا والجزء الاعظم من تركية آسيا مملوء من المسلمين الذين يميلون الى بقاء القديم على قدمه أكثر من الذين يرون الدستور حياة البلاد ومخلص العباد من شرك الظلم والفساد ومحبو القديم هم يقدرون اقتدار جلالة السلطان حق قدره ولا يعفون ان يكون السلطان مسلوب الاختيار

ان مافعلوا بعبدالحميد هو ليس غير عزله من سرير السلطنة ولكن ترون مئات من الملوك والخلفاء والقوّاد العظام الذين دالت دولتهم قد صار مصيرهم اسوء من عبدالحميد : ايش مضى على نا وليون ؟وما جرى على مدحت باشا ؟ قد قتل السلطان عبدالعزيز وعزل السلطان مراد ـــ بل الفاروق (رض)وذو النورين(رض)والامام علي (رض) كلهم فازوا بالشهادة ان لم ينزلوا من دست الخلافة وأراد القاتل اغتيال معاوية (رض) وقتل الحسين (رض) مع رفقائه رضوان الله عليهم في اشد المصيبة ولقد نجد التاريخ مملوءا من أمثال هذه الحوادث الجسام فمالنا ان نخص مفهوم الآيات القرآنية بعبد الحميد وحده بل يجب علينا ان نحترز من مثل ذلك الخطاء

واعلموا ان ظنكم وظن جريدة اللواء بان الانكليز في الهند يسمون في إلقاء بذور الشقاق بين مسلمي تلك الاقطار والعثمانيين للقضاء على الاتحاد الاسلامي والخلافة فأقول لكم بكل الاحترام ان ظنكم هذا ليس في محله بل أسأتم حيث ظننتم هذا لأن الأمة الانكليزية أمة حرّة عادلة عاقلة لا تتداخل أبداً في مثل تلك الأمور . ان مسلمي الهند كانوا يجلون عبد الحميد لكونه سلطان المملكة العثمانية وأحبوه لأنه في رأيهم كان حافظ هذه السلطنة من المخاطرات الجسيمة لا غير فكان تبجيلهم له ومحبتهم منه لأجل خدماته الجليلة التي خدم بها السلطنة والخلافة الاسلامية - وان كان عطل الحكومة الدستورية السابقة فلأنه يحسبها مضرة أشد الضرر في حق الدوله والملة

ان المسلمين الهنديين يعلمون بانه ليس من أحد في هذه الدنيا غير فان و باقيا غير الله الواحد القهار : ان الحجز على بسمارك ما صار سببا لخراب ألمانيا وعزل عمر بن الخطاب خالدا (رض) عن القيادة العامة لجند المجاهدين لئلا يحسبه المسلمون سببا للفتوحات ويتركوا الاتكال على الله تعالى وعلى شجاعتهم وقد هلك آلاف من الصحابة الكرام بطاعون عمواس وفازوا بالشهادة في ميدان القتال ومع ذلك لم تنقطع سلسلة الفتح الاسلامي كذلك عبد الحميد أيضا لم يكن ليعمر الى الأبد ان كان يموت فكان لا بد من مشي الأمور كما كانت تمشي قبل أيامه وفي عصره ولكن مع كل هذه المسلمات لم نتصور نحن معاشر المسلمين الهنديين عزله طاعة كبرى للدولة ؟ لأن في

أثر اقدام فرنسا التي اسقطت الملك اولا والعلماء الروحانيين ثانيا وقطعت علاقة لعبد بالله تعالى أخيرا فصاروا بذلك من الماديين الدهريين . ان صبغة تعاليم الاسلام لتجدون في انكلترا البتة (كذا) ولعل تركيا الفتاة ان لم يكن بوسعها ان تتقلد الخلفاء الراشدين فكان اللازم عليها قراءة تاريخ انكلترا . لاريب انه قبل قرون من هذا العهد قد فعل كرامول في انكلترا كما فعل شوكت الآن في الاستانة ولكن ايش صارت نتيجة ذالك الفعل القبيح غير اراقة الدماء اعواما متوالية وأخيرا قد حلت الملكية محلها وثبت ان محوها محال

تقولون ان عبد الحميد كان منبع جميع الشرور والمظالم ولكن ما تقولون في أمر تركيا الفتاة والمشير شوكت باشا فانهم أنفسهم من الذين رباهم العهد الحميدي الزاهر هل تسبونه على تهيئة مثل تلك النابتة النابغة ؟

نقلتم أقوالا للغازي مختار باشا في ذم عبد الحميد وكأنكم ليس لكم علم بان عبد الحميد كان واقفا من مدة على سوء نية الرجل واميال العدائية نحوه ولكن لم يتعرض قط لشأنه بل كان ينعم عليه ويكرمه كما كان يسعى في جلب الفتيان الثائرين عليه من أوربا بالشفقة الابوية والعفو السلطاني أليس هذا سماحا وكرما منه لا يوجد له نظير الآن

ان جمعية الاتحاد والقائد شوكت باشا يستطيع ان يأسر عبد الحميد ورجال الدور السابق ويعدم من يشاء من معانديه ، أفلم يكن يستطيع عبد الحميد ان يذلل المختار في زمان اقتداره؟ ولكن التاريخ يشهد له بأجلى بيان انه لم ينتقم من أحد لنفسه قط بل كان يشدد ويلقي القبض على الذين يعدهم أعداء الدولة والملة . ان مراد بك وغيرهم من رفقائه يساقون الآن الى السجن المؤبد أو المشانق ومن الذي لا يعلم انهم كانوا من أشد أعداء عبد الحميد فعفا عنهم وطلبهم الى الاستانة وأنعم عليهم – وعلى كل حال إن المسلمين الهنديين متألمون ومتأسفون جدا من جراء هذا الانقلاب لظنهم انه يضر بالدولة والملة العثمانية ضرراً بليغا ولكنهم اذا وجدوه مفيدا بحقها وثبت لهم ذلك من كر الليالي والايام فلا بد من أن ينعم به بالهم وتقر به أعينهم ويقولون « الخير فيما وقع » وإلا فقد افتى العالم الخارجي كله بأن « لا خير فيما وقع »

فان بقاء السلطان عبد الحميد على سرير الملك وقيام مجلس المبعوثان على العمل باصلاح الحكومة والبلاد هما الامران اللذان كانا يبعثان الطمأنينة في نفوس الفريقين وبهذه الطريقة كان من الممكن ان يأخذ الدستور مجراه الطبيعي على سبيل التدريج والترقي ولا تقع السلطنة في اخطار الحرب الاهلية والفتن الداخلية ومن الجانب الآخر لا يكون بوسع الاعداء الخارجية ان يتلاعبوا مع الدولة العلية لخوفهم من سياسة عبد الحميد ودهائه المشهور والمعلوم ولكن الانقلاب الأخير (المشؤوم) قد فتح الدور الجديد قبل أوانه وزلزلت أركان حالة البلاد زلزالا شديدا

ان محمود شوكت باشا قد يستطيع ان يعدم كل جهال الاستانة وصوفتائها ولكنه لا يستطيع أبدا ان يمحو من الوجود الملايين من المسلمين القاطنين في بلاد العراق وكردستان وجزيرة العرب والاناضول وغيرها الذين هم من محبي الحالة القديمة والحكم المطلق لا شك في أنهم ساكتون وصامتون الآن وسيسكتون الى بقاء الادارة العرفية والسيادة العسكرية ولكن متى وجدوا انفراجا من هذا الضغط ولو قليلا فلا بد من انفجار المادة المشتعلة الكامنة الان تحت هذا الضغط الشديد (لا قدر الله)

انكم تقولون ان الخليفة والسلطان هو موجود وجالس على عرش السلطنة ولكن حجتكم هذه غير نافعة لان جلالة السلطان محمد الخامس هو كآلة صماء في يد فريق ليس له وجاهة خصوصية وقوة ذاتية . ونقول بعبارة أخرى ان يدا وعينا واحدة من يدي وعيني الدولة تعملان الآن واليد والعين الاخريين معطلتان بل تريد اليد العاملة والعين المستعملة في ذالك الوقت قطع اليد الأخرى وقلع العين الثانية من جسم الدولة وصلاح الدولة منوط باتحادهما في العمل اعني كان من الواجب ان يكون الفريقان من انصار عهد القديم والدور الجديد متحدين في ترقية شأن الدولة وصلاح المملكة مثل اليدين والعينين ويكون الصدر أو الرأس عبد الحميد فيعملان حسب إشارته وينجحان في أعمالها

انكم تقولون ان الحركة الجديدة في الدولة العثمانية هي عين التوحيد والاسلام ولكن التاريخ يقضي بخلاف ذلك . ان الفتيان من الاتراك (تركيا الفتاة) يتبعون

ان آراء هذه الجريدة كانت دائما مخالفة للحقوق التركية والمصرية في معاملة مصر - وفرحها وسرورها بعزل عبد الحميد يكشف الغطاء عن نيتها و يظهر لنا جلياً انها ترى هذا العزل حسب مرادها -

ان كان عبد الحميد ليس له عون ولا نصير فلم يعدمون الآلات المؤلفة من النفوس في الاستانة وسائر الجهات ؟ لاشك في انه فضل حقن الدماء ولم يرض ان يكون مثل شاه العجم · انه كان محباً للملة وخادماً مخلصاً للوطن لاطالب الجاه -وكان يحب الحياة لكن لاللتنعم والالتذاذ بنعمات الدنيا الفانية بل لخدمة الوطن والملةوطنه ن حياته رحمة الهية لصالح العباد والبلاد -

ان خير ما كتب في ذلك الشأن هو قول رصيفتنا اللواء «ان عزل عبد الحميد عن عرش الخلافة ليس قتله بل احياءه لانه خلص من متاعب الحكومة »ولكن أقول ان عزله وان يكن في حقه احياء فلا يكون في حق الدولة الاموتاً ونكالاً -لايوجد رجل في جميع المملكة محنكاً مثله بل وأقل منه أيضاً في السياسة الخارجية لذلك أرى من الواجب على الامة ان تكرم مقامه وتستشيره في الامور المتعلقة بالسياسة الخارجية و يكون العمل منوطاً بالاكثرية لاعلى اشارته

ولقدطال المقال رغم ارادتي الاختصار لذلك اختم رسالتي بتقديمي فائق الاحترام لحضرتكم وأرجو منكم نشرها كما ترون مناسبا والرد عليها سالكين مسلك الانصاف والحق وترك المجادلة بالباطل والسلام

وقد ارسلت نقولا من ذلك الى بعض جرائدأخرى أيضا عسى ان يتكرموا بنشره

في ١٢ يونيوسنة ٩٠٩ كاتبه المخلص محمد انشاء الله

محرر ومدير جريدة « وطن »

لاهور (بنجاب) الهند

﴿ جواب المنار ﴾

مقدمات ومسائل حول المقصد

(١) كان لنا ان لاننشر رسالة صديقنا هذه لانه لم ينشر مقالتنافي الرد على رسالته

انكم تنسبون تألم المسلمين الهنديين الى دسائس الاجانب . وأ كثر العقلاء يرون ان تركيا الفتاة مغرورة من جهة الاغيار في ارتكاب ذلك الخطإ الجسيم

ان عبد الحميد لم يكن قط بانيا لتحريك اتحاد الاسلام ولكن قد وجدت هذه بالحركة في عصره بين المسلمين بناموس الارتقاء البشري وأيقنت أوربا مثل يقينه بعدم تناهي كنوز يلدز وان الثلاثمائة مليون من المسلمين كلهم في قبضة عبد الحميد وكان ذلك اليقين كظن ثروة عبد الحميدية الغيرمتناهية (بزعمها) مباركاً في حق الدولة والاسف كل الاسف على ضياع هذه الاعتقاد بعزل عبد الحميد وتحريات ثروته !!!

ان اتهام عبد الحميد بالجبن كالبصق على السماء ينزل على وجه الرجل نفسه لقد قال له الوزراء حين قدوم جنود الروسية في سان استفانوس ان يهرب الى بروصه لكنه لم يتزعزع من مكانه ولم يرض بترك دار الخلافة ولما طلب الروس الاسطول قال عبد الحميد انني أركب في السفائن وأدمرهم بيدي وأغرق معها ولكن لاأقبل ان أسلمها للعدو أبدا؟هل يمكن طمس الحقيقة التاريخية التي تظهر بذكر ثبات عبد الحميد وقوة جاشه عند وقوع الزلزلة في القصر وفرقعة الديناميت على بضعة أقدام من مركبته حيث لم يكترث ذلك الطود العظيم بهذه الحوادث ابداً !!! وأ كبر من ذلك ان ينهمه فاضل مثلكم بعقر الخمور (استغفر الله) لأن وجود الخمر في قصره من لوازم ضيافات الاوروباويين الذين كثيرا ما كانوا يدعون كل يوم على مائدته ولاجل ذلك لم يكن يشترك عبد الحميد قط في الطعام معهم وتقول جريدة اللواء «ان انصار العهد القديم والرجعين يمدون الجرائد الخارجية بالمال و يأخذونها وسيلة لنشر افكارهم » - يمكن ان يكون في مصر جريدة مثل ماقالته - ولكن لا يوجد في الهند عثماني واحد يحض جرائدها ببذل المال على تنقيص تركيا الفتاة والحكومة الدستورية — ومع ذلك فرصيفتنا اللواء تقول كذلك وتظهر خطأها القياسي كالواقعة الحقيقية فيمكن لنا ان نستدل ببقية بياناتها بأنها قياسات لاأصل لها -

ان جريدة المقطم وغيرها من الجرائد التركية لقد تجاوزن حد الآداب في ذم عبد الحميد ولم تكن تفعل واحدة منهم هكذا في عصره - ومن العجب ان أ كثر جرائد العرب والشام وغيرها ينقلون مقالات المقطم في أنهر صحفهن - وهن يعلمن

(٤) قرأنا رسالته هذه قبل نشرها على بعض أهل الرأي والاستقلال من مسلمين وغير مسلمين فعجبوا واستغربوا وقالوا ما نذكره مع إنكاره على إطلاقه وإجلال صديقنا وتبرئته من سوء النية : انه لا يعقل ان تكون هذه كتابة عارف مخلص ... وليس في هؤلاء من هو من جمعية الاتحاد والترقي ولا من المتنصرين لها بل هم ممن يعرفون لها وينكرون عليها .

حقا انه يصعب على العقل المجرد من الهوى ان يتصور ان إنسانا يعرف حقيقة حال الدولة العثمانية وحقيقة ما فعله عبد الحميد من الافاعيل الضارة بها وبالامة ثم يكتب كلمة في مدحه والدفاع عنه ويكون مخلصا محبا للمصلحة العامة ولذلك بنينا ردنا السابق على قاعدة جهل جرائد مسلمي الهند بمفاسد عبد الحميد ومضار حكمه اذ لا وجه يتضح لاتهامهم بسوء النية وعدم الإخلاص . ولكن صديقنا ومناظرنا ينكر ذلك في رسالته هذه ويدعي انه هو وغيره من مسلمي الهند واقفون على جميع سيئات الحكم الحميدي وانهم اعلم بها وأقدر على الحكم فيها من العثمانيين الذين ذاقوها وتقلبوا فيها . ويبني دفاعه عن عبد الحميد ومدحه له على ادعاء حسنات له لادليل عليها ولا يستطيع ان يزيد فيها على الدعاوي والمدائح الشعرية كما بينا ذلك في ردنا الاول عليه وزاده بيانا صديقنا رفيق بك العظم في مقالته التي نشرناها في الجزء الماضي ونزيده نحن بيانا في هذا الجزء

(٥) ان كتابة صديقنا لهذه الرسالة بعد اطلاعه على ما اطلع عليه من كلامنا وكلام غيرنا في الانقلاب لم نجد لها من تأويل مع ما نظن من اخلاصه الا ان جريانه على مدح عبد الحميد سنين طويلة جعل حسن اعتقاده فيه أمرا وجدانيا كدين العجائز لا يقبل بحثا ولا استدلالا يخالفه أرجو منه العفو والسماح عن ابداء رأيي هذا فاننا لم نر وجها آخر نفهم معنى إصراره وتناقضه وتهافته فيما يكتبه أولا وآخرا

(٦) إننا لا نعتقد صدق ما يظنه بعض الناس هنا من ان الانكليز هم الذين أحدثوا في الهند فكرة سوء الظن بالدولة العثمانية في طورها الدستوري وان كنا نعتقد انهم يحبون ان تنتشر هذه الفكرة ليضعف تعلق المسلمين الديني بهذه الدولة وأن كل من يبطل ثقة المسلمين بالدولة العلية في البلاد التي للانكليز فيها نفوذ يكون خادما لهم في الواقع ونفس الامر وان لم يكلفوه ذلك ويغروه به

الأولى لأن الفائدة في نشر أمثال هذه المناظرات في الصحف هي بيان جميع مايجب بيانه لقرائها في المسائل المتناظر فيها لاجل ان يكون حكم أولئك القراء صحيحا لبنائه على العلم بالمقدمات التي يبنى عليها الحكم . ولكن صديقنا خشي من نشر ردنا عليه أن يأتي بضد مايراد منه كما قال فكأن قراء جريدته لايرضون منها الا ان تكتب لهم مايوافق ميلهم وهو يوافقهم على ذلك وهي خطة فيها من النقد مالامحل لشرحه هنا . أما نحن فاننا ننشر ماهو مخالف لرأينا ولمشرب جمهور قراء المنار لأنه ان كان حقا قبلناه، وان كان باطلا دحضناه ، وفي اعتقادنا ان الحق يدمغ الباطل فاذا هو زاهق

(٢) لانسلم ارصيفنا وصديقنا المناظر لنا مايدعيه من أن رأيه في عبد الحميد والدولة هو رأي جميع مسلمي الهند فانه يتعذر عليه ان يعرف آراء أولئك الملايين وهو لايعرف أكثرهم ولا هم يعرفونه وانما قصارى مايمكن ان يظن هو أن جمهور قراء جريدته موافقون له في رأيه وميله وماهم الا عدد قليل في أولئك الملايين . وقد اعتاد مثل هذه الدعوى بعض الجرائد المصرية وما زلنا ننكرها عليها . واننا نرى بعض جرائد اخواننا مسلمي الهند تنشر من الرأي ضد ماينشر صاحب « وطن » بل ترد عليه فيما يكتبه كجريدة «وكيل» التي تصدر في (أمرتسر) و بلغنا عن مسلمي عليكده انهم مسرورون راضون عن هذا الانقلاب العثماني وناهيك بمن هنا لك ، انهم أنور مسلمي الهند عقولا وأرجاهم لخدمة العلم والملة

(٣) ان صديقنا المناظر احتج برأي عبد القيوم عظيم الافغان وان هذا الرجل العاقل المنصف لم يفارقنا الا وهو مقتنع بأن تشاؤم الكثيرين من مسلمي الهند والافغان وخوفهم من عاقبة هذا الانقلاب انما سببه الجهل بالحقائق وان لبعض الجرائد تأثيرا تأثيرا سيئا في ذلك وانه يجب السعي في إزالة هذا الجهل حتى انه اقترح إرسال وفد تركي يجوب البلاد الهندية والافغانية لإزالة سوء الفهم والجهل بالحقيقة . وقد كان هذا من المعقول في أول العهد بالانقلاب أما وقد طال العهد ونشرت الحقائق في الجرائد فقد رأينا المنصفين من اخواننا مسلمي الهند مقتنعين بما ظهر لهم من الحق ولذلك كان إصرار صديقنا صاحب جريدة « وطن » علي ما كان عليه غريبا عندنا يصعب تأويله

صديقنا فيها ولم يشذ عن ذلك الا الجرائد التي كانت تحت سيطرة ظلمه وجبروته أو المستأجرة بماله لمدحه أو الجاهلة بحال الدولة العثمانية او التي لا يهمها شأنها كبعض جرائد أمريكا واسبانيا مثلا (وعسى ان لا يعود صاحبنا الى دعوى مثل هذه الاولية التي يسخر العقلاء من انتحال بعض الجرائد المصرية مثلها)

(١٢) ان ما ذكره عن جريدة معلومات غير صحيح فهي لم تكن جريدة رسمية ولم يكتب ما كتب فيها عن مشروع سكة الحديد الذي كان اقترحه الكاتب بأمر خفي أو ظاهر من السلطان عبد الحميد وانما كان ذلك رأي محررها في ذلك الوقت وهو صديقنا السيد عبد الحميد افندي الزهراوي الشهير وهو الذي حدثنا بذلك عن نفسه . وانما ذكرنا هذا الامر مع كونه ليس من موضوعنا الخاص لغرضين أحدهما كونه مثالا لعدم الثقة بمعلومات صديقنا صاحب وطن عن الدولة العلية وثانيهما معارضته في قوله ان خطأ اللواء في بعض ما ذكره عن الهنود يقتضي عدم الثقة بكل ما يكتبه

(١٣) دعواه اننا نحن السياسيين والمؤرخين العثمانيين لا نستطيع ان نحكم في قضية الانقلاب العثماني حكما صحيحا لاننا من قبيل الخصم يحكم كل لنفسه وأن مسلمي الهند هم الذين يستطيعون ذلك — هي دعوى غير مسلمة لأن التشبيه في غير محله والا قلنا انه لا ثقة بما كتب مؤرخو فرنسا وساستها عن ثورتهم وحكومتهم - ولان اخواننا مسلمي الهند غير واقفين على حقائق الاحوال فيكون حكمهم فيها أجدر بالصحة

(١٤) اننا نعتقد اخلاص مسلمي الهند في حبهم للدولة ونعد صديقنا ومناظرنا من أشدهم غيرة واخلاصا بل نقول ان خطأه جاء من شدة غيرته

المقصد وفيه مسائل

(١) اعترف صاحبنا « بأن الوسائل الاصلية لترقية المملكة العثمانية لم توجد في عهد عبد الحميد » الخ واعترف بأن أخذ أزمة المملكة بيده « صار في آخر الأمر موجبا للخراب » وهذا مناقض لرسالته الاولى برمتها ولبعض مسائل رسالته هذه كما أشرنا الى ذلك في التمهيد والمقدمات .

(٧) انا لا نعتقد أيضا ان السلطان عبد الحميد هو الذي سعى في بث نفوذ الدولة الديني في مسلمي الاقطار أو في دعوتهم الى التآخي والاتحاد مع سائر المسلمين . هو أقل وأصغر من ذلك فمثله لا يسعى في عمل كبير كهذا . وانني موافق لصديقي المناظر في كون هذه الفكرة المنبثة في المسلمين من روح التعارف والوحدة المعنوية ليست الا أثرا من آثار سنة الترقي في البشر .وقد كان شيخنا الاستاذ الإمام يقول ان الحرب الروسية العثمانية هي مبدأ هذه الحركة والصوت المحدث لهذه اليقظة الاسلامية العامة .وقد كان هو وشيخه السيد جمال الدين يكتبان في أثناء تلك الحرب المقالات المنبهة والموقظة . وقد رأيا قبل ذلك ان انكلترا حاربت الافغان فلم يكن أحد من المسلمين في مصر والاستانة وغيرهما يحفل بذلك

(٨) انني لا أتعجب من منع جريدة «وطن» الهندية من دخول البلاد العثمانية في عهد عبد الحميد وان كان لا يخشى ان ينتشر بدخولها من الافكار ما لا يحبه لجهل العثمانيين بلغتها ، ولا منع جريدة « وطن » المصرية ـ ان صح انها أرسلت ومنعت على كونها قبطية لا يطمع صاحبها بنشرها في غير مصر ـ لان العاقل انما يعجب مما جاء على خلاف المعهود ومثل هذا المنع هو المعهود في أيام عبد الحميد لان سياسته كلها وما يتعلق منها بمنع الصحف والكتب خاصة هي سياسة جنون وهل يتعجب العاقل من المجنون اذا آذى من يحسن اليه ؟ ؟

(٩) ان ما ذكره من سيئات عبد الحميد يناقض من وجوه ما ذكره في الرسالة الماضية التي نشرناها في الجزء الرابع التي ادعى فيها انه أصلح مالية الدولة ورقى عسكريتها ومعارفها وعمر داخليتها بل يناقض بعض ما جزم به في رسالته هذه كما سيأتي

(١٠) انا بينا له خطأه فيما أطرى به عبد الحميد من الاعمال التي نسبها اليه وكان يعمل ضدها فلم يستطع ان ينفي شيئا مما أثبتناه وهو مع ذلك يصر على إطرائه بعبارات شعرية ودعوى ظهر بطلانها لكل أحد كدعواه انه منع الدستور لاعتقاده ان الأمة لم تكن أهلا له ثم أهلها له ومنحها إياه

(١١) لا نسلم له انه أول من كتب بالصراحة في ذم عمال عبد الحميد فان جرائد المشرق والمغرب قد فاضت بذم عماله و بذمه هو أيضا قبل سنة ١٩٠٨ التي كتب

الراشدون كانت حكومة مطلقة زعمه انني قلت ان الحركة الجديدة في الدولة العلية هي عين التوحيد والاسلام ورده ذلك بزعمه ان فتيان الترك القائمين بهذه الحركة يتبعون خطوات فرنسا باسقاط الملك فعلماء الدين ثم بقطع العلاقة بين الناس وربهم واختيار مذهب الماديين الدهريين

ونقول في جوابه ان زعمه هذا من سوء الظن المتعلق بمكنونات الصدور ومخبآت الغيب للمستقبل . واذا كان صاحبنا ومناظرنا لا يعرف حقيقة الدولة الحاضرة وحال القائمين بها فكيف يعرف ماخبئ لها في الغيب . بل كيف يمكنه أن يدعي الاستدلال بالحاضر على الغائب . ان الاحرار الذين بأيديهم حدثت الحركة هم النابغون من العثمانيين العرب (كالقواد محمود شوكت باشا وهادي باشا وعلي رضا باشا) والترك (كأنور بيك من الضباط وغيره) والألبان (كنيازي بك من الضباط وغيره) ولم يعرف عن أحد منهم الكفر وانتحال مذهب الماديين وكذلك النابغون من المبعوثين والاعيان لم يعرف عنهم ذلك الا ما نقل عن رضا نور مبعوث أدرنه من ذلك القول الذي اعتذر عنه وهو لم ينقل على وجهه . ولم يعرف عنهم انهم يفضلون الحكومة الجمهورية على الملكية

ثم انني لا أنكر انه يوجد في متفرنجي الترك — وكذا غيرهم من العثمانيين — كثير من الملاحدة لفساد التربية في البلاد والتعليم في مدارس الحكومة ولا يبعدان يوجد منهم أفراد في مجلس المبعوثان وفي لجان جمعية الاتحاد والترقي ولكن يوجد في هؤلاء الملاحدة من هم أحرص على جعل الدولة إسلامية من جميع المتنطعين في التدين لانهم يعرفون من فائدة ذلك مالا يعرفه المتنطعون . فالملحد الغالي الذي يخشى من غلوه على شكل الحكومة الاسلامي قليل . واختلاف الآراء والاهواء في الحكومة طبيعي في كل أمة فقد كان في عصر الاسلام الأول من يميل الى جعل الحكومة حكومة أشراف كشيعة علي كرم الله وجهه ؛ ومن قال منا أمير ومنكم أمير ، ومن يميل الى الديمقراطية المعتدلة وهم الأكثر . ووجد في ذلك العصر الخوارج وناهيك بمذاهبهم في الحكومة

(٢) ادعى مع ذلك الاعتراف ان عبد الحميد كان محسنا في إبطال الدستور الأول واستبداده بالحكم المطلق واستدل على ذلك بدليلين أحدهما سوء حال الدولة وعدم استعدادها للحكم الدستوري بدليل ماحصل من سقوط مدحت باشا المصلح ومن اخذ القواد العثمانيين الرشوة في الحرب الروسية وسوء حال العمال في ذلك العهد وعجز حلمي باشا عن اصلاح اليمن . وثانيهما كون حكم الاسلام هو الحكم المطلق

نجيب عن دليله الأول من وجهين أحدهما إنما يصح كونه محسنا في ذلك لو كان عدل في حكمه المطلق وأصلح وهو لم يكن الا ظلوما مفسدا زادت الرشوة في زمنه أضعافا مضاعفة . وثانيهما انه كان يمكنه ان ينفذ الدستور مع الرجال المستعدين لذلك الذين وضعوه كمدحت باشا وإخوانه كما فعل ميكادو اليابان فيكون في أول الامر دستوريا في الصورة وحكما بين المطلق والشوري في الحقيقة و بذلك يقوى استعداد الامة بسرعة . هذا مانقوله مؤخرا في الدليل نفسه لأننا لاننكر كون الامة العثمانية لم تكن في عهد مدحت باشا مستعدة للدستور بنفسها بل صرحنا بذلك مرارا في خطبنا ومقالاتنا المنشورة في المنار . أما الجزئيات التي أيد بها ذلك فهي مجال للبحث فإن عبد الحميد اغتال مدحت باشا بالحيلة الخفية بعد مانقله من ولاية الى ولاية والامة لم تفطن لكيده . وان حسين حلمي باشا عجز عن اصلاح اليمن لان كل اصلاح مع استبداد عبد الحميد وخرقه كان محالا على ان حلمي باشا كان حسن الادارة في اليمن لاينكر أهلها ولا غيرهم ذلك

ونجيب عن دليله الثاني بمنع زعمه ان حكومة الاسلام حكومة فردية مطلقة . وقد أساء جدا في قوله ان حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحكم الصديق والفاروق رضي الله عنهما كان حكما مطلقا برأهم الله مما قال وانما ذلك هو حكم الشورى الكامل ، وحكم التقييد بالشرع في الظاهر والباطن ، وقد بينا ذلك في المنار غير مرة مؤيدا ببراهين الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الأربعة . فليراجع صاحبنا تفسير « وشاورهم في الامر » من المجلد الحادي عشر ومباحث الحكومة الاسلامية في المجلد الرابع وغيرهما من المجلدات وليستغفر الله تعالى مما قال

(٣) أذكر بعد زعمه ان حكومة الاسلام التي قام بها النبي (ص) والخلفاء

دمه غير مرة أن عبد الحميد جان عليها ومخرّب لها وهو الذنب الذي لا يغفره عند هذا الرجل العظيم الإنعام ولا الإكرام الشخصي · وثالثا ليراجع صديقنا ص ٦و٧ من منار هذه السنة يجد فيها ان السلطان عبد الحميد كان يتّهم مختار باشا بأنه يساعد جريدتي المنار والقانون الاساسي لانهما أنشئتا لمقاومته نفسه · ولو شئت لذكرت له كثيرا من أمثال هذه الوقائع والحوادث والمكاتبات الرسمية السرية ليعلم انني اذا قلت فيه إنه لا يعرف حقيقة ما كان عليه عبد الحميد في دولته ورجالها فانما أقول عن علم واختبار لا يمكن لمثله ان يصل الى ذرة منهما لان قصارى مايصل اليه تنف متعارضة في الجرائد

وما قيل في احمد مختار باشا يقال في محمود شوكت باشا وأمثاله من المشيرين وقواد الجيش وغيرهم من العقلاء الذين لم يصب أشخاصهم شر عبد الحميد و بغيه · فاذا كان مثلي في غيرته على الدولة والملة متهما عند الصديق (سامحه الله) لأن بغي عبد الحميد وحكومته أصابنا في أنفسنا وأموالنا وأهلينا فبماذا يتهم هؤلاء ؟ على أنه لو فكر قليلا لعدّ اضطهاد الحكومة الحميدية لمثلي من أسباب التعديل لا من أسباب الجرح اذ لولا الصدق والاخلاص لسهل عليّ أن أكون مطوقا بذهب عبد الحميد دون سلاسل غضبه ولا يعقل ان يكون بين أمثالنا و بينه عداوات شخصية

(٥) نرى آخر ما استقر عليه رأي صديقنا انه كان يجب إبقاء عبد الحميد على عرشه ومشاركة جماعة الدستور له واستعانتهم بتجاربه على إقامة الحكومة الجديدة ولكنهم لم يفعلوا ذلك إيثارا للانتقام منه

ونقول ان أكثر العقلاء من الاجانب والعثمانيين العارفين بالتاريخ يرون انه كان يجب قتله عند الانقلاب الأول وإراحة الأمة من شره وان جمعية الاتحاد والترقي التي كانت تدير القوة غلبت العفو والسماح والرحمة على الشدة والانتقام وظنت أنها تستطيع ان تنسخ سنة من سنن الاجتماع البشري فتحدث انقلابا في الحكم ، غير ملطخ بالدم ،وقد كنت أنا ممن حذر من التعدي على شخص السلطان ودعا الى الاستفادة من تجاربه في الامور الخارجية في أول مقالة كتبتها بعد إعلان الدستور ولكن أبى الله ذلك فأبى عبد الحميد ان يعيش مع حكومة الشورى والدستور ويرضى

ونقول من وجه آخر إذا كان ما ذكره عن فتيان الترك أو العثمانيين ونابتتهم المتعلمة صحيحا وكانوا هم المعدين لادارة المملكة بمقتضى طبيعة الحال ألا يكون من سوء ادارة عبد الحميد أنه لم يرب في ثلث قرن من يصلح لإدارة دولة إسلامية كدولته ؟

ان مناظرنا الصديق يحتج علينا تاوة بأن عبدالحميد رقى التربية والتعليم في الدولة حتى صارت اهلا للدستور فتكرم وتفضل بالانعام عليها به مختارا مسرورا ،وتارة يحتج علينا بأن هؤلاء المتعلمين ملاحدة لاينتظر منهم الا الإلحاد والافساد؟ وليت شعري ماذا يفيد بقاء عبد الحميد في الملك مع التعليم والتربية التي تنتج مثل هذه النتيجة ؟ أكانت كل رغبة مناظرنا وغرامه من التمتع بالحكم الاسلامي الحميدي هو ان يبقى لعبد الحميد استبداده الى ان يموت على فراشه ؟ أليس ماظهر من عدل الله فيه مما يزيد الذين آمنوا إيمانا ؟

اما ما اشار اليه الصديق المناظر من استحسان الاعتبار بحال الانكليز والاقتباس من سيرتهم وتاريخهم وكونهم أقرب الى الحكومة الاسلامية الصحيحة من غيرهم فهو مقارب لرأي اخيه ومحبه هذا وقد نبهت الى هذا في خطب وأقوال كثيرة وكتبته في المنار ايضا في بعض المقالات ولعل الصديق رآه وسنعود اليه بالبيان الكافي ان شاء الله تعالى

(٤) يقول صديقنا ان المشير احمد مختار باشا الغازي سيء النية وعدو للسلطان عبد الحميد أي فلا يحتج بقوله فيه . ويقول لي « كأنكم ليس لكم علم بأن عبدالحميد كان واقفا من مدة على سوء نية الرجل وامياله العدائية نحوه »

وأقول أولا — كيف كان يعلم هو في الهند من العلاقة بين مختار وعبد الحميد مالا أعلمه وانا في مصر اسهر الليالي الطوال مع مختار باشا ونتحدث في احوال الدولة بالحرية التامة ويذكر لي كثيرا من الاسرار وهو يعلم اني أمين عليها ، ومنها رأيه في السلطان ورأي السلطان فيه . وثانيا ـ لماذا يكون مثل احمد مختار باشا سيء النية لعبد الحميد وشديد العداوة له مع ما ذكر صديقنا المناظر من إنعامه عليه وإكرامه له ؟ هل يعقل ان يكون لذلك سبب الا اعتقاد هذا المشير الذي بذل في سبيل الدولة

ومن التناقض ان يطلب صاحبنا الجمع بين الدستور واستبداد السلطان واعجب من ذا أن يعد هذا من الاسلام

(٩) قال ان المقطم تجاوز الحد في ذم عبد الحميد وان جرائد بيروت تنقل عنه الخ

ونقول ان المقطم كان دائما يطعن في عبد الحميد وحكمه ولكن يتحامى الطعن الشخصي الصريح الذي يخشى يعاقب عليه القانون المصري الذي يعد السلطان سلطانا له وبعد سقوطه زال هذا المانع . أما كونه كان « مخالفا للحقوق التركية والمصرية» وسيء النية فنطلب من صديقنا المناظر الجمع بينه وبين ما مدح هو به الانكليز من العدل وحسن النية وارادة الخير فانه لايختلف اثنان في كون المقطم كان ولا يزال مؤيدا لسياسة الاحتلال لأن مذهبه في حسن نية الانكليز كذهب صاحبنا . وأما كون جرائد سورية لم تكن تذم عبد الحميد في عهده فهذا من البديهيات التي لاحاجة الى الكلام فيها . على ان أكثر هذه الجرائد السورية جديدة حدثت بعد الدستور

(١٠) قال اني اتهمت عبد الحميد بشرب الخمر واستغفر هو الله من هذه التهمة بالنيابة عني وقال ان وجود الخمر في قصره كان لأجل ضيوفه الاوربيين « الذين كثيرا ما كانوا يدعون كل يوم على المائدة» يريد ان يبرئ كل من كان في القصر من الشرب

واقول لصديقي ومناظري الفاضل اني اعجب لقلبه الشريف الذي يملاه الحب حتى لايدع فيه مجالا لشيء يزاحمه وأتمنى لو افوز بدوام حبه وصداقته . ثم أوكد له القول بأنني لم استدل على شرب عبد الحميد للخمر بما نقلت الجرائد من وجود طائفة من الخمور في يلدز كما فعل اللواء فانني أعلم منذ سنين انه يشرب الخمر وان اكثر من في يلدز كان يشربها بلا نكير وانها هناك من المؤنة الضرورية . أعرف هذا من الثقات الذين أكلوا فيها وخالطوا أهلها . وكثيراً ما كان يذكر في البرقيات العمومية والجرائد شرب عبد الحميد للخمر في سياق الكلام عن صحته ومرضه ومنها أنه في اوائل العهد بالانقلاب كان يتغذى بالروم المعتق ...

(١١) قال ان عبد الحميد لم ينتقم لنفسه من مختار باشا وأمثاله من أحرار الترك لإيثاره الحلم والعفو

وأقول انه لم يكن قادرا على ان يعامل مختار باشا بأكثر مما عامله به وصديقنا

القتيل وليس يرضى القاتل »فأخذ يكيد لها كما كاد لسابقتها «فوقع في البئر التي حفرها، أما آن لك أيها العاشق لعبد الحميد ان تعرف الحقيقة التي عرفتها الارض والسماء ولم يبق منفذ للشك فيها

(٦)يقول ان محبي الحكم المطلق من مسلمي العراق وكردستان وجزيرة العرب والاناطول سيهبون الى مقاومة الدستور بعد انقضاء مدة الاحكام العرفية · يعني ان من خطر الحكومة الدستورية على الدولة أنها مضارة لما عليه السواد الاعظم من المسلمين وستكون سببا للثورات والفتن الداخلية

ونقول ان البلاد التي ذكرها ان كانت جديرة بعدم فهم منافع الدستور لعموم الجهل فيها كما بينا ذلك في الكلام على تفاوت البلاد العثمانية في الاستعداد والعلم فهي أيضا لا تعشق الحكم المطلق تفضيلا له على المقيد بحجة دينية أو عقلية و إنما يخشى من الفتن فيها لان الزعماء الذين كانوا يتحكمون فيها بالدماء والاعراض والاموال شعروا بأن ايديهم ستغل وسلطتهم ستزول فهم لاجل هذا أحبوا و يحبون مقاومة الحكومة الدستورية كلما وجدوا الى ذلك سبيلا ولكن الحكومة ستطهر البلاد من شرهم في مدة أقصر من المدة التي دنسها بهم عبد الحميد ان شاء الله تعالى

(٧) يقول اذا لم يكن لعبد الحميد أنصار محبون فمن هؤلاء الذين تشنقهم الحكومة العرفية كل يوم

ونقول ان أعوان عبد الحميد على تخريبهم المملكة لتعمير بيوتهم و إذلال أهلها لأجل تنفجهم وتعاظمهم لا يعقل ان يكونوا غير محبين له وللتمتع بنعم سلطته فهم كأولئك الزعماء الذين ذكرناهم في المسألة السادسة

(٨)انني لا أقول شيئا في طعنه بمولانا السلطان محمد الخامس الا دعوته الا التوبة والاستغفار من هذه المعصية فان لم يجب الآن فانه سيجيب بعد زمن بعيد أو قريب يعلم فيه أن محمدًا الخامس في بني عثمان كعمر بن عبد العزيز في بني أمية، كما ان عبد الحميد، شر من يزيد،فسلطاننا الآن ليس آلة في يد أحد كما أن الشرع والدستور ليس آلة في يده يستعملها بهواه كذلك المسلَّط بالبغي الذي أدال الله لنا منه ·

ونزول الكوارث ، وإنما كانوا يطلبون منه الأمر الشائن المذل له ولدولته فاذا راوغ وهددوه أجاب صاغرا ، وخنع متضائلا ، ولم ينس أحد تهديد فرنسا له في مسألة الارصفة وانكلترا في مسألة العقبة وايطاليا في مسألة البريد ، وما كان يساورنا من الذل والمهانة من سياسته معهم . ثم إنهم انتزعوا في أيامه معظم الولايات الاوربية من الدولة حتى انه لو بقي سلطانا سنة أخرى لذهبت الولايات المكدونية التي هي سياج العاصمة بلا نكير . فاتقوا الله أيها المتصرون لذلك المدمر المخرّب فقد وضح الحق في ذلك لكل أحد

(١٣) بقي ما انتقده الصديق عليّ من ايراد آيات الإنذار من القرآن في المقالة التي كتبتها للعبرة بالانقلاب الاخير قال انه لم يكن يليق بي ان أصوّب سهام آيات الانذار من القرآن الكريم الى عبد الحميد الذي لم يبق له شيء من الحول والطول وإن ما جرى له ليس أمرًا كبيرًا بالنسبة الى ما جرى لغيره من الخلفاء والملوك والكبراء وذكر بعض من قتل وعزل من المتقدمين والمتأخرين

وأقول ان الصديق نفعنا الله بمودته قد حفظ شيئا وغابت عنه أشياء أهمها ان الكلام في تلك المقالة ليس من باب إظهار الشجاعة بمقاومة عبد الحميد بعد ان صار مثلي ليس له سلطة ولا خطر في بالي ان عبد الحميد يقرأها أو يعلم بها وإنما هي تذكير لقراء المنار بعواقب الظلم والإفساد والبغي والغرور بالقوة والغنى والملك والسلطان ، ومحاولة الفرد إذلال الامة وقهرها ليهنأ له التمتع بلذة السيادة ولوازمها فيها : ولو قتل عبد الحميد غيلة كما قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم تكن العبرة التي شرحناها تامة في شأنه

ان صديقنا نظر في المسألة من الجهة الشخصية فعد سقوط سلطة عبد الحميد كقتل عمر وعثمان والحسين (رض) واسر نابليون وعزل بسمارك وقتل مدحت باشا . وما ابعد الفرق بين هذه الحوادث وأشد اختلاف وجوه العبرة فيها . لو صح ما رمي اليه لما كان لنا فائد فيما ذكره الله تعالى من العبر في هلاك المفسدين والظالمين كفرعون وآله ومن عينهم ومن أبهم قصصهم من السابقين بل لكان ذكرها في كتاب الله تعالى من اللغو الذي يتنزه كلام الله عنه

لا يعرف من معاملته له شيئا قط ولا حاجة الى إعلامه به · وأما انتقامه من الاحرار فلم يدخر فيه وسعا فقد قتل رئيسهم مدحت باشا وكثيرين غيره وسجن ونفى خلقا كثيرا · وعوالم المدنية كلها تعرف ذلك حتى ان الافرنج يلقبونه بالسفاح و بالسلطان الاحمر · ولا أحب أن أناقشه فيما ذكره من مدح أخلاقه فانها شعريات لا يؤبه لها وما أحببت له ذلك التشبيه الذي ذكره عند الكلام في شجاعته لان ادبه في نفسي اعلى من ذلك · والذي عليه المحققون ان جمود عبد الحميد في موضعه يوم الزلزلة قد كان من شدة الخوف واضطراب الاعصاب · وما قاله في مسألة الاسطول كلام في الهواء لا عمل يستدل به · وليكن عبد الحميد شجاعا فماذا جنينا من شجاعته التي لم نر احدا قال بها الا صاحب الوطن اوجبنه الذي يضرب به المثل غير الحنظل والزقوم

(١٢) اعاد صاحبنا صدى قول المؤيد ان من ضرر الانقلاب الاخير اظهار كنوز «يلدز» ومخبآتها اذ علم من ذلك أنها ليست كما يظن الاوربيون وكان توهمهم ان فيها مالا يحصى من الملايين قوة خفية للدولة تخيفهم من الاقدام على مناوئتها فهي كتوهمهم تعلق جميع المسلمين به

ونقول ان هذا القول لا يصدر عن سياسي عارف الا اذا أراد به الخلابة والمخادعة لفساده من وجوه (منها) ان الوهم البين الواضح هو ما تخيله صاحبا المؤيد ووطن من انه يمكن ان يوجد عشرات من الملايين من النقد الذهبي لا يعرف مكانه الاوربيون الذين يديرون ثروة العالم · ومن الشواهد الصغيرة على ذلك ما ذكرته جرائد الاستانة من أن مدير البنك العثماني فيها لاحظ ان عددا يؤبه له من قراطيسه لا يعود اليه في دورة التعامل فجزم بأنه في « يلدز » وهو ما وجد فيها (ومنها) انهم يعرفون موارد الدولة أكثر مما كانت تعرفها نظارة ماليتها (ومنها)انهم كانوا يعلمون ان عبد الحميد يودع في كل سنة ما يزيد على نفقاته والمال الاحتياطي لها في بيوتهم المالية (البنوك) وهم يعرفون مقدار ما أودعه في تلك البيوت (ومنها) ان الاعتماد على الوهم في صيانة الدولة وحفظها مما لا يجنح اليه عاقل لأنه عرض زائل، فان أفاد عبد الحميد مدة وجوده ، فهو لا يفيدها بعد موته، (ومنها) انا ما رأينا آية ولا علامة لخوف دولة من الدول من ثروة عبد الحميد وخلافته عند حدوث الحوادث،

من الظلم ، الذي أضلك الله فيه على علم » ثم انه بعد سرد جمل واسجاع من هذا السباب أول الأحاديث الواردة في النهي عن البناء على المقابر بقوله « ان محل ذلك الزجر ، ومطلع ذلك الفجر ، في البناء على مقابر المسلمين ، المعدة لدفن عامتهم لا على التعيين ، لما فيه من الحجر على بقية المستحقين ، ونبش عظام السابقين ، » ثم جعل محل الإباحة كون البناء في ملك الباني وأنه لا حرج فيه ، ثم ذكر ان المسألة محل خلاف بين النظار وان هذا المنكر ليس متفقا عليه ! ! !

أقول ما أفسد الدين في أمة من الأمم الا مثل هذا التحريف للنصوص ممن يلبسون على الجهل لباس العلماء فتتبعهم العامة على تحريفهم فتضل عن دينها ولمثل هذه الغاية الرديئة منعوا العلم بالكتاب والسنة زاعمين بجهلهم انه لا يفهمها أحد بعد قرن كذا . ألا يكفي لمن له أدنى إلمام بالعربية وان كان عاميا أن يضرب بتأويل المحجوب وتحريفه عرض الحائط اذا سمع الاحاديث الشريفة الواردة في ذلك وقد ذكرناها مراراً ونشير هنا الى بعضها

فمنها حديث أنس في الصحيحين وغيرهما وحديث عائشة وابن عباس عند أحمد والشيخين وغيرهم وحديث أسامة عند أحمد في لعن أهل الكتاب لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت عائشة « يحذر ما صنعوا » أي يحذر النبي (ص) أمته من مثل ذلك وفي رواية لأحمد والشيخين والنسائي انه صلى الله عليه وسلم قال « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً » الحديث . وفي رواية لابن سعد « ألا ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك » والروايات في ذلك كثيرة وهي تدل في جملتها وتفصيلها على ان مدار النهي والحظر تعظيم قبور الصالحين وجعلها في مواضع العبادة كراهة أن يحدث ما حدث فينا حيث اتبع الجماهير منا سنن أولئك الذين لعنهم الرسول (ص) شبرا بشبر وذراعا بذراع فعظموا أصحاب القبور تعظيما وصل الى حد العبادة إذ صاروا يخشعون و يضرعون اليهم بالدعاء وطلب الحاجات ،

اما ان العلماء لو كانوا يعظون الأمة بهذه الاحاديث لما بنت على قبور الصالحين

قتل عمر لم يكن الا كونه فما خاب به سعيه ولا حبط عمله بل لا يزال يضرب المثل بعدله. وفي قتل عثمان من وجوه العبرة ماليس في قتل عمر لأن لينه لبني أمية الطامعين أوجد في الأمة مقدمات الاستبداد ، وولد فيها جراثيم الفساد ، فانتج ذلك من الشر ما أنتج . وفي قتل الحسين عبرة أخرى من حيث إنه لم يعد للظالمين العدة الكافية بحسب سنن الله تعالى ولم يكن تأثير ظلمهم قد بلغ الحد الذي يوجب سقوط دولتهم . واما نابليون فلم يكن الا مفسدا في الأرض مغرى بسفك الدماء فالعبرة في خذلانه يعد من باب العبرة في خذلان عبد الحميد

والحاصل اننا نذكر صاحبنا بأن العبرة بالحوادث العامة غير مسألة الشماتة بقتل الافراد أو عزلهم وذلك مما لا يخفى عن علمه وفهمه لولا انه متألم مما جرى لعبد الحميد تألما ملأ جوانحه لحسن اعتقاده بسياسته وهو مخطئ معذور في ذلك فعسى ان يكون قد استبان له الحق فصار من انصاره ، كما يليق بفضله وإخلاصه ،

﴿ رسالة المحجوب . من باب الانتقاد على المنار ﴾

٢

وقد ادعى المحجوب ان الاحاديث التي تدل على جواز دعاء غير الله تعالى كما يفعله العوام كثيرة مشارعها ، مفعمة تضيق المهارق عن استقصائها ، ولم يأت منها بشيء قط فان أثر الاستسقاء ليس حديثا مرفوعا وطلب الدعاء من أويس ليس محلا للنزاع فان الدعاء يطلب من الاعلى للأدنى اذ لا خلاف في فضل عمر على أويس . وكل ما ورد في الشفاعة خاص بالدار الآخرة والوهابية يعترفون به كله ويفرقون بينه وبين الشفاعة التي انكرها الله تعالى على المشركين كما فرق ابن تيمية بينهما في كتبه المتداولة وقد بينا ذلك في التفسير وغيره مرات

قال المحجوب « واما ما جنحت اليه من هدم ما يبنى على مشاهد الأولياء من القباب ، من غير تفرقة بين العامر والخراب ، فهي الداهية الدهيا والبلية العظمى ،

(قال) واما اتخاذها اوثانا فجاء النهي عنه بقوله صلى الله عليه وسلم «لا تتخذوا قبري وثنا يعبد بعدي» أي لا تعظموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له اونحوه (١) فان اراد ذلك الامام بقوله «واتخاذها اوثانا» هذا المعنى اتجه ما قاله من ان ذلك كبيرة بل كفر بشرطه وان اراد ان مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بعد . ثم قال بعض الحنابلة قصد الرجل الصلاة عند القبر تبركا بها عين المحادة لله ورسوله و إبداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم اجماعا فان أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد اوبناؤها عليها والقول بالكراهة محمول على غير ذلك اذ لا يظن ظان بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن صاحبه وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور اذ هي أضر من مسجد الضرار لأنها اسست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه نهى عن ذلك وامر صلى الله عليه وسلم بهدم القبور المشرفة وتجب إزالة كل قنديل او سراج على قبر ولا يصح وقفه ونذره انتهى »

(المنار) ذكرنا هنا ما قاله ابن حجر نقلا وتفقها لا لأن ما جاء به أظهر من الاحاديث الشريفة بل ليعلم من لم يطلع عليه وعلى أمثاله من أقوال العلماء المدققين ان التحريف الذي جاء به ذلك المحجوب تنبو عنه النصوص النبوية الشريفة ويخالفه كلام العلماء المحققين في شرحها وان خصمه ما ضل في هذه المسألة — كما زعم — على علم ، ولكنه هو ضل على تحريف وجهل ، وهكذا كل كلامه منبئ بجهله أو تعمده التحريف . ولعل من طبع هذه الرسالة لو استشار كبار علماء تونس كالشيخ سالم أبي حاجب لأشاروا عليه بعدم طبعها لانهم يرون من العار نسبتها الى واحد منهم

ثم ذكر المحجوب مسألة زيارة القبور فجاء فيها بما هو مشهور على ألسنة العامة وخصمه لا ينكر الرخصة في زيارة القبور ولكنه ينكر ان تزار لغير ما صرح به في الحديث من سبب الزيارة وهو العبرة وتذكر الآخرة وما غلط به الغزالي من مسألة

---

(١) اي كالدعاء عنده والطواف به وتقبيله والتمسح به . وهو ما يفعل بقبور الصالحين في المساجد والزوايا والقباب كل يوم .

القباب والمساجد وتعرضت للعنة الله ورسوله ولكن قصر الكثيرون من المطلعين على هذه الأحاديث ثم خلف من بعدهم خلف لا يعرفون الحديث ولا يفهمونه فصاروا يحرفون ما يسمعون ويؤوّلون للعوام والخواص ما يعملون حتى وصلنا إلى ما وصلنا اليه مع وجود الاحاديث بنصوصها وتفسير المحققين لها

أورد ابن حجر الفقيه جملة من هذه الأحاديث في بيان الكبيرة ا ٩٣—٩٨ من كتابه (الزواجر) وهي « اتخاذ القبور مساجد وايقاد السرج عليها واتخاذها اوثاناوالطواف بها واستلامها والصلاة اليها» ثم قال

« عد هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية وكأنه أخذذلك مما ذكرته من هذه الأحاديث . ووجه أخذ اتخاذ القبر مسجدا منهاواضح لأنه لعن من فعل ذلك بقبور أنبيائه وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة ففيه تحذير لنا كما في رواية « يحذر ما صنعوا » أي يحذر أمته بقوله لهم ذلك من ان يصنعوا كصنع أولئك فيلعنوا كما لعنوا. واتخاذ القبرمسجدا معناه الصلاة عليه أو إليه وحينئذ فقوله (أي قول ذلك الإمام الذي نقل ابن حجر قوله في كون هذه الأمور الستة من الكبائر) مكرر الا ان يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط ، نعم إنما يتجه هذا الأخذ اذا كان القبر قبر معظم من نبي أو وليّ كما أشارت اليه رواية « إذا كان فيهم الرجل الصالح » ومن ثم قال أصحابنا يحرم الصلاة الى قبور الانبياء والأولياء تبركا واعظاما ، فاشترطوا شيئين ان يكون قبر معظم وان يقصد بالصلاة اليه ومثلها الصلاة عليه التبرك والاعظام . وكون هذا الفعل كبيرة ظاهر من الاحاديث المذكورة لما علمت . وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر كايقاد السرج عليه تعظيما له وتبركا به والطواف به كذلك وهوأخذ غير بعيد سيما وقد صرح في الحديث المذكور آنفا بلعن من اتخذ على القبر سرجا فيحمل قول اصحابنا بكراهة ذلك على ماذا لم يقصد به تعظيما اوتبركا بذي القبر (١)

(١) أي ان وضع السراج والقنديل على القبر له حالان حال كراهة اذا كان القبر غير معظم ولم يوضع السراج عليه بقصد تعظيم وحال حرمة من الكبائر اذا كان قبر معظم كقبور الاولياء

صلى الله عليه وآله وسلم بالهوى وقد علم مما مر عن ابن حجر فساد تحريفه . و بناؤه التحريف على فرض صحة الحديث من دلائل جهله بالرواية

وحرف أيضا وأول النذور والذبائح لاصحاب القبور وزعم ان تلك النذور لاتفعل على انها من باب الديانات . و بطلان هذا بديهي لكل مختبر الا انه يجوز ان يكون لم يطلع على ما اطلع عليه غيره من تلك البدع فأطلق النفي كعادة أمثاله من الذين يكيلون جزافا

وحرف أيضا الاحاديث الواردة بطمس القبور وتسويتها زاعما ان المراد طمس ما كان من ذلك للجاهلية وانه لا بأس باتباع المسلمين لسننهم بل زعم ان المسلمين انما يحفرون القبور تحت البناء وهذا لادليل على منعه والجاهلية يبنون على القبور (انظر ص١٥) وهذه سخافة لايكاد يرضاها لنفسه عاقل فاذا كانت الأحاديث صريحة في منع تعظيم القبور بالبناء عليها فهل يعقل ان يكون هناك فرق بين تقدم بناء المسجد على القبر أو تأخره عنه ؟ ؟ على ان المسلمين يفعلون الامرين معا كما هو مشاهد في مصر وغيرها

اما صاحب الذيل لتلك الرسالة (أحمد جمال الدين) فهو أجهل من المحجوب وا كثف حجابا فلا يستحق ان يقام له وزن فيرد عليه وبماذا يخاطب من يرمي شيخ الاسلام ابن تيمية بالأنحراف عن السنة وتحقير السلف وهو هو الذي امتاز على جميع علماء الاســلام بنصر السنة وخذل البدعة والدعوة الى اتباع السلف واظهار خطأ من خالفهم من المتكلمين والصوفية والفقهاء بالحجج والبينات النقليه والعقلية ولولا هذا لما تكلم فيه أحد كما علم مما نشرناه من ترجمته في المجلد الماضي وان له رحمه الله كتاباً في المسألة التي يعبرون عنها بالتوسل جمع فأوعى سيطبع . ينشر فترى ما يقول عباد القبور فيه

أرسل الينا هذا الكتاب لأجل طبعه ونحن نكتب هذا الرد على المحجوب فاختصرنا فيه لأن البيان المطول في مسألة التوسل التي هي أم هذه المسائل سيظهر في هذا الكتاب عن قريب ان شاء الله تعالى

الاستمداد لا يقوم حجة عليه لانه لا يدخل في مفهوم الحديث بل يخالفه على ان الغزالي لا يبيح تعظيم القبور ودعاء من دفن فيها وغير ذلك مما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم

وكذلك حرف حديث « لا تشد الرحال » فألحق به قيد نذر الصلاة فيها ولو جاز لنا ان نقيد الآيات والاحاديث بما لا تدل عليه عبارتها لما سلم لنا من ديننا شيء ومن جهله بالحديث أنه جعل غاية الاحتجاج وعمدة البراهين على زيارة قبر النبي الاعظم صلى الله عليه وسلم حديث « من زار قبري وجبت له شفاعتي » (كما في ص ١١) وأهون ما قال المحدثون في هذا الحديث انه ضعيف كما ترى في الجامع الصغير للسيوطي ، وكأن المحجوب قد حجب والعياذ بالله تعالى عن جميع كتب السنة حتى مثل الجامع الصغير

ثم احتج (في ص ١٢) ببناء سليمان لقبر الخليل عليهما السلام و ببعض روايات حديث المعراج ان جبريل أمر النبي (ص) ان ينزل عند قبر جده ابراهيم (ص) فيصلي ركعتين ففعل وزعم أن هذا حديث صححه المحدثون الثقات وهو كاذب في ذلك بل قال شيخ الاسلام في تفسير سورة الاخلاص انه موضوع ولم يكن لابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم قبر مبني قبل الاسلام ولا في العصر الأول له . على انه إذا صح لا يكون حجة على خلاف ما قلناه لانه لا يعارض الأحاديث الصحيحة التي أشرنا اليها إذ لا يدل على ان القبر كان عليه مسجد ولا على انه (ص) صلى إليه أو عليه معظما له بل به تصدق كلمة «عنده» بالصلاة في مكان هناك وان بعد عن القبر . فان فرضنا انه هذا الحديث يعارضها والجمع بينه و بينها متعذر وجب القول بنسخه دونها لأن أحاديث المعراج كانت في أول الاسلام وأحاديث النهي عن القبور كانت قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى انه كان يقولها قبل الموت بخمس ليال ويقول « اللهم اني بلغت » ثلاث مرات ثم قال « اللهم اشهد » ٣ مرات كما في حديث كعب بن مالك عند الطبراني . وأنى للمحجوب أن يطلع على هذا ؟

وحرف أيضا النهي عن وضع السرج على القبور فقال (في ص ١٣) «بحمله على تقدير صحته على فعل ذلك للتعظيم المجرد عن انتفاع الزائرين (قال)واما اذا كان القصد به انتفاع اللائذين والمقيمين ،فهو جائز بلا مين »وهذا من التحكم في حديث الرسول

النفع فيه للدولة والامة . فينتفع بهذا المستبدون ، ويغتر به المغترون ، حتى يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ، »

وقد مزجنا في هذا بين ماهو مقصود من هذه الاحتفالات بأعياد الملوك والامراء آنفا وما كان ينبغي ان يقصد ثم استدركنا على ذلك في الجزء الذي نشرت فيه المقالة بعد ذكر الاحتفال بقدوم الأمير من أوربا فبينا ان الشرقيين لم يتبعوا الغربيين في ذلك وانما يحتفلون بالملوك والامراء لذواتهم لا لمعنى وطني عام. قلنا «والصواب ان الشرقيين اشد الناس تعظيما لملوكهم منذ القدم وحسبك انهم عبدوهم من دون الله ، وأنهم لا يزالون يقدسونهم بقدر مالهم من السلطة والاستبداد . وأما مسألة إحياء الشعور فنرى بعض الجرائد تنوه بضدها ذاهبة الى ان هذه الاحتفالات منبعثة عن الشعور بعظمة من احتفل لأجله وحبه . وربما يصح هذا من بعض المحتفلين الذين لهم فيه منافع تولد هذا الشعور وإنما الظلم في إسناده الى الأمة مع ان القائمين به أفراد معدودون معروفون » اه المراد منه هنا

وأقول الآن إن الاحتفال لذكرى جلوس السلطان عبد الحميد قد كانت من أسباب انتشار الشعور بعظمته في نفوس من لم يذوقوا ظلمه ونفوس من ذاقوه من حيث لا يعلمون انه منه وكذا من عرفوا ولكن شعور هؤلاء بعظمته في امتهم كان يزيدهم شعورا بمقته وبغضه ، ولم يحل دون ذلك الشعور كله كون النفقة على الاحتفال الرسمي منه كانت من مال الحكومة وعلى غير الرسمي من اموال المرائين في الغالب

ان تقوية الشعور بعظمة الامراء والسلاطين في نفوس الامة يضعف فيها الشعور باستحقاقها للسلطة واهليتها للحكم الدستوري فتبقى ذليلة مهينة . ويقابل هذا كون الاحتفال بعيد الدستور يقوي في الامة الشعور بكرامتها واستحقاقها للحكم الذاتي . واذا كان سلطانها راضيا لها بذلك مشتركا معها فيه — كما هو شأن سلطاننا محمد الخامس ايده الله تعالى — كان ذلك مما يحببه اليها ويرفع مكانته في نفوسها مع العلم بأن عزته بعزتها وعظمته بعظمتها دون العكس

لهذا المعنى وضع عيد الدستور للأمة العثمانية ، وتعلقت به الإرادة السلطانية،

باب الأخبار والآراء

الاحتفال بعيد الدستور العثماني

قرر مجلس الأمة العثمانية المؤلف من المبعوثين والاعيان أن يكون مثل اليوم الذي أعلن فيه الدستور من كل عام عيدا وطنيا للعثمانيين تحتفل فيه الحكومة رسميا . وصدرت إرادة السلطان الدستوري الاول مولانا محمد الخامس بذلك، وقد علم من صحف عاصمة السلطنة ان الاحتفال الاول فيها سيكون ذا بهجة وفخامة لم يعهد لها نظير، يشترك فيه الاهالي مع الحكومة بمحض أريحيتهم واختيارهم راضين مسرورين لا كاحتفالات عيد الجلوس الحميدي التي كان عبد الحميد ينفق على الرسمي منها وغير الرسمي حتى انه كان يرسل مقدار الزينة من يلدز الى دور الكبراء لعلمه انه لا يكاد يوجد فيهم من ترتاح نفسه الى إنفاق شيء مما ملكته يده على ذلك وان كان مما نهبه بجاه عبد الحميد من مال الامة أو مما باعه للاجانب من مصالحها

سبق لنا بحث في فلسفة هذه الاحتفالات في المجلد الرابع من المنار في مقالة عنوانها (الشعور والوجدان، وشعائر الامم والاديان) (في ص ٦٤١) وفي استدراك عليها (في ص ٦٧٥) وقد بينا هنالك ان الاعياد من الشعائر التي تحيي شعور الامم بالمعنى الذي وضع العيد لاجله سواء كان دينيا أو اجتماعيا ومما قلناه في المقالة :

« إن أهل الغرب اتخذوا لملوكهم أعيادا لإحياء الشعور الوطني الذي يمثله رئيس الدولة في الملكية ، وللدول الجمهورية منهم اعياد باسم الحكومة التي يعتزون بها ويعززونها . وقد قلدهم الشرقيون في الاحتفال بأعياد ملوكهم وأمرائهم لإرضائهم إذ كانوا لا وطن لهم ولا وطنية ، ولا دول عزيزة بحكومتها قوية ، ولا شك ان هذه الأعياد شعائر تبعث الشعور بحب السلطان أو الامير في نفوس الذين يعتقدون

[redacted]

[redacted]

[redacted]

[redacted]

نزلت في مكة فلا شيء من أحكامها كان مما يحتاج اليه في مكة قبل الهجرة

افتتحت بعد الامر بالتقوى بأحكام اليتامى والبيوت والأموال ومنها الميراث ومحرمات النكاح وحقوق الرجال على النساء والنساء على الرجال ، ثم ذكر فيها كثير من أحكام القتال . وجاء فيها بين أحكام البيوت وأحكام القتال حجاج لأهل الكتاب، وفي أثناء أحكام القتال وآدابه شيء عن المنافقين ثم كانت أواخرها في محاجة أهل الكتاب الا ثلاث آيات هن خاتمتها ـ وكل ذلك من شؤون الاسلام بعد الهجرة

ومن وجوه الاتصال بينها و بين ماقبلها ان هذه قد افتتحت بمثل ما اختتمت به تلك من الامر بالتقوى وهو مايسمى في البديع تشابه الاطراف . وفي روح المعاني ان هذا آكد وجوه المناسبات في ترتيب السور (ومنها) محاجة أهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا في كل منهما . (ومنها) ذكر شيء عن المنافقين في كل منهما وكونه في سياق الكلام عن القتال . (ومنها) ذكر أحكام القتال في كل منهما (ومنها) ان في هذه شيئا يتعلق بغزوة أحد التي فصلت وقائعها وحكمها وأحكامها في آل عمران وهو قوله تعالى في هذه السورة «فما لكم في المنافقين فئتين» الخ كما سيأتي في موضعه . وكذا ذكر شيء يتعلق بغزوة (حمراء الاسد) التي كانت بعد (أحد) وسبق ذكرها في آل عمران كما تقدم . وذلك قوله تعالى في هذه السورة «ولا تهنوا في ابتغاء القوم » وسيأتي . وقد ذكر هذا الوجه وماقبله في روح المعاني . وأما الوجوه الاخرى وهي ماتتعلق المناسبة فيها بمعظم الآيات فلم أرها في كتاب



(١) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا *

وقيل في السنة الثانية . وقال القرطبي كلها مدنية الا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح في عثمان ابن طلحة وهي قوله «ان الله يأمركم ان تردوا الأمانات الى أهلها» وسيأتي ذلك في محله وزعم النحاس انها كلها مكية لما ورد في سبب نزول هذه الآية من قصة مفتاح الكعبة وهو وهم بعيد واستدلال باطل فان نزول آية من السورة في مكة بعد الهجرة لا يقتضي كون السورة كلها مكية على ان بعض الروايات في واقعة المفتاح تشعر بأن النبي (ص) قرأ الآية محتجا ومبينا للحكم فيها ففي رواية ابن مردويه انه بعد ان أخذ المفتاح من عثمان وفتح الكعبة وأزال منها تمثال ابراهيم والقداح الذي كانوا يستقسمون بها عاد فأعطاه إياه وقرأ الآية . ولعل من قال انها نزلت يومئذ استنبط ذلك من قراءة النبي (ص) لها

ثم انه ينظر في التفرقة بين المكي والمدني من وجهين أحدهما بيان الواقع وتحديد التاريخ بالتفصيل ان أمكن ولا فرق في هذا الوجه بين مانزل بمكة قبل الهجرة و بعدها (ثانيهما) بيان شأن الدين وسنة التشريع وأسلوب القرآن قبل الهجرة و بعدها وبهذا الاعتبار رجح المحققون ان كل مانزل بعد الهجرة فهو مدني ولا يعنون بهذا انه نزل في نفس المدينة بالتفصيل كل آية آية وانما المراد انه نزل في الزمن الذي كانت المدينة فيه هي عاصمة الاسلام وكان للمسلمين فيه قوة تمنعهم ونظام يجمع شملهم . وعلى هذا يكون حكم مانزل بمكة عام الفتح أو عام حجة الوداع كحكم مانزل في الحديبية و بدر وغير ذلك من المواضع التي كان يخرج اليها النبي (ص) لغزو أو نسك على عزم العود الى المدينة

يغلب في السور المكية الايجاز في العبارة وان تكرر ذكرها لما في التكرار من الفوائد لأن الذين خوطبوا بها أولاهم أبلغ العرب على الإطلاق وانما يتبارى البلغاء بالايجاز و يغلب في معانيها تقرير كليات الدين والاحتجاج لهـا والنضال عنها وهي التوحيد والبعث وعمل الخير وترك الشر ومعظم الحجاج فيها موجه الى دحض الشرك وإقناع المشركين . واما السور المدنية فحجاجها في الغالب مع أهل الكتاب والمنافقين وفيها تفصيل الأحكام الشخصية والمدنية لكثرة المسلمين المحتاجين اليها . فاذا فطنت لهذا تجلى لك أفن رأي من قال ان هذه السورة مكية ومن قال أيضا ان أوائلها

بنعمه و بين وصفه بقوله ﴿ الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ ظاهرة فان الخلق أثر القدرة ومن كان متصفا بهذه القدرة العظيمة جدير بأن يتقى ويحذر عصيانه ' كذا قال بعضهم ' قال الاستاذ الامام وأحسن من هذا أن يقال ان هذا تمهيد لما يأتي من احكام اليتامى ونحوها كأنه يقول يا أيها الناس خافوا الله واتقوا اعتداء ما وضعه لكم من حدود الاعمال واعلموا انكم أقرباء يجمعكم نسب واحد وترجعون الى أصل واحد فعليكم ان تعطفوا على الضعيف كاليتيم الذي فقد والده وتحافظوا على حقوقه ' أقول وفي ذكر لفظ الرب هنا ما هو داعية لهذا الاستعطاف أي ربوا اليتيم وصلوا الرحم كما ربا كم خالقكم بنعمه وحاطكم بجوده وكرمه

الاستاذ الامام: ليس المراد بالنفس الواحدة آدم بالنص ولا بالظاهر فمن المفسرين من يقول ان كل نداء مثل هذا يراد به أهل مكة أو قريش فاذا صح هذا هنا جاز أن يفهم منه بنو قريش ان النفس الواحدة هي قريش أو عدنان. واذا كان الخطاب للعرب عامة جاز ان يفهموا منه ان المراد بالنفس الواحدة يعرب أو قحطان . واذا قلنا ان الخطاب لجميع أهل الدعوة الى الاسلام أي لجميع الامم فلا شك ان كل أمة تفهم منه ما تعتقده. فالذين يعتقدون ان جميع البشر من سلالة آدم يفهمون ان المراد بالنفس الواحدة آدم ' والذين يعتقدون أن لكل صنف من البشر أبا يحملون النفس على مايعتقدون ' (والاصناف الكبرى هي الابيض القوقاسي والاصفر المغولي والاسود الزنجي وغيره و بعض فروع هذا تكاد تكون أصولا كالأحمر الحبشي والهندي الأمريكي والملقي)

(قال) والقرينة على انه ليس المراد هنا بالنفس الواحدة آدم قوله «و بث منهما رجالا كثيرا ونساءً » بالتنكير وكان المناسب على هذا الوجه ان يقول و بث منهما جميع الرجال والنساء . وكيف ينص على نفس معهودة والخطاب عام لجميع الشعوب وهذا العهد ليس معروفا عند جميعهم فمن الناس من لا يعرفون آدم ولا حواء ولم يسمعوا بهما . وهذا النسب المشهور عند ذرية نوح مثلا هو مأخوذ عن العبرانيين فانهم هم الذين جعلوا للبشر تاريخا متصلا بآدم وحددوا له زمنا قريبا . وأهل الصين ينسبون البشر الى أب آخر ويذهبون بتاريخه الى زمن أبعد من الزمن الذي ذهب اليه العبرانيون . والعلم والبحث في آثار البشر مما يطعن في تاريخ

قال الأستاذ الامام : افتتح سبحانه السورة بتذكير الناس المخاطبين بأنهم من نفس واحدة فكان هذا تمهيدا وبراعة مطلع لما في السورة من احكام القرابة بالنسب والمصاهرة وما يتعلق بذلك من احكام الانكحة والمواريث فبين القرابة العامة بالاجمال ثم ذكر الارحام وشرع بعد ذلك في تفصيل الاحكام المتعلقة بها وسميت سورة النساء لأنها افتتحت بذكر النساء وبعض الاحكام المتعلقة

بهن ، وقوله تعالى ﴿ يا أيها الناس ﴾ خطاب عام ليس خاصا بقوم دون قوم فلا وجه لتخصيصها بأهل مكة كما فعل المفسر (الجلال) لا سيما مع العلم بأن السورة مدنية الا آية واحدة فيها شك هل هي مدنية أم مكية . ولفظ الناس اسم لجنس البشر قيل أصله « أناس » فحذفت الهمزة عند إدخال الألف واللام عليه .

أقول وقد عزا الرازي القول بأن الخطاب لاهل مكة الى ابن عباس (رض) وقال واما الاصوليون من المفسرين فقد اتفقوا على ان الخطاب عام لجميع المكلفين وهذا هو الاصح. وأيده بثلاثة وجوه: كون اللام في الناس للاستغراق وكون جميعهم مخلوقين ومأمورين بالتقوى . وأذكر ان أقدم عبارة سمعتها في التفسير فوعيتها وأنا صغير عن والدي رحمه الله هي قوله ان الله تعالى كان ينادي أهل مكة بقوله « ياأيها الناس » واهل المدينة بقوله « ياأيها الذين آمنوا » ولم يناد الكفار بوصف الكفر الا مرة واحدة في سورة التحريم « ياأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم » وهذا أخبار عما ينادون به في الآخرة . وأقول ان كلمة ياأيها الناس كثيرة في السور المكية كالاعراف ويونس والحج والنمل والملائكة . ووردت أيضا في البقرة والنساء والحجرات من السور المدنية . فخطاب أهل مكة فيها هو الغالب وهو مع ذلك يعم غيرهم ووردها في السور المدنية يراد به خطاب جميع المكلفين ابتداء وما أظن ان ابن عباس قال في فاتحة النساء انها خطاب لاهل مكة بل يوشك ان يكون قد قال نحوا مما رويناه آنفا عن الوالد فتصرف فيه الناقلون وحملوه على كل فرد من أفراد هذا الخطاب حتى غلط فيه الجلال السيوطي

في التفسير وان حقق في الاتقان ان السورة مدنية وقوله ﴿ اتقوا ربكم ﴾ قد تقدم مثله كثيرا وآخره في آخر السورة السابقة والمناسبة بين الامر بتقوى رب الناس ومغذيهم

في الفصل الخامس عشر خبرا طويلا نقل فيه ان الله تعالى خلق قبل ابينا آدم ثلاثين آدم بين كل آدم وآدم ألف سنة وان الدنيا بقيت خرابا بعدهم خمسين ألف سنة ثم عمرت خمسين ألف سنة ثم خلق أبونا آدم عليه السلام • وروى ابن بابويه في كتاب التوحيد عن الصادق في حديث طويل أيضا انه قال لعلك ترى ان الله لم يخلق بشرا غيركم ؟ بلى والله لقد خلق ألف ألف آدم أنتم في آخر أولئك الآدميين • وقال الميثم في شرحه الكبير النهج : ونقل عن محمد بن علي الباقر انه قال قد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف الف آدم أو أكثر . وذكر الشيخ الاكبر قدس سره في فتوحاته مايقتضي بظاهره ان قبل آدم بأربعين ألف سنة آدم غيره . وفي كتاب الخصائص (لابن بابويه كما في الهامش) مايكاد يفهم منه التعدد أيضا الآن حيث روى فيه عن الصادق انه قال ان لله تعالى اثني عشر ألف عالم كل عالم منهم أكبر من سبع سموات وسبع أرضين مايرى عالم منهم ان لله عز وجل عالما غيرهم . اه المراد منه وفي المسألة تقول اخرى في الفتوحات وغيرها ثم نقل عن زين العرب القول بكفر من يقول بتعدد آدم . وهذا من جرأته وجرأة أمثاله الذين يتهجمون على تكفير المسلمين لأوهى الشبهات

للاستاذ الامام في هذا المقام رأيان أحدهما ان ظاهر هذه الآية يأبى ان يكون المراد بالنفس الواحدة آدم أي سواء كان هو الاب لجميع البشر أم لا لما ذكره من تنكير ما بثه منها ومن زوجها على انه يمكن الجواب عن هذا بان التنكير لمن ولد منهما مباشرة كأنه يقول بث منهما كثيرا من الرجال والنساء وبث من هؤلاء سائر الناس . وثانيهما انه ليس في القرآن نص اصولي قاطع على ان جميع البشر من ذرية آدم : والمراد بالبشر هنا هذا الحيوان الناطق البادي البشرة المنتصب القامة الذي يطلق عليه لفظ الانسان . وعلى هذا الرأي لا يرد على القرآن مايقوله بعض الباحثين ومن اقتنع بقولهم من ان للبشر عدة آباء ترجع اليهم سلائل كل صنف منهم . ثم ان ماذهب اليه الاستاذ الامام يرد الشبهات التي ترد في هذا المقام ولكنه لايمنع المعتقدين أن آدم هو أبو البشر كلهم من اعتقادهم هذا لأنه لايقول ان القرآن ينفي هذا الاعتقاد وانما يقول انه لا يثبته إثباتا قطعيا لايحتمل التأويل . وقد صرحنا بهذا لأن بعض الناس كان فهم من درسه انه يقول ان القرآن ينافي هذا الاعتقاد أي اعتقاد

العبرانيين ونحن المسلمين لا نكلف تصديق تاريخ اليهود وان عزوه الى موسى عليه السلام فانه لا ثقة عندنا بانه من التوراة وانه بقي كما جاء به موسى

(قال) نحن لانحتج على ماوراء مدركات الحس والعقل الا بالوحي الذي جاء به نبينا عليه السلام وانا نقف عند هذا الوحي لانزيد ولا ننقص كما قلنا مرات كثيرة وقد أبهم الله تعالى ههنا أمر النفس التي خلق الناس منها وجاء بها نكرة فندعها على إبهامها . فاذا ثبت مايقوله الباحثون من الافرنج من ان لكل صنف من أصناف البشر أبا كان ذلك غير وارد على كتابنا كما يرد على كتابهم التوراة لما فيها من النص الصريح في ذلك وهو مما حمل باحثيهم على الطعن في كونها من عند الله تعالى ووحيه

وما ورد في آيات أخرى من مخاطبة الناس بقوله « يابني آدم » لاينافي هذا ولا يعد نصا قاطعا في كون جميع البشر من أبنائه اذ يكفي في صحة الخطاب ان يكون من وجه اليهم في زمن التنزيل من أولاد آدم وقد تقدم في تفسير قصة آدم في أوائل سورة البقرة أنه كان في الارض قبله نوع من هذا الجنس فسدوا فيها وسفكوا الدماء

وأقول زيادة في الإيضاح اذا كان جماهير المفسرين فسروا النفس الواحدة هنا بآدم فهم لم يأخذوا ذلك من نص الآية ولا من ظاهرها بل من المسألة المسلمة عندهم وهي ان آدم أبو البشر. وقد اختلفوا في مثل هذا التعبير من قوله تعالى (٧: ١٨٩ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها)الآية فقد ذكر الرازي في تفسيرها ثلاثة تأويلات التأويل الاول ماذكره عن القفال وهو انه تعالى ذكر هذه القصة على سبيل ضرب المثل والمراد خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها إنسانا يساويه في الانسانية الخ والتأويل الثاني ان الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي وان المراد بالنفس الواحدة قصيّ . والثالث ان النفس الواحدة آدم وأجاب عما يرد عليه من وصفه هو وزوجه بالشرك . وقد تقدم في تفسير سورة البقرة توجيه كون قصة آدم نفسها من قبيل التمثيل الذي حمل القفال عليه آية سورة الأعراف

وقد نقل عن الامامية والصوفية انه كان قبل آدم المشهور عند اهل الكتاب وعندنا آدمون كثيرون قال في روح المعاني: وذكر صاحب جامع الاخبار من الامامية

آدم عليه السلام أو القرد أو غير ذلك. وهذا المعنى هو المراد من تذكير الناس بأنهم من نفس واحدة لانه مقدمة للكلام في حقوق الايتام والارحام وليس كلاما مستقلا لبيان مسائل الخلق والتكوين بالتفصيل لان هذا ليس من مقاصد الدين . وبهذا التفسير ينحل ماسيأتي من الإشكال اللفظي بأوضح مما حلوه به

اما حقيقة النفس التي يحيا به الانسان فقد اختلف فيها المسلمون كما اختلف فيها من قبلهم ومن بعدهم (١) فقال بعضهم هي عرض من اعراض البدن لا استقلال لها بنفسها بل هي الحياة وقال الجمهور بل هي جوهر قال بعضهم مادي و بعضهم انه مجرد عن المادة . وقيل هي جزء من البدن وقيل جسم مودع فيه ، واختلف في الروح فقيل هي النفس وقيل غيرها ، وقال بعضهم بالوقف وعدم جواز الكلام في حقيقة الروح ، كل هذه الاقوال نقلت عن علماء المسلمين من أهل الكلام والفلسفة والتصوف ولم يكفر أحد منهم أحدا بمذهبه فيها ، ومن الغرائب ان القول بأن الروح عرض من اعراض الجسم هو الحياة منقول عن القاضي أبي بكر الباقلاني واتباعه من متكلمي الاشاعرة وهو مع ذلك يعد من أئمة أهل السنة الاشاعرة . وروي عن الامام مالك ان الروح صورة كالجسد

وقال أبو عبد الله ابن القيم في تعريف الروح وشرح حقيقته على مذهب أهل السنة انه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حيّ متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم فما دامت هذه الاعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف مشابكا لهذه الاعضاء أفادها هذه الآثار الفائضة عليها من الحس والحركة الارادية واذا فسدت هذه الاعضاء بسبب

(١) اعني بمن بعدهم من صار لهم بعدهم حياة علمية كالافرنج فقد كان المسلمون لا شريك لهم في هذه الحياة وصاروا ولا وجود لهم فيها إذ لا تسمع لاحد منهم رأيا ولا مذهبا في مسألة ما من مسائل العلم والفلسفة كما كان سلفهم ولعلهم يعودون

ان آدم ابو البشر كلهم وهو لم يقل هذا تصريحا ولا تلويحا وانما بين أن ثبوت مايقوله الباحثون في العلوم وآثار البشر وعاداتهم والحيوانات من ان للبشر عدة أصول ومن كون آدم ليس أباهم كلهم في جميع الأرض قديما وحديثا - كل هذا لاينافي القرآن ولا يناقضه ويمكن لمن ثبت عنده ان يكون مسلما مؤمنا بالقرآن. بل له حينئذ ان يقول لو كان القرآن من عند محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لما خلا من نص قاطع يؤيد الاعتقاد الشائع عن أهل الكتاب في ذلك ولكنه وهو من عند الله جاء في ذلك بما لم تستطع اليهود ان تعارضه من قبل بدعوى مخالفته لكتبهم ولم يستطع الباحثون ان يعارضوه من بعد لمخالفته ماثبت عندهم. وليت شعري ماذا يقول الذين يذهبون الى ان المسألة قطعية بنص القرآن فيمن يوقن بدلائل قامت عنده بأن البشر من عدة اصول؟ هل يقولون اذا أراد ان يكون مسلما وتعذر عليه ترك يقينه في المسألة انه لا يصح ايمانه ولا يقبل اسلامه وان أيقن بأن القرآن كلام الله وانه لا نص فيه يعارض يقينه ؟؟

هذا وان المتبادر من لفظ النفس بصرف النظر عن الروايات والتقاليد المسلمات أنها هي الماهية او الحقيقة التي كان بها الانسان هو هذا الكائن الممتاز على غيره من الكائنات أي خلقكم من جنس واحد وحقيقة واحدة ولا فرق في هذا بين ان تكون هذه الحقيقة بدئت بآدم كما عليه أهل الكتاب وجمهور المسلمين أو بدئت بغيره وانقرضوا كما قاله بعض الشيعة والصوفية أو بدئت بعدة أصول انبث منها عدة أصناف كما عليه بعض الباحثين - ولا بين ان تكون هذه الاصول أو الاصل مما ارتقى عن بعض الحيوانات أو خلق مستقلا على ماعليه الخلاف بين الناس في هذا العصر، والله تعالى يقول في سورة المؤمنين (٢٣: ١٢ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) الآيات وسنبين في تفسيرها أو تفسير سورة الحجر مايفيده مجموع الآيات المنزلة في خلق الانسان من كيفية تكوينه. على كل حال وكل قول يصح ان جميع الناس هم من نفس واحدة هي الإنسانية التي كانوا بها ناسا وهي التي يتفق الذين يدعون الى خير الناس وبرهم ودفع الاذى عنهم على كونها هي الحقيقة الجامعة لهم فتراهم على اختلافهم في أصل الانسان يقولون عن جميع الاجناس والاصناف انهم اخوتنا في الانسانية فيعدون الانسانية مناط الوحدة وداعية الالفة والتعاطف بين البشر سواء اعتقدوا ان أباهم

فالماديّ الذي يقول انه لا روح الا هذا العرض الذي يسمى الحياة يشبّه الجسد بالبطارية الكهربائية ويقول انها بوضعها الخاص وبما يودع فيها من المواد تتولد فيها الكهربائية فاذا زال شيء من ذلك فقدت وكذلك تتولد الحياة في البدن بتركيب مزاجه بكيفية خاصة وبزوالها تزول . ويقول المعتقد استقلال الارواح ان الجسد يشبه المركبة الكهربائية وشبهها من الآلات التي تدار بالكهرباء توجه اليها من المعمل المولد لها فاذا كانت الآلة على وضع خاص في أجزائها وأدواتها كانت مستمدة لقبول الكهربائية التي توجه اليها واداء وظيفتها بها وان فقد منها بعض الأدوات الرئيسة أو اختل وضعها الخاص فارقتها الكهربائية ولم تعد تعمل بها

على انهم كانوا يظنون ان الكهرباء قوة تعرض للمادة لا وجود لها في ذاتها فصاروا من عهد قريب يرجحون انها هي أصل الموجودات كلها أي انها موجودة بذاتها وكل المواد الأخرى موجودة بها ويقرب من هذا قول الروحيين ان الروح هي حقيقة الانسان الثابته وان قوام الجسد بها فهي الحافظة لوجوده والمنظمة لشؤونه الحيوية فاذا فارقته انحل وعاد الى بسائطه، وانما يقال هذا باعتبار الاسباب والظواهر والى الله ترجع الامور

وهذا المذهب الجديد في الكهربائية قريب من مذهب أهل وحدة الوجود من الصوفية وربما كان سلما موصلا اليه ، وسنعود الى هذا المبحث فنبسط القول فيه على مذاهب أهل الفلسفة والعلوم الطبيعية لهذا العهد في موضع أليق به من هذا الموضع ان شاء الله تعالى

أما قوله تعالى ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ فمعناه المراد عند الجمهور ان الله تعالى خلق لتلك النفس التي هي آدم زوجا منها وهي حواء قالوا انه خلقها من ضلعه الأيسر وهو نائم وذلك ما صرح به في الفصل الثاني من سفر التكوين وورد في بعض الاحاديث ولولا ذلك لم يخطر على بال قارئ القرآن. وهناك قول آخر اختاره أبو مسلم كما قال الرازي وهو ان معنى خلق منها زوجها خلقه من جنسها فكان مثلها فهو كقوله تعالى (٣٠ : ٢١ ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وقوله (١٦ : ٧١ والله جعل لكم من أنفسكم

استيلاء الاجزاء الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الأرواح ' اه

وأقول ان أقوى النظريات الفلسفية في إثبات الروح أوالنفس — وهما يطلقان على معنى واحد — هي أن العقل والحفظ والذكر (بالضم أي الذاكرة) ليست من صفات هذا الجسد أو أجزاء ماهيته وهي أمور ثابتة قطعا فلا بدلها من منشإ وجودي غير هذا الجسد الكثيف حتى ان الدماغ الذي مظهرها تنحل دقائقه حتى يندثر ويزول ثم يتجدد المرة بعد المرة وتبقى المدركات محفوظة في النفس تفيضها على الدماغ الجديد بعد زوال ماقبله فيتذكرها الانسان عند الحاجة اليها . وقدعبر الأقدمون عن منشإها الوجودي الذي لابد ان يكون لطيفا خفيا للطافته بالنفس (سكون الفاء) و بالروح (بضم الراء) وهما قريبا المعنى يدلان على ألطف الموجودات المعروفة عند كل الناس فالروح (بالضم) والروح (بالفتح) الذي هو التنفس واحد في الاصل وكلاهما من مادة الريح فان ياء الريح واو قلبت ياء لانكسار ماقبلها. فقد اطلقوا على هذا المعنى اللطيف الذي هو منشأ الادراك والحياة اسمين من اسماء ألطف الموحودات المدركة لهم ' ولو كان الواضعون لهذين الاسمين يعرفون ما يعرفه أهل هذا الزمان من الموجودات التي هي ألطف من الريح والنفس كالإدروجين والكهرباء لأطلقوا لفظها أو لفظا مشتقا منها على منشإ الحياة والادراك وسببهما . ألا ترى أن سائقي المركبات الكهربائية (الترام) وغيرهم يعبرون عن التيار الكهربائي الذي تسير به هذه المركبات بالنفس (بفتح الفاء) فالتسمية لاتعين حقيقة المسمى وانما تدل على أن الواضعين تخيلوا منشأ الحياة شيئا في منتهى اللطافة والخفاء مع قوة تأثيره وعظم آثاره. وإنما كان الفلاسفة هم الذين بحثوا كعادتهم عن حقيقة هذا الامر ولايزالون يبحثون . وقد قال تعالى (١٧: ٨٥ و يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا) أي ان قلة ماعندكم من العلم لايمكنكم من معرفة حقيقة الروح . قال كثير من العلماء ان الآية تدل على انه لامطمع في معرفة حقيقة الروح وأقول انها لاتدل على ذلك بل تدل على انه اذا أوتي الناس من العلم أكثر مما أوتي أولئك السائلون جاز ان يعرفوها لم أر موضحا أو مقربا لمعني الروح والنفس في الانسان كالتمثيل بالكهربائية

عندنا عبارة عن الجنس والحقيقة الجامعة فكونهم من جنس واحد لا ينافي كون هذا الجنس خلق زوجين ذكرا وانثى وكونه بث منهما رجالا كثيرا ونساء بل ولا جميع الرجال والنساء كما هو ظاهر ونقل الرازي عن القاضي ان هذا الاعتراض وارد على القول الذي اختاره ابو مسلم وهو كون الزوج خلق من جنس تلك النفس خلقا مستقلا دون قول الجمهور الذين يقولون ان الزوج خلق من النفس ذاتها بخلق حواء من ضلع آدم

والظاهر انه وارد على القولين لأن الواقع ونفس الأمر ان الناس مخلوقون من الزوجين الذكر والانثى وهما نفسان ثنتان سواء خلقتا مستقلتين أو خلقت احداهما من الأخرى كما قال تعالى (يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) الآية ولكن التأويل على قول الجمهور اسهل اذ يقولون انهم لما كانوا من نفسين احداهما مخلوقة من الاخرى صاروا بهذا الاعتبار من نفس واحدة. وليس تأويل القول الآخر بالعسير فقد قال الرازي: ويمكن ان يجاب بأن كلمة «من» لابتداء الغاية فلما كان ابتداء التخليق والايجاد وقع بآدم عليه السلام صح ان يقال «خلقكم من نفس واحدة» وأيضا فلما ثبت انه تعالى قادر على خلق آدم من التراب كان قادرا ايضا على خلق حواء من التراب واذا كان الامر كذلك فايّ فائدة في خلقها من ضلع من اضلاع آدم. اه كلامه وهو يدل على اختياره ما اختاره ابو مسلم ومثله الاستاذ الامام

﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به ﴾ قرأ عاصم وحمزة والكسائي تساءلون بتخفيف السين واصله تتساءلون فحذفت احدى التاءين للتخفيف، والباقون بتشديدها بإدغام التاء في السين لتقاربهما في المخرج، وكل من الوجهين فصيح معهود عن العرب في صيغة تتفاعلون. والمعنى اتقوا الله الذي يسأل به بعضكم بعضا بأن يقول سألتك بالله ان تقضي هذه الحاجة يرجو بذلك إجابة سؤاله. فمعنى سؤاله بالله سؤاله بإيمانه به وتعظيمه اياه والباء فيه للسبب اي اسألك بسبب ذلك ان تفعل كذا.

واما قوله تعالى ﴿ والأرحام ﴾ فقد قرأه الجمهور بالنصب قال اكثر المفسرين معطوف على الاسم الكريم أي واتقوا الأرحام ان تقطعوها او اتقوا إضاعة حق

أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) وقوله (٤٢ : ١١ فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ومن هذا القبيل قوله عزّ وجل (٩ : ١٢٨ لقد جاءكم رسول من أنفسكم) وقوله (٣ : ١٦٤ لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) ومثلها في سورة البقرة وسورة الجمعة . فلا فرق بين عبارة الآية التي نفسرها وعبارة هذه الآيات فالمعنى في الجميع واحد ومن ثبت عنده ان حواء خلقت من ضلع آدم فهو غير ملجإٍ الى إلصاق ذلك بالآية وجعله تفسيرا لها وإخراجها عن أسلوب أمثالها من الآيات

وذكر الزمخشري وجهين في عطف « وخلق منها زوجها » على ما قبله احدهما انه معطوف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها وابتدأها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها لخ وثانيهما انه معطوف على خلقكم قال والمعنى خلقكم من نفس آدم لأنها من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء ﴿ وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ غيركم من الامم الفائتة للحصر

وقال الاستاذ الامام نكر رجالا ونساء واكد هذا بقوله كثيرا إشارة الى كثرة الأنواع والى انه ليس المراد بالتثنية في قوله « منهما » آدم وحواء بل كل زوجين وهو ينطبق على ما قلناه في تفسير الجملة السابقة ثم ان ذكر خلق الزوج بعد ذكر خلق الناس لا يقتضي تأخره عنه في الزمن فان العطف بالواو لا يفيد الترتيب ولا ينافي كون الكلام مرتبا متناسقا كما تطلب البلاغة فانه جاء على اسلوب التفصيل بعد الاجمال : يقول انه خلقكم من نفس واحدة فهذا إجمال فصله ببيان كونه خلق من جنس تلك النفس زوجا لها وجعل النسل من الزوجين كليهما لجميع سلائل البشر متولدة من زوجين ذكر وانثى

ويرد على رأي ابي مسلم ورأي الجمهور ان بث الرجال والنساء من الزوجين معا ينافي كونهم مخلوقين من نفس واحدة ويناقضه ولا يرد على رأينا البتة لأن النفس الواحدة

عن الأول بان ذكر التساؤل بالارحام ليس أجنبيا من مقام الامر بالتقوى هنا لان هذا الامر تمهيد لحفظ حقوق القرابة والرحم والتزام الاحكام التي جاءت بها السورة في ذلك حتى ان بعض المفسرين قد أرجع قراءة الجمهور الى قراءة حمزة بجعل نصب الارحام بالعطف على محل الضمير من قوله تساءلون به كما تقدم . وأجيب عن الثاني بأن الحلف بغير الله ليس ممنوعا مطلقا وانما يمنع الحلف الذي يعتقد وجوب البر به لا ما قصد به محض التأكيد على طريقة العرب في التأكيد بصيغة القسم كالتأكيد بإن . وأقول ان هذا الجواب مبني على كون التساؤل بالارحام هو قسم بها وهو خطأ فان السؤال بالله غير القسم بالله والسؤال بالرحم غير الحلف بها . وقد أوضح هذا الفرق شيخ الاسلام ابن تيمية في القاعدة التي حرر فيها مسألة التوسل والوسيلة فقال وأجاد وحقق كعادته جزاه الله عن دينه ونفسه خير الجزاء ما نصه :

« واما السؤال بالمخلوق اذا كانت فيه باء السبب ليست باء القسم و بينهما فرق فان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بابرار القسم ، وثبت عنه في الصحيحين انه قال « ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » قال ذلك لما قال أنس بن النضر أنكسر ثنية الربيع ؟ قال لا والذي بعثك بالحق لا نكسر سنها . فقال « يا أنس كتاب الله القصاص » فرضي القوم وعفوا فقال صلى الله عليه وسلم « ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » وقال « رُب اشعث اغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه » رواه مسلم وغيره وقال « ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا اخبركم بأهل النار كل عتلّ جواظ مستكبر » وهذا في الصحيحين وكذلك (حديث) انس بن النضر والآخر من افراد مسلم » . . .

« والاقسام به على الغير ان يحلف المقسم على غيره ليفعل كذا فان حنثه ولم يبر قسمه فالكفارة على الحالف لا على المحلوف عليه عند عامة الفقهاء كما لو حلف على عبده أو ولده أو صديقه ليفعلن شيئا ولم يفعله فالكفارة على الحالف الحانث واما قوله سألتك بالله ان تفعل كذا فهذا سؤال وليس بقسم ، وفي الحديث « من سألكم بالله فأعطوه » ولا كفارة على هذا إذا لم يجب سؤاله والخلق كلهم يسألون الله مؤمنهم وكافرهم وقد يجيب الله دعاء الكفار فان الكفار يسألون الله الرزق فيرزقهم

الارحام بأن تصلوها ولا تقطعوها ، وجعله بعضهم عطفا على محل الضمير المجرور في به واختاره الاستاذ الامام . وجوز الواحدي نصبه بالاغراء كالقول المأثور عن عمر (رض) : ياسارية الجبلَ . أي الزم الجبل ولذ به والمعنى واحفظوا الارحام وأدوا حقوقها . وقرأه حمزة وحده بالجر قيل انه على تقدير تكرير الجارّ أي واتقوا الله الذي تساءلون به و بالارحام وقد سمع عطف الاسم المظهر على الضمير المجرور بدون إعادة الجارّ الذي هو الا كثر وانشد سيبويه في ذلك قولهم

نعلق في مثل السواري سيوفنا وما بينها والكعبِ غوط نفانف

وقولهم

فاليوم قد بت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والايامِ من عجب

وقد اعترض النحاة البصريون على حمزة في قراءته هذه لأن ماورد قليلا عن العرب لا يعدونه فصيحا ولا يجعلونه قاعدة بل يسمونه شاذا وهذا من اصطلاحاتهم ومثل هذه اللغات التي لم ينقل منها شواهد كثيرة قد تكون فصيحة ولكن هؤلاء النحاة مفتونون بقواعدهم وقد نبه الاستاذ الامام على خطإهم في تحكيمها في كتاب الله تعالى على أنه ليس لهم ان يجعلوا قواعدهم حجة على عربي وقال هنا : ان الارحام اما منصوب عطفا على لفظ الجلالة واما مجرور عطفا على الضمير في « به » وهو جائز بنص هذه الآية على هذه القراءة وهي متواترة خلافا لبعضهم . وقال الرازي هنا : والعجب من هؤلاء النحاة انهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بهذين البيتين المجهولين ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة ومجاهد مع انهما من اكابر علماء السلف في علم القرآن .

هذا وان المنكرين على حمزة جاهلون بالقراءات ورواياتها متعصبون لمذهب البصريين من النحاة والكوفيون يرون مثل هذا العطف مقيسا ورجح مذهبهم هذا بعض أئمة البصريين وأطال بعض العلماء في الانتصار له

وقد اعترض بعضهم على قراءة حمزة من جهة المعنى فقالوا ان ذكره في مقام الأمر بالتقوى والترغيب فيها مخل بالبلاغة لأنه أجنبي من هذا المقام ثم ان فيه تقريرا لما كانت عليه الجاهلية من التساؤل بالارحام كما يتساءل بالله تعالى وهـذا مما منعه الاسلام بدليل حديث الصحيحين « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » وأجيب

يقتضي إنجاز ماوعده ومنه قول المؤمنين (ربنا اننا سمعنامناديايناديللايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا وتوفنا مع الابرار) وقوله (انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا وانت خير الراحمين * فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري) ويشبه هذا مناشدة النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر حيث يقول «اللهم انجز لي ماوعدتني» وكذلك مافي التوراة ان الله تعالى غضب على بني اسرائيل فجعل موسى يسأل ربه ويذكر ماوعد به ابراهيم فانه سأله بسابق وعده لابراهيم. ومن السؤال بالاعمال الصالحة سؤال الثلاثة الذين أووا الى غار فسأل كل واحد منهم بعمل عظيم اخلص فيه لله لأن ذلك العمل مما يحبه الله ويرضاه محبة تقتضي اجابة صاحبه هذا سأل ببره لوالديه وهذا سأل بعفته التامة وهذا سأل بامانته واحسانه وكذلك كان ابن مسعود يقول وقت السحر «اللهم امرتني فاطعتك ودعوتني فأجبتك وهذا سحر فاغفرلي» ومنه حديث ابن عمر انه يقول على الصفا اللهم انك قلت وقولك الحق (ادعوني أستجب لكم) وانك لاتخلف الميعاد. ثم ذكر الدعاء المعروف عن ابن عمر انه كان يقوله على الصفا

فقد تبين ان قول القائل اسألك بكذا نوعان فان الباء قدتكون للقسم وقد تكون للسبب فقد تكون قسما به على الله وقد تكون سؤالا بسببه * فاما الاول فالقسم بالمخلوقات لايجوز على المخلوق فكيف على الخالق وأما الثاني فهو السؤال بالمعظم كالسؤال بحق الانبياء فهذا فيه نزاع وقد تقدم عن ابي حنيفة واصحابه انه لايجوز ذلك. فنقول قول السائل لله تعالى اسألك بحق فلان وفلان من الملائكة والانبياء والصالحين وغيرهم أو بجاه فلان أو بحرمة فلان يقتضي ان هؤلاء لهم عند الله جاه وهذا صحيح فان هؤلاء لهم عند الله منزلة وجاه وحرمة يقتضي ان يرفع الله درجاتهم ويعظم اقدارهم ويقبل شفاعتهم اذا شفعوا مع انه سبحانه قال (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) ويقتضي ايضا ان من اتبعهم واقتدى بهم فيما سن له الاقتداء بهم فيه كان سعيدا ومن أطاع أمرهم الذي بلغوه عن الله كان سعيدا ولكن ليس نفس مجرد قدرهم وجاههم مما يقتضي اجابة دعائه اذا سأل الله بهم حتى يسأل الله بذلك بل جاههم ينفعه اذا اتبعهم واطاعهم فيما أمروا به عن الله أو تأسى بهم فيما سنوه للمؤمنين وينفعه أيضا اذا دعوا له وشفعوا

ويسقيهم وإذا مسهم الضر في البحر ضل من يدعون الا إياه فلما نجاهم الى البر أعرضوا وكان الانسان كفورًا »

«واما الذين يقسمون على الله فيبر قسمهم فانهم ناس مخصوصون فالسؤال كقول السائل لله أسألك بان لك الحمد انت الله المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام واسألك بانك انت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد واسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك . فهذا سؤال الله تعالى باسمائه وصفاته وليس ذلك إقساما عليه فان أفعاله هي مقتضى أسمائه وصفاته فمغفرته ورحمته من مقتضى اسمه الغفور الرحيم وعفوه من مقتضى اسمه العفوّ »

(ثم قال) : فاذا سئل المسئول بشيء والباء للسبب سئل بسبب يقتضي وجود المسئول فاذا قال «أسألك بان لك الحمد انت الله المنان بديع السموات والارض» كان كونه محمودا منانا بديع السموات والارض يقتضي ان يمن على عبده السائل وكونه محموداً هو يوجب أن يفعل مايحمد عليه وحمد العبد له سبب اجابة دعائه : ولهذا أمر المصلي أن يقول «سمع الله لمن حمده» أي استجاب الله دعاء من حمده فالسماع هنا بمعني الاجابة والقبول

(ثم قال) : واذا قال السائل لغيره أسألك بالله فانما سأله بايمانه بالله وذلك سبب لإعطاء من سأله به فانه سبحانه يحب الاحسان الى الخلق لاسيما ان كان المطلوب كف الظلم فانه يأمر بالعدل وينهى عن الظلم وامره أعظم الاسباب في حض الفاعل فلا سبب أولى من أن يكون مقتضيا لمسببه من أمر الله تعالى وقد جاء فيه حديث رواه احمد في مسنده وابن ماجه عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه علم الخارج الى الصلاة ان يقول في دعائه « واسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فاني لم أخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ولكن خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك » فان كان هذا صحيحا بحق السائلين عليه ان يجيبهم وحق العابدين له ان يثيبهم وهو حق أوجبه على نفسه لهم كما يسئل بالايمان والعمل الصالح الذي جعله سببا لاجابة الدعاء كما في قوله تعالى (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) وكما يسئل بوعده لأن وعده

التعصب الديني عند الافرنج

كتبنا في الجزء الماضي نبذة في التعصب الديني عند الافرنج بينا فيها ان مهد الغلو فيه أوربا لا آسيا وقبل ان ينشر الجزء ظهر في الجرائد الافرنجية المصرية ما يؤيد رأينا ويثبته

أشاعت هذه الجرائد انه وقع خلاف في لجنة الاحتفال بعيد الدستور العثماني سببه الاختلاف في الدين وان صاحب المنار قال في اللجنة انه لا يقبل ان يكون رئيسها نصرانيا . وطفق محررو تلك الصحف يشنعون على هذا التعصب الاسلامي الشرقي الذي تخيلوه فخالوه فشنعوا عليه كدأبهم وعادتهم وقياسهم على انفسهم

ويقال ان بعض محرري تلك الصحف من السوريين وكأنهم لما تلقوا لغات الافرنج وآدابهم تفرنجوا فأخذوا منهم محضاء التعصب يحركون به ناره كلما سنحت السوانح أوعنت البوارح ، وهاك ماقالته في ذلك جريدة (النوفل) نقلا عن عن ترجمة الاخبار لها

« قلنا في عدد سالف ان الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار ارتأى انه يجب ان لا يرأس نصراني جمعية الاحتفال بالدستور العثماني . والشيخ رشيد هذا كان الى اليوم يعد حرا مريدا للدستور عدوا لحكم السلطان عبد الحميد وقد حارب الخليفة السابق بصفته مسلما باذلا جهده في سبيل تقويض حكمه المبني على الظلم والاعتداء والنهب والسلب والفتك بعباد الله وقد كان شديد اللهجة في كتاباته الى حد أنه ألزم أن يفر من تركيا ويلجأ الى القطر المصري

« والآن قد تغيرت الاحوال واعتقل عبد الحميد في سجنه الحالي في سالونيك محجوبا نظره عن الاشراف على ما يجري في البلاد وأصبح تحول بينه وبين الحياة وبينه وبين الطبيعة سيوف الحراس . فقد هذا الظالم الذي طرده العالم من بينهم قوته ولكن أولا هل سقط مع عبد الحميد كل ما كان قائما في أيامه ؟ اننا لنشك في ذلك لانه اذا كان مثل الشيخ رشيد رضا يجعل بين المسلم والنصراني فارقا فماذا يفعل غيره ؟ أفلا يجوز ان نعتقد ان أحرار الاتراك ما كادوا يستولون على كرسي السلطة حتي تناسوا مطالبهم القديمة باقامة العدل وتأليه الحرية

فيه فاما اذا لم يكن منهم دعاء ولا شفاعة ولا منه سبب يقتضي الاجابة لم يكن مستشفعا بجاههم ولم يكن سؤاله بجاههم نافعا له عند الله بل يكون قد سأل بأمر اجنبي عنه ليس سببا لنفعه . ولو قال الرجل لمطاع كبير أسألك بطاعة فلان لك وبحبك له على طاعتك وبجاهه عندك الذي أوجبته طاعته لك كان قد سأله بأمر أجنبي لا تعلق له به فكذلك احسان الله الى هؤلاء المقربين ومحبته لهم وتعظيمه لاقدارهم مع عبادتهم له وطاعتهم اياه ليس في ذلك ما يوجب اجابة دعاء من يسأل بهم وانما يوجب اجابة دعائه بسبب منه لطاعته لهم أو سبب منهم لشفاعتهم له فاذا انتفى هذا وهذا فلا سبب اه المراد

وحاصل معنى الآية ان الله تعالى يقول يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي أنشأكم وربّاكم بنعمه اتقوه في أنفسكم ولا تعتدوا حدوده فيما شرعه من الحقوق والآداب لكم لإصلاح شأنكم فانه خلقكم من نفس واحدة فكنتم جنسا واحدا تقوم مصلحته بتعاون أفراده واتحادهم وحفظ بعضهم حقوق بعض . فتقواه عزّ وجل فيها شكر لربوبيته وفيها ترقية لوحدتكم الانسانية وعروج للكمال فيها — واتقوا الله في أمره ونهيه في حقوق الرحم التي هي أخص من حقوق الانسانية بأن تصلوا الارحام التي أمركم بوصلها وتحذروا مانهاكم عنه من قطعها — اتقوه في ذلك لما في تقواه من الخير لكم الذي يذكركم به تساؤلكم فيما بينكم باسمه الكريم وحقه على عباده وسلطانه الأعلى على قلوبهم وبحقوق الرحم وما في هذا التساؤل من الاستعطاف والإيلاف فلا تفرطوا في هاتين الرابطتين بينكم: رابطة الايمان بالله وتعظيم اسمه ورابطة وشيجة الرحم فانكم اذا فرطتم في ذلك أفسدتم فطرتكم فتفسد البيوت والعشائر ، والشعوب والقبائل ، ﴿ ان الله كان عليكم رقيبا ﴾ أي مشرفا على أعمالكم ومناشئها من نفوسكم وتأثيرها في أحوالكم لا يخفى عليه شيء من ذلك فهو يشرع لكم من الاحكام ما يصلح شأنكم ويعدكم به للسعادة في الدنيا والآخرة . الرقيب وصف بمعنى الراقب من رقبه إذا أشرف عليه من مكان عال ومنه المرقب للمكان الذي يشرف منه الانسان على ما دونه . واطلق بمعنى الحفظ لأنه من لوازمه وبه فسره هنا مجاهد . وقال الاستاذ الامام ان الله تعالى ذكرنا هنا بمراقبته لنا لتنبيهنا الى الاخلاص يعني ان من تذكر ان الله مشرف عليه مراقب لأعماله كان جديرا بأن يتقيه ويلتزم حدوده

الجنسيات العثمانية

﴿ واللغتان العربية والتركية ﴾

ان من شؤون مدنية هــذا العصر المحافظة على أجناس الموجودات حسية كانت أو معنوية فترى الغربيين أئمة هذه المدنية اذا رأوا نوعا من الحيوانات الارضية أوالجوية أو المائية أخذ في النقص حتى خيف من انقراضه حرموا صيده ان كان مما يؤكل وقتله ان كان مما لا يؤكل وان كان ضارّا كما يحافظون على العاديات والآثار القديمة جميعها ، ونراهم أيضا يرغبون في بقاء نموذج من الأديان والمذاهب الدينية وغير الدينية واللغات المستعملة وغير المستعملة حتى انهم أحيوا بعض اللغات التي ماتت وبقي أثرها وجعلوا يتدارسونها ويتنافسون في معرفتها

ما كان لهذه المدنية أن تحافظ على أجناس الحيوان والجماد وتسمح بانقراض بعض أجناس الناس (١) بل هي أشد محافظة على أجناس الناس ومقوّمات جنسيتهم من اللغة وغيرها واعتــبر ذلك بالاجناس المكونة لمملكة النمسا (الامبراطورية) تلقه واضحا جليا ،

كان الجنس في العصور الماضية ينقرض بانقراض أفراده كلهم أوجلهم بالموتان والأوبئة أو بالحرب وما يعقب الغلب فيها من العبودية والذل الذي يقلل النسل رويدا رويدا حتى لا يبقى منهم أحد أو يبقى منهم حثالة ممزقة في الأرض لا تسمى شعبا ولا تعد قبيلة ،

وهناك ضرب من ضروب انقراض الجنس يتحقق بانحــلال رابطة الجنسية

---

(١) نستعمل لفظ الجنس والاجنــاس هنا بمعناه اللغوي والعرفي لا المنطقي فالمنطقي يسمي جنس الترك أو الروم مثلا صنفا من نوع الانسان الذي هو من جنس الحيوان على ان للاجناس مراتب عنــد المناطقة منها العالي والمتوسط والسافل فتدخل فيها الانواع والاصناف

ان الشيخ رشيدا سيندم على ما جاهر به غير ان ندمه لا ينفي انه قال ما قال ولقد أصبح الآن يجوز للنصارى العثمانيين أن يشكوا في اخلاص اخوانهم المسلمين» اه

(المنار) لما اطلع اعضاء لجنة الاحتفال بعيد الدستور على هذه الكتابة كتبت اللجنة الى هذه الجريدة وسائر الجرائد التي ذكرت الخبر المختلق تكذيبا له . ونحن نزيد على هذا التكذيب كلمة نقولها لكاتب تلك النبذة في جريدة النوفل وهي

قلتم إنه يجوز للنصارى العثمانيين أن يشكوا في إخلاص المسلمين لهم بعد ان نقلت لهم صحفكم تلك الكلمة عن صاحب المنار دون صحفهم العربية وكان من مقتضى التساهل الذي تدعونه ان لا يصدقوها عنه لما يعلمون بالاختبار الطويل من تساهله وكتابته فى الدعوة الى الوفاق اثنتي عشرة سنة حتى باسم الاسلام وسعيه مع بعض اصدقائه المسلمين في تأليف جمعية سياسية سرية مؤلفة من جميع العناصر العثمانية لأجل جمع كلمتهم وتوحيد مصلحتهم — اوكان ينبغي لهم مع تصديقها ان يحملوها على غرض صحيح غير التعصب كأن يكون مراده — لو صح الخبر — ان جعل الرئيس من كبراء المسلمين كامراء البيت الخديوي مثلا يجعل للجنة من النفوذ والاحترام وقبول الدعوة الى الاكتتاب مالا يرجى مثله لو كان الرئيس نصرانيا لانه ليس في نصارى العثمانيين من له مثل هذا النفوذ. هكذا شأن المتساهل يتروى و يتثبت في الخبر الذي يثير الخلاف و ينافي الائتلاف فان ايقن بصدقه التمس له مخرجا صحيحا

فاذا كان النصارى يعذرون على رأيكم بعدم الثقة با خلاص أحد من المسلمين لخبر يحتمل الصدق والكذب والقرائن تدل على كذبه ويحتمل على تقدير صدقه ان يكون قيل لغرض صحيح لا للتعصب أفلا يعذر المسلمون بالا ولى اذا كانوا يرون الرجل من علماء دينهم وسلالة نبيهم والدعاة الى الاصلاح الديني فيهم يقضي السنين الطوال وهو يدعوهم الى التسامح والائتلاف مع النصارى وغيرهم بالقول و يجعل نفسه قدوة في ذلك بالعمل ثم يرميه النصارى بالتعصب و يجعلونه حجة على عدم ثقتهم بأحد من المسلمين ؟ ؟

بلى ولكن نحمد الله تعالى أن كان أهل الشرق من المسلمين والنصارى لم يصلوا الى هذا الحد من التعصب الذي ينفثه فيهم كتاب الافرنج والمتفرنجين منهم ولذلك رأينا الفريقين قد هزءوا بما كتب في تلك الجرائد الافرنجية عن صاحب المنار حتى قبل تكذيب اللجنة له

أحدهما الغلب والقهر وطبيعة المدنية الحاضرة تأباه لما ذكرناه في فاتحة الكلام، وثانيهما التحالف والاتحاد في المصالح والمنافع بحيث يأخذ كل جنس من الآخر أمثل ما عنده بمقتضى سنة الانتخاب الطبيعي الى ان تغلب مقومات جنسية أحدهما في مجموعها على مقومات جنسية الآخر ويصيران جنسا واحدا وهو ما يطمع فيه بعض الغربيين في مستعمراتهم كفرنسا في الجزائر، والشعوب العثمانية احوج اليه ولن يكونوا امة واحدة بدونه

ينتج ماتقدم من المقدمات ان الدولة العثمانية لاتستطيع في هذا العصر ان تحل رابطة جنس من الاجناس التي تتكون منها أمتها بالقهر والإكراه، ولا بالخلابة والاقناع، بل سبيلها اللاحب أن تؤلف بينها في المنافع والمرافق، والمصالح والوظائف، وتوحدها بجنسية الشريعة والقانون، دون جنسية اللغة والدين، حتي يتمازج منها ماهو مستعد للمزج، وينبذ مزاج وحدتها الجديدة من لايقبل ذلك من الاجناس كما ينبذ مزاج الجسم المعتدل ماعساه يدخل فيه من الاجسام الغريبة

أعني بهذا النبذ - واللبيب يفهم - ماتقتضيه طبيعة الاجتماع من ذلك لاان الدولة نفسها تنفي من بلادها الآن بعض الاجناس. ذلك ان الجنس الذي لاتقبل طبيعته الوحدة العثمانية التي ذكرناها (كجنس الروم فيما يظهر) لجذب جنسية أخرى هي أقوى منها في حقه يتسلل اكثر أفراده في بلادها بالهجرة أو سبب آخر ويتصلون بجنسهم الذي تربطهم به عدة روابط لكونه أقوى على جذبهم من الجنس الذي يرتبطون فيه برابطة واحدة

أما تنازع البقاء بين الجنسيات اللغوية في الشعوب العثمانية الذي ينتهي باستيفاء طوره الاجتماعي الى تغلب الامثل فسيكون على أشده بين العربية والتركية لانهما اللغتان الحيتان للشعبين الكبيرين في الأمة والاولى منهما لغة الدين الذي يكفله منصب الخلافة والثانية لغة السلطنة الرسمية وليس للغات سائر الشعوب شركة في هذه المزايا

ان الارمن شعب صغير وعهده قريب بتدوين لغته وجعلها لغة علمية ولا يطمع أحد من عقلائه بنشر هذه اللغة في شعب آخر فهي لغة قاصرة محصورة غير قابلة لحياة النشر والامتداد لعدم الحاجة اليها عند غير أهلها واللغة التركية مزاحمة لها فيهم أنفسهم فهي املك لألسنتهم من لغتهم

وزوالها لا بانقراض الاشخاص وانقطاع الأنسال وهو أن يدخل الجنس في دين جنس آخر أو لغته فيمتزج به ويلابسه في تقاليده وعاداته حتى يذوب فيه ويصير من عناصره المكوّنة لذاته كما امتزجت الاجناس السورية في الجنس العربي باللغة في جميع الافراد وبالدين في أكثرهم ونسيت جنسيتهم النسبية وزالت جنسيتهم اللغوية وصاروا كلهم عربا

هذا النوع من زوال الجنس أو الجنسية هو من الترقي والكمال في الانسانية لا من النقص أو المرض الذي يعرض لها لان الانسان عالم اجتماعي فكلما اتسع نطاق الاجتماع وقل التفرق والانقسام فيه زادت الانسانية كمالاً ولهذا يرى حكماء الاجتماع ان منتهى الكمال البشري في هذه الحياة ان يكون الناس كلهم أمة واحدة لا يفرق بينهم نسب ولا لغة ولا وطن ولا دين ، ويستحيل ان يتحولوا الى هذا دفعة واحدة وانما يكون مثل هذا باندغام بعض الاجناس في بعض بالتدريج البطيء . وان الامم الكبرى التي تجتهد بنشر لغاتها وآدابها في ارجاء العالم تطمع كل واحدة منها في ان تكون لغتها هي لغة البشر كلهم في المستقبل البعيد لكي يكون لها الامامة وبقاء التاريخ والذكر في الزمن المستقبل على ما يكون لها من السبق الى الاستفادة من توسيع دائرة جنسيتها في الحال . ولا ينافي هذا ما نشاهد عليه الانكليز — وهم أطمع الامم في هذه الغاية — من شدة محافظتهم على جنسيتهم وغلوهم في أثرتهم لما عليه الانسان من الحرص والبخل بمميزاته وخصائصه سواء كانت شخصية أو قومية ، وان هذا البحث ليتسع لتفصيل ليس هذا المقال بموضعه وانما ذكرناه فيه تمهيدا ومقدمة لا مقصدا . وعندي ان الاسلام يرمي الى هذه الجامعة العامة (١)

ومن فروع هذا المبحث التي لا مندوحة عن ذكرها في باب التمهيد ان هذا النوع الكمالي من زوال الجنسيات أو تحول بعضها الى بعض لا يكاد يرضى شعب من الشعوب بأن يكون هو المدغم في غيره لاجل تحقيقه فضلا عن ان يرضى بذلك ايثارا لمقومات جنس آخر على مقومات جنسيته ، وسبب ذلك ماذكرنا آنفا من حرص الانسان على خصائصه ومميزاته وان كانت ضارة كبعض التقاليد والعادات وانما لها طريقان

(١) سنبين هذا المعنى في مقدمة التفسير ان شاء الله تعالى

عنها بالدستور فانه يصعب عليه أن يترك من مميزاته ما حفظ لنفسه الحق في استبقائه بنص القانون الاساسي وهي جعل لغته هي اللغة الرسمية للدولة

ان غوائل اختلاف اللغة في الدولة لا تنكر ، وان فوائد توحيدها ووحدة الامة بها لا تجهل ، وان رجحان العربية في الدين والعلم والسياسة لهو أوضح وأظهر ، فانها هي التي تتوفر الدواعي على تعميمها لان الناطقين بها أكثر من الناطقين بغيرها ، وإرجاع القليل الى الكثير أسهل من عكسه - ولأن للترك والكرد والالبان باعثا نفسيا يبعثهم على تعلمها وهو الحاجة الى فهم كلام ربهم (عز وجل) وحديث نبيهم (صلى الله عليه وسلم) وحكم سلفهم الصالح (رضي الله عنهم) وكتب أئمتهم في التفسير والحديث والفقه وغيرها من علوم الدين (رحمهم الله) والوقوف على تاريخ دينهم . ومن الجهل ان يقال انهم يستغنون عن ذلك كله بالترجمة لما سنبينه في فرصة أخرى - ولأن جعلها اللغة الرسمية هو الذي يزيل خطر تفرق الاجناس فاذا اتفق عليها المسلمون الذين يشاركهم فيها غيرهم من الملل في البلاد العربية لا يبقى للروم والارمن سبيل لطلب تعليم لغتهم في مدارس الدولة ولا يكون لتعليمهم لها في مدارسهم خاصة تأثير في اضعاف الوحدة - ولانها لغة حضارة سابقة وعلوم وفنون - ولأنها اللغة المشتركة بين جميع المسلمين ولانه يمكن ان توسع دائرة نفوذ الدولة بنشرها في الممالك الشرقية التي يكثر فيها المسلمون (كالصين وجاوه والهند) من غير نفقة توازي عشر معشار ما تنفقه الامم الغربية لنشر لغاتها وتوسيع دائرة نفوذها وتجارتها في الشرق - ولأن الدولة تأمن بذلك من قيام دولة عربية تدعي الخلافة وتنازعها النفوذ في العالم الاسلامي بنفسها او بمساعدة بعض دول أوربا - ولأن في ذلك تحقيقا لمقصد من مقاصد الاسلام العالية وهو محو العصبيات الجنسية وتوسيع دائرة الاخوة الانسانية

هذه المرجحات لا تعزب عن علم اذكياء المفكرين من الترك ولو كان أمر الأقوام والشعوب مما يتبع فيه البرهان اذا ظهر لكان حل هذه المسألة من أهون الأمور ولكن الاقوام والجماعات تتبع الشعور والوجدان دون العقل والبرهان بل يقول الفيلسوف الاجتماعي جوستاف لبون انها لا تعقل ولا تطيق سماع الدليل فلا

وأما الالبان والاكراد فهم حتى اليوم لم يدونوا لغتيهم ويجعلوهما لغة علم ولا يطمعون في نشرهما وتحويل أحد من الشعوب الاخرى اليهما والتركية مزاحمة لهما في الشعبين وكذا العربية لاسيما في بعض بلاد الاكراد كالسليمانية وغيرها . ثم ان الدين يجذبهم الى هذه والادارة تجذبهم الى تلك فزيادة عناية كل شعب من هذين الشعبين بلغته ومحاولته إحياءها تقليدا لما ذكرناه من طبيعة المدنية الغربية لهذا العهد لا يفيده الا أثقالا تعوقه عن تحصيل العلوم ومجاراة غيره بالترقي فيها لأنه ان ترك العربية قصر في دينه الذي هو أعز شيء عليه وان ترك التركية قصر في عثمانيته وما يترتب عليهما من الفوائد فلم يبق الا انه يضيع بعض زمن التحصيل في دراسة لغته القومية ولا أرى العقلاء منهم يطمعون في تأسيس دولة لأنهم يعلمون انه لافرق في ذلك بين شعبيهما وبين الشعب الارمني من حيث انه طمع في غير مطمع يضر الطامع ويضر الدولة فيقوى عليهما الطامعون فيهما ، ولضرر الشعب الصغير من ذلك أكبر من ضرر الأمة الكبيرة . على ان محاولة تمزيق السلطة محرم في الاسلام فالشعب الاسلامي الذي يفارق الجماعة يجني على دينه وعلى دنياه — فالتنازع الحقيقي في لغات الشعوب العثمانية إنما هو بين العربية والتركية

يرى بعض الترك الغالين في عصبية الجنس انه ينبغي للدولة ان تجعل اللغة التركية وحدها لغة التعليم وتلزم جميع العثمانيين بتعلمها وتجعلها اللغة الرسمية في جميع معاملات الحكومة حتى التقاضي والمرافعة في المحاكم الى ان تحول العرب فمن دونهم من العثمانيين الى الجنسية التركية . ويظنون ان هذا أمر ممكن حتى في عصر الدستور ، وما ظنهم هذا الا اثم وغرور

ويرى بعض العرب بنزعة دينية وبعضهم بنزعة جنسية أنه ينبغي للدولة ان تجعل اللغة العربية هي لغة العلم ثم تجعلها بعد انتشارها اللغة الرسمية لانها لغة الشعب الاكبر من الشعوب العثمانية ولغة الدين لجميع مسلميها ومسلمي سائر الآفاق الذين يرتبطون معها برابطة الخلافة ، ويغفلون عما بيناه في القسم التمهيدي من هذا المقال من شأن المحافظة على الجنسية لاسيما في شعب يرى لنفسه حق السيادة فان تنازل

كان الترك كما نظن يحبون الوفاق . وقد بينا من قبل حاجة الترك الى تعلم العربية في الجزء الثاني (راجع ص ١١١ م ١٢)

(الرأي الثاني) وهو لعبيدالله افندي معوث أزمير أودعه في مقالات له في التعليم نشرها في جريدة « تصوير افكار » وترجمته بعض صحف بيروت ومصر وهذه خلاصته ننقلها عن جريدة الاتحاد العثماني البيروتية قال:

أرى خير حل لمشكلة لغة العلم هو ان يتخذ الاتراك التركية لساناً علمياً لهم وان تؤسس بحماية الحكومة وتحت مراقبتها مراكز علمية عربية في قواعد الاقطار العربية مثل دمشق وأم القرى ودار السلام تسعى في انهاض علوم الحضارة العربية التي أخذت تنحط وتضمحل منذ انقرضت السلطنة العربية

وبذلك تنتشر العلوم والفنون بين الاتراك بلسانهم وتحفظ الحضارة العربية وترقى بلسانها الخاص من جهة وبما ينقل منها الى التركية من جهة أخرى وينجو الاتراك من الجهل بالدين وينهضون من هوة التعصب الاعمى التي لايزالون ساقطين فيها الى اليوم . وان الحكومة لتقدر الخلافة حينئذ حق قدرها وتقوم باعباء واجباتها . ولو ان الدولة أدركت هذا الحل من قبل وعملت به لكثر سواد الترك الذين يعرفون العربية والعرب الذين يتكلمون بالتركية ولتحول لسان جميع العناصر العثمانية كالروم والارنوءط والارمن وغيرهم بقوة العلم منذ ثلاثة قرون أو اربعة الى لسان الترك لسان المعارف والحضارة (١)

اضطرني الى استطراد هذه المسألة مع انها خارجة عن مبحث المدارس ماأراه من لزوم تنبيه الاذهان الى ان من الممكن بل من الواجب اتخاذ التدابير التي سردتها واني لست أرى واسطة أحسن من هذه تقطع ألسنة الذين أصبح ديدنهم في هذه الايام الضرب على نغمات الخلافة

وإن منع دخول المؤيد وغيره من الاوراق المضرة الى الولايات العربية لافائدة له بل ربما زاد انتباه الناس الى مطالعته

---

(١) ان لسان الترك لم يكن لسان علوم وحضارة وانما كان يمكن تنفيذ ذلك وقتئذ بالعربية كما حاول السلطان سليم

مطمع اذاً في رضاء الشعب التركي بجعل العربية لغة العلم والحكومة في الدولة كلها مهما كان في ذلك من الفوائد وأمن الغوائل لا سيما في هذا العصر الذي اشتدت فيه العصبيات الجنسية في أوربا من عهد نابليون الى اليوم وسرت عدواها الى البلاد المجاورة لها

اذا كنا لا نجد سبيلا الى توحيد اللغة لاجتناء فوائده فكيف السبيل الى اتقاء غوائل التنازع بين اللغتين السائدتين، وما يتبعه من تحريك عصبية الجنسين، الذي هو أشد الاخطار على الدولة في العهد الذي يجب الاتفاق فيه على تعزيزها وإعلاء شأنها والتأليف بين اجناسها وعناصرها جهد المستطاع ؟

يقول أكثر الباحثين المستقلين من الاجانب والعثمانيين ان لحل هذا المشكل طريقا معبَّدا ومثالا متبعا لا يحتاج معه الى النظر والاستدلال وهو ما عليه سلطنة النمسا فينبغي أن يكون العرب والترك في الدولة العثمانية كشعبي النمسا والمجر وان يكون سائر العناصر العثمانية كسائر العناصر في تلك الامبراطورية،

أراني بهذا قد وصلت الى بحث لم أكن أرمي اليه، وطرقت بابا لا غرض لي الآن بالدخول فيه، باب البحث في المسألة التي يعبرون عنها بالمركزية واللامركزية التي هي موضوع الخلاف بين الحزبين السياسيين الطبيعيين فينا وهما حزب الاتحاديين وحزب الاحرار فلندع تنازعهما للزمان يبرم فيه حكمه ولنعد الى موضوع اللغتين فنختم الكلام فيه برأيين احدهما ما نراه يرضي المفكرين ودعاة العلم والسياسة من العرب والآخر لأحد المفكرين والخبراء من الترك ولا ندري ايرضيهم أم لا

﴿ الرأي الأول ﴾ هو ان يكون تعليم كل من الشعبين في المدارس الابتدائية الرسمية بلغته وان يكون تعلم اللغتين إلزاميا في جميع مدارس الحكومة الثانوية والعالية وان يكون تعليم العلوم في بلاد العرب بالعربية وفي بلاد الترك بالتركية وان تكون جميع معاملات الحكومة كل ولاية من ولاياتهما بلغتها ويكون في الولايات العربية قلم ترجمة لاجل مخاطبة العاصمة وتلقي الخطابات منها بالتركية. وأما سائر الاجناس فيعلمون العلوم بالتركية لان أكثرهم يعرفها الا من كان منهم في الولايات العربية فانه يكون تابعا لاهل ولايته. فان لم يتيسر تنفيذ هذا الرأي في مدة هذا الدور الاول لمجلس الامة فالرجاء فيما بعده قوي اذا

الاقطار المختلفة نظرت الى الاقطار العربية من الوجهة السياسية ولم تعن بها ولا بغيرها من الوجهة العلمية الاجتماعية شأنها في عامة أدوارها وأقطارها ولم يشذ عن ذلك الا مصر فكانت أشبه بمملكة مستقلة حتى بعد استيلاء العثمانيين عليها ، و بعيد ان قامت الدولة تؤسس لها مدارس في العاصمة والولايات لتعلم العلوم الحديثة وتستبدل النور بالظلمة والعلم بالجهل قام محمد علي والي مصر فنزع القطر المصري من المماليك في الظاهر ومن الدولة في الباطن وانشأ فيه مدارس عربية وتوفر بدلالة جماعة من مستشرقي الفرنسيس النبهاء على ترجمة الكتب العلمية من اللغات الأوربية فانتعشت اللغة العربية في مصر فقط وظلت كهف العرب عنها يأخذون علومهم وموطن الطباعة والكتب والصحف و بأنوارها يستضيئون وذلك لغناها العظيم وتاريخها المجيد القديم ،

بقي الامل في نهوض العربية محصورا في مصر لان الشام والعراق والجزيرة والحجاز واليمن ونجد وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش أمست في فتور ، وقد أنشئت في تونس وسورية بعض المدارس والمطابع تدرس بالعربية وتطبع اللازم من الكتب العربية لكنها لم يمض على تأسيسها بضع سنين حتى أطفئت شعلتها بما أصاب سورية من بلاء المراقبة وما أصاب تونس من الاحتلال الفرنسوي ، والمراقبة واحتلال الغريب مما يقتل روح العلم وينزع حياة النهضة القومية ، وقد أوشكت مصر ان تصاب بضعف لغتها لما احتلها الانكليز لولا ان قامت الامة وطلبت جعل العربية لغة المدارس الابتدائية والثانوية فلم تر الحكومة بدا من اجابة طلبها ،

اما هذه الديار فكان أول ما انصرفت اليه الوجوه (١) بعد إعادة القانون الاساسي العثماني مسائل التعليم فالتركية لسان الدولة الرسمي تريدان تعلمه جميع العناصر العثمانية ليجيء منهم في المستقبل مزيج واحد وتقوى وحدتهم السياسية ، وقد نشرت نظارة المعارف برنامجها ولم نشهد فيه ذكرا للعربية في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية بل قالت ان تعليم العلوم بالتركية للذكور والأناث وللصغار والكبار وللعرب والترك والروم والأرمن والبلغار والأرناؤد حتى ان المبادئ البسيطة التي سمحت بتعلمها من العربية تدرس في كتب ألفها أتراك باللغة التركية ، فدرك بعض الباحثين في

(١) المنار : لعله سقط من هنا كلمة « فيها »

ليس نشر العلم في الولايات العربية باللغة التركية من الممكن كما انه ليس بالمعقول بل بالعربية فقط تمكن اشاعة العلم ثمة وان من الواجب حماية اللغة التي تريد تعميم العلم بها بين أمة (العرب) وحماية الافاضل أيضا من أهلها. وان اصلاح مدارس القسطنطينية لا يعد حماية للغة العربية لان اصلاح هذه وتعليم العلم بها - من أقرب طريق لايكون الا بتأسيس مدارس علمية في القطر العراقي والقطر السوري والقطر الحجازي وانشاء مجامع علمية عربية هنالك اعضاؤها من العرب وموظفون بصورة رسمية

ومتى تم ذلك نبغ بتلك الاقطار في القريب العاجل فحول العلم وارهاط الفضل وزحف اليهم أصحاب المزايا في الشرق والغرب وفي مصر والسودان. فلا يمضي الزمن اليسير حتى تنتقل العلوم الحديثة الى اللغة العربية بكل فروعها وسوف تندم الخلافة العثمانية اذا لم تكن هي المتوسطة لهذا النقل والقائدة لهذه الحركة

وفضلا عن ذلك فان دولة كالخلافة الاسلامية وسلطنة كالسلطنة العثمانية تحكم بلاد العرب الذين لانزال نستنير بأنوار علمهم وفضلهم لايمكنها الا كتفاء بالقسطنطينية وحدها مركزا علميا لهذا الملك الطويل العريض ، فان مكة عاصمة المسلمين اجمعين و بغداد دار الخلفاء ومنشأ العلوم الاسلامية ودمشق عاصمة الخلافة الاموية وأكبر مدن السوريين الذين نهضوا بمعارف مصر ومطبوعاتها وصحافتها في هذا العصر الاخير هذه المدن الثلاث يجب ان تكون مراكز عالية مهمة في هذه السلطنة وعندئذ يخلف الائمة البصريين والكوفيين القدماء ببضع سنين أئمة واساتذة عراقيون وسوريون وحجازيون يجعلون دولتنا مدنية نصيرة للعلم واللغات حتى اذا ماامتد لسان الى الخلافة يسلقها العلم اه بعبارة الاتحاد

(المنار) كنا نتمنى لو اطلعنا على رأيه في المدارس عامة. وانا نقتبس بعد هذا مقالة تاريخية في الموضوع من مجلة المقتبس الشهيرة فيها رأي ثالث في المسألة وهذا نصها

العربية والتركية

أصيبت الأمة بعد سقوط دولة بني العباس بفتور غريب في العلم والآراء لما عاينته من أهاويل الحروب والفتن ، ولما قامت الدولة العثمانية فجمعت تحت لوائها

العربية كما يحسن الفارسية والتركية أحب ان يتلافى الغلط الذي سارت عليه دولته وان يجعل اللغة العربية لغتها الرسمية أسوة الدول الاسلامية البائدة فقام عليه بعض ضعاف العقول من أهل دولته وأرادوه على العدول عن رأيه مخافة ان تندثر لغتهم بل تخلصا من ان يتعلموا لغة غيرها فكان عملهم هذا من جملة السدود التي حالت دون آل عثمان و بسط أيديهم على الممالك الاسلامية المجاورة لهم واللغة العربية أعظم رابطة بين المسلمين ،

ولقد كانت الدولة ولا تزال تعلم في مدارسها الرسمية العربية كما تعلم الفارسية وذلك لأن التركية مزيج من هاتين اللغتين و بدون معرفة قليل من اللغتين لا يتأتى لتركي ان يكتب كتابة صحيحة في لغته فكان شأنها من بعض الوجوه شأن المدارس في أوربا لا تزال الى اليوم تعلم اللاتينية واليونانية لانهما أصل لغات أوربا وان كانتا بادتا أو كادتا ، ولكن مدارس أوربا أخرجت كتابا بهذين اللغتين ولم نعهد من مدارس الحكومة العثمانية كاتبا بالعربية أو الفارسية ، هذا والتركية ليست لغة دين ولا لغة علم ولا لغة حضارة قديمة ولا مدنية معروفة كالعربية التي شهد أهل الارض بأمجاد أهلها وحضاراتهم ، ومن الغريب انه لم ينبغ في الدولة العثمانية كاتب عربي من أصل تركي على حين نبغ و ينبغ من الفرس والاكراد وغيرهم أناس يؤلفون بالعربية فتحسبهم عربا خلصا ، وانك لتقرأ العجمة في كلام ابن كمال باشاوكاتب جلبي وطاشكو بريلي وغيرهم من الاتراك الذين عانوا القلم العربي وعدوا في المصنفين ،الا تقرأه في كلام الراغب الاصفهاني وأبي بكر الخوارزمي وحجة الاسلام الغزالي بل ان هؤلاء على منشأهم الفارسي كانوا أئمة الانشاء العربي ،

إذا تعلم أبناؤنا اليوم على الطريقة التركية لا يلبثون ان يجيئوا أتراكا و يتقنون التركية كأرقى أبنائها و بذلك لا يخدمون أبناء لغتهم أدنى خدمة وقد رأينا معظم الذين تعلموا من أبناء سورية والعراق في المدارس الرسمية لا يحسنون التكلم بالعربية العامية فضلا عن ان يكتبوا سطرين صحيحين بلغتهم بل ربما رأيتهم يمزجون المصطلحات التركية و بعض الالفاظ التركية بيناهم يكلمونك بالعربيـة فكان شأنهم في هـذا شأن أكثر التوانسة والجزائريين من سكان المدن يتكلمون

أحوال البلاد والعناصر ان غرض الحكومة من هذه الخطة (تتريك) العرب وغيرهم ، وهو عمل اذا كان نافعا من حيث السياسة فلا نفع فيه من حيث الاجتماع والعلم خصوصا بعد ان رأينا أصغر الشعوب الاوربية تحافظ على لغتها الاصلية محافظتها على اعراضها وأموالها وأرواحها ،

لا بد للحكومة ان تجعل التعليم اجباريا في المملكة فاذا جعلته باللغة التركية ولم تراع حالة كل قطر ولغة أهله تسوء العاقبة ولا تأتي الشجرة التي تريد غرسها الآن بثمرة جنية بل يكون شأن البلاد العقم في العلم والفكر ومن لم يتعلم العلوم بلغته هيهات ان يأتي منه عضو يفيد أمته وبلاده ، واذا فعلت الدولة ذلك الآن فتكون في عهدها الدستوري أظلم منها في عهدها الاستبدادي وتكون حكومة مصر أرفق بأهل مصر من حكومتنا بنا لانها منا فيتنظر عن يدها الكثير وتلك ليست منهم وكل شيء تأتي به يعد كبيرا ،

وبعد فان كانت الحكومة العثمانية لم تنشط للغة العربية في الماضي مع انها لغة الدين والآداب والحضارة فهي لم تضع العقاب في سبيلها مباشرة ولكن الغلطة الفظيعة التي ارتكبتها ولا يغفرها لها التاريخ هو ان القائمين باعبائها منذ البدء جعلوا اللغة التركية لغة الدولة الرسمية خلافا لما جرت عليه دول الاسلام السالفة كدولة المصامدة البربر في الغرب الاقصى والادنى ودولة الجراكسة فى مصر والشام ودولة آل سلجوق التركية فى العراق والجزيرة ودولة بني بويه الفارسية ودولة آل أيوب الكردية فى مصر والشام والحجاز واليمن وغيرها من الدول التي طرحت لغاتها وعمدت الى اتخاذ اللغة العربية لغة الحكومة والدولة وكان الجراكسة والبربر والفرس والاكراد والاتراك يتخلون عن لغاتهم مختارين ولا يستعملون فى الرسميات غير العربية لغة البيان والعلوم أما الترك فجروا على غير سنة الدول السالفة فلم يروا من المصلحة تعلم لغة عامة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واكتفوا بلغة ملفقة بدوية ما برحوا يتوفرون منذ قرون على اصلاحها وهيهات ن تكون كما يحبون ،

ولما جاء السلطان سليم فاتح مصر والشام وكان على شيء من المعرفة يحسن

لانه قد زاحمه قبله امتحان الشهادة الثانوية وشاركه في زمنه امتحان مدرسة الحقوق الخديوية ونشأ عن ذلك تعطيل في العمل لأن من انتقتهم النظارة للامتحان فيها كان أكثرهم مشتغلا بامتحان الشهادة وتلاوة أوراقه واضطررنا لتأجيل الامتحان في التربية العملية عن وقته المعين في الجدول وهو أول مايو سنة ١٩٠٩ إلى ما بعد ١٦ منه واجهد الممتحنون أنفسهم في أول النهار و بعد الظهر حتى أتموا عملهم بمشقة عظيمة في أوقات هذا الحر الشديد

فلهذا ولقلة العمال الذين يوثق بعملهم أرى ان يجعل موعد امتحان هذه المدرسة في الاعوام المقبلة من أول مايو كما وقع ذلك في بعض السنين

(ب) لاحظت ان كون الامتحان بنمر سرية قد أوجب زيادة العمل على العمال واستدعى إيجاد عمال في حين الاحتياج الى عملهم في موضع آخر لتزاحم الامتحانات في وقت واحد ولو كانت الفائدة من جعله سريا توازي هذه الاتعاب وتلك المضايقة في إيجاد العمال لهان الخطب ولكني وزنت النفع والضر في ذلك فوجدت الثاني أكثر بكثير وغاية ما يقال في النفع ان كون الامتحان بالنمر السرية يجعل النظارة في اطمئنان من عدم وجود الغرض فيه إذ يقرأ الممتحن ورقة لا يعرف كاتبها فيقدر لها درجتها بالضبط وهذا النفع وان كان يكون حقيقيا في بعض الأوقات ليس بمطرد لانه ليس كل ممتحن يعمل فيه الغرض وفضلا عن ذلك فقد يوجد شيء من التساهل مع الامتحان بالنمر السرية يقوم مقام الغرض أو يفوقه لأن الممتحن كلما قرأ ورقة و وجدها غير صالحة سأل عن النمرة التي يمكن ان يمر بها الطالب ولا يكون ساقطا فيعطيها للورقة وهو جازم بانه لا يستحقها لأجل ان ينجو الطالب من السقوط وذلك استعمالا للشفقة واذا أسأنا الظن قلنا ان الممتحن تحت نظره أشخاص يجب ان يمروا فيخاف ان يكون صاحب الورقة الساقطة منهم فيمرّ الكل حتى يمر صاحبه بسلام وهذا أكبر في الضرر من استعمال الغرض لشخص مخصوص بالرجاء المعتاد في هذه البلاد وبين أوراق الامتحان في كل علم أوراق منحطة جداً وضع لها الممتحنون الدرجات التي تقتضي مرور كاتبها

بعربية تكاد تكون أقرب الى الافرنجية لما خالطها من الالفاظ الافرنسية والاسبانيولية والطليانية » »

وقد رأى بعض العقلاء أن أحسن حل لمسألة اللغة العربية في المدارس الرسمية وأسلمه عاقبة على اجيال الدولة المختلفة هو ان يجعل تدريس العلوم المادية كلها باللغة العربية كالطبيعيات والرياضيات والفلك والكيمياء والطب وان تجعل العلوم السياسية كلها باللغة التركية كالجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والحقوق والاجتماع وبذلك لايقع حيف على العرب وهم نصف الدولة أو يزيدون ولغتهم أفضل لغات سائر العناصر العثمانية ، والمستقبل كفيل بحل هذه المعضلة العلمية ،

تقرير (١)

عن امتحان مدرسة المعلمين الناصرية

﴿ في العام الدراسي سنة ١٩٠٨ الداخل في سنة ١٩٠٩ ﴾

صاحب السعادة سعد زغلول باشا ناظر المعارف العمومية حضرتلري

قبل كل شيء أقدم الى سعادتكم أكمل الشكر والامتنان على ان جعلتموني موضع الثقة فاخترتموني لرئاسة امتحان هذه المدرسة التي هي في نظري من أهم المدارس وأفيدها لهذا القطر ولهذا قد دققت البحث واختبرت كل شيء في الامتحان بنفسي واني عارض ما علمته بالتفصيل

(١) رأيت ان وقت الامتحان الذي حدد لهذه المدرسة غير ملائم لحالتها

(١) ننشر هذا التقرير لما فيه من الفوائد الدقيقة المتعلقة بفن التعليم وحاله في مدرسة من أرقى المدارس المصرية وأهمها عندنا بيان سوء أثر تعليم الأزهر في نفوس طلابه من حيث إدراك المسائل ومن حيث بيانها وهو ما شرحه صاحب التقرير الشيخ عبد الكريم سلمان الشهير العضو في المحكمة الشرعية العليا » في مسألة (ج) فعسى ان يكون فيه عبرة لمديري نظام الأزهر كما نحب له ونرضي

اللفظية وقد تعودوا ان لا يعرضوا فكرهم على أحد سواهم فاذا سئل هذا المتعلم على هذه الطريقة حار في أمره فلا يدري أي الاحتمالات يذكر وأيها يكون موافقا لذوق السائل فيرتبك كما قدمناه واما العلوم الأخرى فانها خلو من هذه العلة الثقيلة علة الاحتمالات والتشكيك فاذا سئل فيها قال ما يعلمه منها جازما بما يقول والجزم في العلم هو قاعدة كل خير وهو الأساس المتين في نجاح التعليم

ولا يقال ان هذا الفرق بين هذا الطالب وهو امام الشيخ حمزة و بينه وهو امام بهجت بك جاء من عوارض أخرى مثل وجود من يهابه زائدا على من يمتحنه فانني كنت موجودا مع هذا الطالب امام الاثنين واذا قيل ان الفرق جاء من كيفية توجيه الأسئلة فانني كنت أبسط السؤال له وهو عند الشيخ حمزة بطريقة هي غاية في السهولة والوضوح وقد لاحظ حضرة الشيخ حمزة فتح الله هذا المعنى من بعض الطلبة فأشار اليه في تقريره المقدم إليّ منه حيث قال « لذلك لا أجد بدا من سرد نموذج مما طغى به من كثير منهم بنانه و بيانه و يراعه ولسانه مما لا اعقل نسبته لأمثالهم الا لفرط ذهول استحكم فاما في الشفوي فكما سمعتم من البعض حتي عذرتموه بحصر الهيبة في معترك الامتحان ولذا أقتصر على ما خطه بنانهم في الأوراق التي صححتها » اه

ظهر مما تقدم ان العيب في هذا الموضوع انما هو في كيفية التعليم وفي بعض الكتب لا في شخص المتعلم . والنظارة مسؤولة عن اصلاح هذا العيب والطريقة التي اراها نافعة في هذا الباب هي انتقاء الطلاب حين الدخول انتقاء كاملا في نباهتهم ومعلوماتهم وسيرتهم وليس من الضروري ان نتوسع في العدد فبدلا عن ان نأخذ ستين منهم أربعون ناقصون نأخذ عشرين كاملين اذا تخرجوا تخرجوا رجالا ذوي قدرة على العمل وقدوة للمتعلمين في كمال الاخلاق. أما اذا تخرج من الستين خمسون وكان منهم ثلاثون ناقصين فقد أدخلنا في عداد المعلمين اشخاصا غير صالحين وكانت النتيجة مساواة الصالح بالطالح والخلط بين الضار والنافع وعندي ان يقال إننا لا نخرج كل سنة الا عشرين كاملين خير من ان يقال اننا نخرج كل سنة طائفة كبيرة لا يمكنها في مجموعها القيام بوظيفتها حق القيام على انه قد مضى وقت الاحتياج الى

فقط كنمرة (عشرين) فيما نمرته الحقيقة (٤٠) و (٢٥) فيما نمرته (٥٠) و (١٥) فيما نمرته (٣٠) وهكذا ولسعادتكم ان تأخذوا نموذجا من تلك الأوراق المكتوب عليها مثل هذه النمر فتجدوها على ما وصفناه وأيضا فان الامتحان بالنمر السرية في هذه المدرسة وهي من المدارس المخصوصة العالية تفرقة بينها وبين أختها مدرسة الحقوق الخديوية ولا فرق بينهما في الواقع ونفس الأمر فلم يكون الامتحان في الحقوق جهريا وفي المعلمين سريا على اننا لم نسمع بأن طالبا في الحقوق مع الامتحان الجهري نجح للغرض ولا بأن طالبا تأخر بقصد الإضرار به

ولهذا فاني أرى ان يكون الامتحان في هذه المدرسة أيضا جهريا فيقل التعب وتزول تلك الاضرار ويسهل وجود العمال ويعرفون انهم موضع الثقة فيعملون على ما يزيدها وانهم ليسوا موضعا للريبة فيعتادون النزاهة والتخلي عن الغرض وهذا من حسن التربية واعلاء النفوس بمكان عظيم

(ج) لاحظت اثناء تأدية الامتحان الشفهي في علوم النحو والصرف والطبيعيات وتقويم البلدان ما لا يكاد يصدق وذلك ان الشخص الواحد يكون شخصين متبايني الصفات والادراك في وقتين مختلفين امام ممتحنين في علمين وهذا وان كان وجد في قليل من الاشخاص ولكنه مما يستدعي النظر والالتفات والبحث عن الاسباب . رأيت بنفسي أحد الطلبة يؤدي الامتحان الشفهي امام الشيخ حمزه فتح الله فاذا سأله عن تطبيق قاعدة أو اعراب جملة أو تعيين محل اسم من الاعراب أو عن أصل الكلمة وما صارت اليه بعد القلب أو الابدال بحث عن الجواب في جوانب السماوات وشاسع الآفاق، فاذا نبه الى ان الجواب قريب منه اعتراه ذهول حتى صار لايدرك البديهي من القول، ورأيته بعينه وهو امام علي بك بهجت يؤدي الامتحان في تقويم البلدان فوجدته رجلاً ثابت الجنان منطلق اللسان يعبر عما يريد بقوة ولا يعتريه انزعاج رأيت هذا في أكثر من واحد ومن اثنين واني أحقق بعد ان أطلت الأخذ والرد والبحث ان هذا الداء كان متأصلا في بعض أولئك الاشخاص من أصل التعليم لأن قاعدته في الأزهر كثرة الاحتمالات في العبارة الواحدة واستعمال المعلم للتشكيك والاكثار من الاعتراضات

عند الامتحان اتفاقا يكاد يكون تاما من كثير من الوجوه فعلمت من ذلك انهم لا يعتمدون على قوة الكتابة والإنشاء ولو كانوا كذلك لاختلفت العبارات فان المنشئ يمكنه ان يعبر عما علم في موضوع واحد بعبارات مختلفة الأسلوب وان كانت متفقة الموضوع وهذا العيب يكاد يكون عاما في المدارس التي امتحنتها وان اختلف التلامذة في ذلك بعض الاختلاف ولاحظت أيضا في أمر التطبيق ما يصح ان ألفت النظارة اليه ويقول حضرات الممتحنين كلهم في الاعتذار عن بعض النقص الذي يوجد فيه ان علته انما هي تضييق الزمن وهذه تقاريرهم مجمعة على كثرة العلوم وقلة الزمان و بعضها يشير الى قلة الزمن المحدد للعلم بالنظر لموضوعه وفائدته كعلوم العربية وعلوم الشريعة التي هي المقصود الاصلي من تأسيس هذه المدرسة . وكأنهم يرمون الى النظر في أمر البر وجرام ولزوم تعديله على مقتضى وضع المدرسة وما يناسبها من العلوم

اني بما قدمته في فقرة (ج) من الكلام في أمر الانتقاء للدخول وشروطه والاخذ ممن قل زمنهم في الازهر وتعويضهم زمنا في المدرسة أستغني عن الذهاب مع حضرات الاساتذة الممتحنين الى النظر في أمر البروجرام فانه بعد ان يتقرر الامر على ما تقدم يستغنى موقتا عن التعديل فيه ومع ذلك فلو رأت النظارة ان تنيط اللجنة التي تؤلف للغرض المتقدم بالنظر أيضا في تحديد العلوم على الوجه المناسب لموضوع المدرسة ومدة الدراسة وعدد الدروس في كل علم وما يبقى من العلوم وما يحذف لكان ذلك خيرا ومفيدا للعلم والتعليم

يدخل في باب التطبيق وجودته صناعة الإنشاء وحيث اني كنت ممتحنا فيه هذا العام أيضا فاني أقدم هذه الملاحظة بمثابة تقرير مني على انفراده في امتحان الانشاء

رأيت السنة كلها وعدد طلابها (٥٦) نفسا لم يحز ولا واحد منهم الدرجة العليا ولم ينل القريب منها إلا عدد قليل اما الباقون فمنهم كثير أخذ نصف الدرجات المقررة وهذا فيه مافيه على ما قلناه ومنهم من زاد عليه زيادات تتردد بين (٢٦) و (٣٩) وقد قال لي الشيخ أحمد السكندري مدرس هذا الفن (وهو الذي كان يقرأ لي ما كتبوه) ان هذه الفرقة كلها كانت عندي في طول السنة متوسطة لا عالية وقوله

الإكثار من المعلمين بقطع النظر عن الكامل والناقص وجاء الوقت الذي يجب فيه التقليل من المعلمين حتى نصادف الخيرين منهم

ويمكن ان تجمع النظارة لجنة لتقرر مقدار الحاجة الى المعلمين في كل سنة وتقرر بناء على ذلك انتقاء الطلبة وشروط الدخول وارى ان يكون في اول ما تنظر اليه اللجنة ان الطالب لا يكون قد امضى زمنا طويلا في الازهر بين تلك الاحتمالات والشكوك (١) ولا بد حينئذ اي اذا تقررت هذه القاعدة ان تطيل النظارة زمن وجودهم في المدرسة حتى يتغير وضعهم بالمرة ويسبكوا سبكا جديدا فيكون المتخرج منهم مفكرا مستنتجاً تربت فيه ملكة القيام بالنفس فيمكنه العمل بما تعلم وان يفيد المتعلمين ويبث فيهم روح العلم الحقيقي وروح التربية الحقة فان الذي ينقص المعلمين اليوم هو التفكر والاستنتاج فاذا اخذنا الطلبة من الآن فصاعدا ممن لم يمضوا مدة طويلة في الازهر وعوضنا عليهم تلك المدة في المدرسة وصلنا الى نتيجة حسنة قطعا وتخرج من هذه المدرسة العدد المجيد لعمله وان كان قليلا فهو خير من عدد كبير جله ممن لا يجيد العمل ولا يحسن التعليم.

على ذكر هذا الذي تقدم اقول انني امتحنت طلاب السنة الرابعة من مدرسة الحقوق كما امتحنت مدرسة المعلمين فاذا مدرسة الحقوق في موضوعها متقدمة وفي طلابها جرأة على القول أمام اي ممتحن وبالطبع لم تكن لهم هذه الجراءة الا من اصل التعليم فلو اصلح التعليم في مدرسة المعلمين لوجد من متخرجيها من يفوق متخرجي الحقوق لأن في مدرسة المعلمين تتوفر العلوم العربية والمنطقية وكلها مما يوجب القوة في الحجة والطلاقة في اللسان والتوسع في البيان

(د) لاحظت ان بعض العلوم كآداب اللغة والتاريخ تتفق فيها كتابات الطلبة

---

(١) المنار : لما عرّفت الشيخ عبد العزيز جاويش للاستاذ الامام سألني عن درجة تحصيله في أوربا ودار العلوم . قلت اني لم اقف على ذلك لقرب العهد بحضوره من أوربا ولم أعاشره قبلها كثيرا . فقال سله عن مدة اقامته في الأزهر فان كان أقام زمنا طويلا فيه فما أرى انه حصل شيئا ترجى فائدته لأن طول الاقامة في الازهر تضعف الاستعداد للعلم حتى قد تذهب به . وان كانت إقامته فيه قصيرة فهو عندي محل رجاء

فيكون النجاح باعتبار (٨٤) في المائة تقريبا وان سبب سقوطهم كان علم الرياضة فقط في سبعة منهم وعلم الرياضة مع نقص في بعض متوسطات المجموعات في الاثنين وان الساقطين فى السنة الثالثة خمسة فقط والساقطين في الثانية ستة فقط ولم يسقط في السنة الاولى ولا واحد ولم يسقط في التحضيرية سوى واحد وقد ذكر حضرات المتحنين فى تقاريرهم شهادات طيبة وذكروا معاذير فيما وجدوا من بعض التقصير فنسبوا ما يوجد منه لضيق الزمن فى الغالب وللامتحان فى شيء قد تركوه زمنا طويلا وهذه ملخصات تقارير حضراتهم أذكرها بغاية الإيجاز مع إلفات النظر الى ماجاء فى كل منها من التفصيل ولي أمل شديد فى ان سعادة ناظر المعارف الذي عود المصلحة العمومية عنايته بها يعير هذه الملاحظات جانبا من التفاته فتتجه المدرسة الى الكمال الأكمل المطلوب لها مني ومن أمثالي وفقه الله لخير البلاد والعباد

وهذه هي نموذجات التقارير

(تقرير حضرة الاستاذ الشيخ حمزه فتح الله ممتحن النحو والصرف في السنة الرابعة تحريريا وشفهيا وتحريريا في علم المعاني وفي جميع علوم البلاغة للثانية والعروض والقافية للسنتين الثالثة والاولى) قال - « انهم احسنوا فيما عدا النحو والصرف كل الاحسان ولا اتهم منهم الا وضع الهمزات على ألفات الوصل — وقال — انهم أجادوا في استحضار القواعد وجمع شتيتها والتعبير عنها بعبارات سلسة والتمثيل بدون تقيد بما في الكتب واستحضار الشواهد ثم سرد نموذجا من هفواتهم في علم النحو والصرف ورسم الحروف واستنتج ان حالة الجميع حسنة وقال انه يعوزهم في علمي النحو والصرف زيادة العناية بالتمرين العملي واثنى عليهم جميعا فيما يتعلق بعلوم البلاغة والعروض

(تقرير حضرة الشيخ النواميسي ممتحن السنة الرابعة في المنطق والسنة الثالثة في الفقه والاصول) قال : النتيجة في هذا العام حسنة وان كان يوجد تقصير من بعضهم في الاجابة خصوصا في علم الاصول فربما كان ذلك ناشئا من كثرة المواد التي تظهر انها عبء - الى آخر ماقاله ولفت النظر اليه

(تقرير ذهني باشا ممتحن الرياضة والهيئة مع جناب المستر تويدي) قال : امتحنت

هذا هو قول العارف الممارس ولا يؤخذ عليه انه هو المدرس لهذا الفن و ربما قاله حتي لا يلحقه نقصهم لأن الرجل معروف بالعمل و بالصدق في الاقوال وانى موافق على قوله هذا وأقرر ان هذه السنة في الانشاء أقل من سابقاتها ولا يمكنني ان انسب ضعفهم الى صعوبة موضوع الإنشاء فانني سألتهم سؤالا يكون كل منهم معه حرا في اختيار الموضوع الذي يجيد الكتابة فيه وكان عندهم من الوقت ساعتان ومضمون السؤال ان كل طالب يختار فضيلة من الفضائل ويحث على العمل بها قوما مخصوصين فكان مقتضى هذه الحرية ان تجيء كتابة كل منهم في غاية الاجادة ولا يكون هذا الا إذا كانوا يحسنون صناعة الانشاء

(ه) يستخلص مما تقدم ان هذه المدرسة يجب ان يكون لها مقام مخصوص بين المدارس العالية لان الغرض منها كما هو ظاهر من نص المادة الأولى من قانونها هو تخريج معلمين مصريين للغة العربية وكل ما يدرس بها في المدارس التابعة لنظارة المعارف العمومية وهذا الغرض هو أعظم غرض تتوجه اليه فكرة من يريد اصلاح التعليم ولا فائدة أكبر من إيجاد هؤلاء المعلمين ايجادا حقيقيا وهو لا يكون الا باصلاح النظام الذي يتخرج بمقتضاه أولئك المعلمون فاننا في غاية الاحتياج الى كونهم من النوابغ لا ان يكونوا كثيرين فيجب انتقاء الطلاب وانتقاء الاساتذة لهم وإيجاد المناسبة بين علومها و زمانها وهذه المدرسة لا تقل في الاهمية عن أختها شقيقتها مدرسة القضاء الشرعي وزمان الدراسة في هذه الاخيرة هو تسع سنوات فليس من ضرر ان تجعل مدة الدراسة في مدرسة المعلمين ست سنوات و بهذا ننصف إحدى الشقيقتين نوعا ان لم نتمكن من انصافها بالتمام

(و) هذه الملاحظات لا تنافي اننا نذكر لهذه المدرسة حسناتها السابقة من يوم نشأتها الى الآن وانها أفادت البلاد والتعليم واللغة العربية بما لا يحصى من الفوائد فانني شغوف بتقدم هذه المدرسة أكثر مما هي عليه وحصولها على درجة تجعلها في أعين القائمين بأمر التعليم في المقام الاول من الاعتبار ولا تمنعنا هذه الملاحظات ايضا من ان نذكر المدرسة في هذه السنة بالنتيجة الحسنة التي حصلت عليها في هذا الامتحان الأخير وهي انه لم يسقط من السنة الرابعة سوى تسعة من (٥٦)

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين – لليافعي ﴾

٦

بقية بحث احاديث الا حاد وكونها من اصول الدين

قال في الأحاديث ماخلاصته: انه لا يبعد ان يكون بعضها موضوعا وان ما غلب علي الظن ان يكون له أصل صحيح كان شريعة خاصة بأحوال خاصة وظروف مخصوصة في مبدإ الاسلام — إلى قوله — وما جاء في القرآن هو الشرع العام لكل زمان ومكان ولذلك لم يأت أمثال هــذه المسائل الخاصة فيه ثم قال ونهى رسول الله (ص) المسلمين عن تدوينها كي لا تكون خالدة بينهم كالقرآن الشريف — إلى قوله — لم يحسن المسلمون الجمع بين هذه الا حاديث و بين نصوص الكتاب العزيز

وأقول ان ما كان موضوعا فقد بينه النقاد بدور العلم ونجوم الهدى (رح) ومن سلك الطرق المؤدية عرفه والصحيح قد بينوه على اختلاف مراتبه وهو كثير وشريعة الله ودينه هو ما في الكتاب والسنة النبوية — والعجب ان الدكتور الفاضــل قد ذكر في رسالته هذه ان في الكتاب كثيراً من الاحكام الخاصة ثم هو ينكرها هاهنا ونحن نعلم ان فيه المخصوص والمقيد والمجمل والمبين. والأحاديث وان كان قد يوجد فيها بعض ذلك الا ان ما فيهــا من ذلك هو أقل مما في القرآن. ونهيه (ص) عن تدوينها قد قدمنا الــكلام عليه والمسلمون قد أحسنوا التوفيق بين الاحاديث وآيات الكتاب وما اعترض به حضرته قد عرفت الجواب عنه

أما قوله واني لأعجب من أهل الحديث وقوله فكأنه يجب على كل مسلم بمجرد ما يسمع أقوالا منسوبة الى الرسول (ص) ان يفني حياته في معرفة أحوال رجالها

التلامذة في مسائل موافقة للبروجرام ، و بين الناجحين في كل واحـد من الحساب والجبر والهندسة على حدته والناجحين في الكل على العموم ومدح الطلبة على سلوكهم في الامتحان والنتيجة هي ما قلنا سابقا من ان الساقطين في الرياضة تسعة

(تقرير حضرة الشيخ الطوخي في التوحيد والتفسير والحديث) قال: أتجاسر على الاستلفات الى كثرة المقررات في العلوم بجداول التدريس وصعوبة بعض الكتب المقررة لتدريس بعض علوم المجموعة الشرعية وعدم كفاية الزمن المحدود لتدريسها. و يظهر من بين السطور في تقريره ان الطلبة كانوا يعجزون عن النجاح لولا مجهوداتهم فأوجه نظر سعادتكم الى ما يريده الشيخ الطوخي

(تقارير التربية العلمية والعملية) تشير الى ان الحال محتاج الى تحسين وطلب الشيخ شريف زيادة علم النفس في المدرسة حتى يكمل نظام التربية العملي وانا لا اوافقه عليه لاعتبارات كثيرة اهمها قلة عدد الراسخين في هذا العلم الذين ينتفع منهم فيه

(تقريرا علي بك بهجت في التاريخ والجغرافية)مدح التلامذة في انهم اقلعوا عن عادة الكتابة من المحفوظات ومدحهم على ما حصلوه ومدح اساتذتهم على ما علموه واشار الى ان زميله يريد إلفات نظر المدرس للجغرافية الى العناية بالرسم

(تقرير جعفر بك في الخط) قال ان الطلبة ينقصهم كثرة التمرين خارجا عن النموذجات التي تمرنوا فيها

(تقرير ممتحن العلوم الطبيعية) قال ان اجابات الطلبـة كانت جيدة في العلوم الطبيعية واحسن منها في الكيمياء فانهم لم يعرفوا ما هي الكهربائية الديناميكيه واقترح تنقيح البرنامج الحالي وجعله ارقى مما هو عليه الآن

(تقرير ممتحن فن الرسم) قال ان (١٢ ونصف) تحصلوا على (٧٠) في المائة من الدرجة النهائية وقال ان عدد الفرقة كان كثيرا بالنسبة لموضوع الرسم على تختة التباشير وطلب تخصيص ساعتين في الاسبوع للرسم لان زمنه الحالي قليل

(تقرير معلم الجمباز) قال ان النتيجة مرضيه واثنى على نشاط الطلبة وعملهم بما يلقى عليهم من التعاليم

فعارضوا برأيهم فاياكم واياهم . وفي رواية أخرى اياكم وأصحاب الرأي فانهم أعداء السنن أعيتهم الاحاديث ان يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا - قلت وهذه الآثار سواء كانت موقوفة حقيقة أو قد سمعها من رسول الله (ص) فانه رضي الله عنه قد سمى الاحاديث سننا و بذلك يظهر ان تسميه الاحاديث سننا ليس هو اصطلاح متأخر وقد روي وصح عن غيره نحو ذلك وهو كثير - على انا نقول أيضا ان الله كما أمر باتباعه في سننه (ص) كذلك قد أمر و رغب وأكد بطاعته - والطاعة انما تكون في أمره القولي حقيقة وقد ذكرنا ذلك وما يقار به و يضارعه بما لا مزيد عليه في رسالتنا السابقة

قال ولو كانت واجبة الاتباع لعلمها الناس جميعا في عصره (ص) وجروا عليها في أعمالهم - وقال وهذا أدل دليل على انها لم تكن دينا عاما لجميع البشر الى آخره . وأقول لا يلزم ذلك لان جميعهم لم يعلموا القرآن أيضا ولم يجروا في فهمه على طريقة واحدة في كل مسئلة و واقعة واقعة وهذا الخليفة عمر (رض) من كبارهم قد خفي عليه أمر الصداق وهو موجود في القرآن فلما قرأت عليه الا مرأة قوله تعالى «وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا» قال «رجل أخطأ وامرأة أصابت» . فاشتراط استوائهم في العلم والعمل واتفاقهم على جميع الاحكام شرط لغو لم يقل به أحد من المسلمين كلهم ولم يكن لحضرة الدكتور حفظه الله فيه سلف لا في العمل ولا العلم بالقرآن ولا في السنة . واذا كان الامر في القرآن كما عرفت وقد امتاز بانه كلام الرب بلفظه وهم مأمورون بتبليغ لفظه للاعجاز ومتعبدون بتلاوته في الصلاة ونحوها والنبي (ص) كان يقرأه عليهم في الصلوات الجهرية ونحوها وهم كذلك . كل ذلك وهم لم يتفقوا على جميع احكامه ولا على العمل بجميعها كما عرفت فكيف يصح ان يشترط ذلك في الحديث وهو انما هو في المرتبة الثانية ؟ أفليس من الجائز ان يقول (ص) قولا ويحدث بحديث أو يحكم بحكم فلا يسمعه ولا يحضره الا بعضهم فيخفى على الآخرين ؟ على ان بعض الاحاديث قد عمل بها واتفق عليها أهل الحل والعقد منهم (رض) وقد حدثت أمور و وقائع فرجعوا فيها الى العمل بالحديث واذا صح عندهم الحديث فلم يكونوا يتأخرون عن العمل به - وأيضا أقول بلا مجازفة قل

والوقوف على أمورهم إلى قوله فأيّ حرج في الدين أكبر من هذا وخصوصا كلما طال العهد الى آخره

وأقول الأمر أيسر وأسهل مما ظن الفاضل — فالمتأهل للنظر قد سهل الله له الأمر بما قد صنفه العلماء من الاصول وما جمعوه من الصحاح التي قد هذبت ونقيت وقربت واختصرت على ان الجد والاجتهاد في تحصيلها هو من أفضل الطاعات وأولى ما انفقت له نفائس الاوقات «ما عندكم ينفد وما عند الله باق» فسد الزمان وتركت الاديان والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله فلتكن منكم أمة يدعون الى الخير. اما العوام فلا حرج عليهم ولا تضييق — وقد قال تعالى «فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون» — أي اسألوهم عن دين الله لا عن آرائهم المخالفة له فمن أجاب بغير ما شرعه الله أو بما يخالف ما شرعه فليس هو من أهل الذكر الذين أحال الله عباده إلى سؤالهم بل هو من أهل الرأي المذموم ولا ندري ما مراد الفاضل بهذا والله المستعان

قال حضرة الفاضل حفظه الله في الكلمة السابعة من رسالته — السنة في اللغة وفي اصطلاح السلف هي الخطة والطريقة المتبعة الى ان قال وهناك فرق عظيم بين لفظ السنة ولفظ الاحاديث ويجب على كل باحث ان يدرس هذا الفرق جيدا حتى لا يقع في الخلط والخبط — وقال اما تسمية الاحاديث مطلقا بالسنة فهي من اصطلاح المتأخرين الى ان قال — والسنة لا تكون إلا عملية — وأقول ان الله قد أمر باتباع رسوله (ص) ولا شك ان الاتباع يدل على امتثال أمره فيما قال (ص) ونحن لا ننكر ان الاتباع لغة يكون في الفعل أكثر منه في القول — أما كون ذلك هو العرف الشرعي فلا نسلمه وإذا كانت السنة هي الخطة والطريقة كما قال حضرته فلا شك ان الخطة يكون أصلها القول — والطريق والطريقة والسبيل معناها واحد — وقد قال تعالى «قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» والدعاء قول وقد سماه سبيلا — والفاروق الخليفة الثاني (رض) قال أصبح أهل الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث ان يعوها وتفلتت منهم ان يردوها فاستبقوا الرأي — وفي رواية واستحوا حين يسألون ان يقولوا لا نعلم

الامام الشافعي (رح) كلاهما على نقيض مذهب الفاضل الدكتور — وقول الامام الشافعي (رح) في النسخ انما هو من نوع الكلام فيما اذا تعارضت الادلة

أما ما نقل عن أهل الظاهر فليس كما قال ولم نر من نقل عنهم عدم وجوب العمل بها كيف ومذهبهم انما اشتهر بالعمل بالقرآن والحديث فقط ولذا يقال لهم أهل الظاهر . انما ينقل عن بعضهم انه منع تخصيص الكتاب بالكتاب وهو مبني على اصطلاح متأخر اعتمدوه والحق خلافه . نعم نقل عن امامهم داود (رح) ان المتواتر من السنة يعارض الكتاب ولا يخصص احدهما الآخر أي فهو يتوقف حتى يعلم التاريخ وحينئذ يكون ذلك عنده من مسائل النسخ لا التخصيص واما آحاد السنة الصحاح فلا نعرف لهم خلافا منقولا نقلا موثقا انهم منعوا تخصيصها للقرآن . و بذلك تعرف ان قولهم انما هو مخالف ومناقض لمذهب الاخ الفاضل الدكتور حفظه الله

قال قال جمهور الاصوليين انها ظنية — واقول قد قدمنا الكلام على ذلك وان الحق غير ذلك على انهم مجمعون على وجوب اتباعها

قال وقال جمهور المسلمين انه لا يجوز الأخذ بها في العقائد . واقول كونهم الجمهور غير مسلم . بل الجمهور من عهد رسول الله (ص) الى يومنا هذا على خلاف ذلك على انه لا يجب علينا ان نعتمد ونتدين باقوال الرجال الا اذا وافقت الصواب من السنة والكتاب

قال قال كثير من الائمة كالقاضي عياض انه لا يجب الاخذ بها في المسائل الدنيوية المحضة — وأقول قد سبقهم الى ذلك سيد المرسلين (ص) فيما صح عنه لكنه لا يدل على ما زعمه حضرة الفاضل ولا يؤيد مذهبه

قال وقال جميع المحدثين ان الموضوع منها كثير وتمييزه عسير جدا وفي بعض الاحوال مستحيل — قلت اما ان أحداً منهم قال ان تمييزه مستحيل فغير مسلم واما الكثرة فلا بأس وهم قد ميزوا ذلك وظهر امر الله

واما ما نقل عن الامام ابي حنيفة فان صح ذلك كان بحسب اطلاعه لا انه في نفس الامر كذلك وامام الاحناف رحمه الله قد استفاض عنه وجوب تقديم الحديث الضعيف على الرأي فهو وأتباعه الصادقون على نقيض ما يذهب اليه الفاضل الدكتور

ان يوجد حديث يصلح للاحتجاج به الا وقد عمل به منهم عدد - ومن لم يعمل به فنحن نعلم ونقطع بانه لم يبلغه أو لم يصح عنده وذلك بديهي مدة عملهم فلا إيراد ولا شبهة فيتأمل فيما قدمناه من الحجج والله أعلم

فالاحاديث الصحيحة قد جري عليها العمل بلا انقطاع الى يومنا هذا - اما الخلاف في الدلالات والترجيح وتقديم بعض الادلة على بعض في موارد الخلاف والتعارض فهو واقع في القرآن والحديث يعرف ذلك من اختبره وعليه فلا يصلح ذلك دليلا على ان الشرع موقت بزمان دون زمان وحال دون حال

ونحن قد قلنا في رسالتنا السابقة ان جميع الاحاديث المتفق على صحتها او التي صححها او احتج بها اهل الكتب المشهورة قد تلقتها الامة بالقبول فلا نعيد الكلام خوف الاطالة

قال الفاضل حفظه الله في الكلمة الثامنة من رسالته

(١) قال الامام احمد بن حنبل (رح) ما معناه ان الاحاديث الواردة في تفسير عبارات القرآن الشريف لا أصل لها - واقول اولا ان الدكتور الفاضل اذا أخذ هذه المقالة عن الامام احمد (رح) وضم اليها ان جميع السنن لا تقبل ولا يجب العمل بها فماذا يبقى بين ايدي المسلمين من بيان الدين ومجملات القرآن. وعليه فلا يبقى الا العمل بالرأي وقد عرفت ما فيه - (أتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير) قلت والذين عرفوا الامام احمد واقواله انما حملوا قوله على انه لم يصح عنده في ذلك شيء مرفوع لأن عامة ما يروى انما هي المراسيل - وقد قال غيره من الأئمة ان حكم اكثر الموقوفات في ذلك الرفع وعدم علمه لا ينفي ان يكون هناك شيء كثير مرفوع لم يبلغه - على انه قد نقل عنه في الاتقان انه قال اي الامام احمد بمصر صحيفة في التفسير رواها علي ابن ابي طلحة لو رحل رجل فيها الى مصر قاصدا ما كان كثيرا

وما قاله الامام احمد (رح) لا يفيد الدكتور الفاضل شيئا - وفرق بين ماذهب اليه الدكتور الفاضل وما يدل عليه قول الامام احمد رحمه الله أمين ولو أردنا ان نورد عن الامام ما قال في وجوب اتباع الاحاديث لاستدعى ذلك مجلدا كبيراً وكذلك

(رض) بأبي هريرة (رض) وأقول أبو هريرة من الثقات ومن الصحابة الكرام - وكلام عمر له أسباب غير مايريده الدكتور الفاضل وقد عرفت بعض كلام عمر «رض» وهو من اكثر الصحابة أمراً باتباع الحديث والسنة وقد حدث عن رسول الله «ص» بأحاديث كثيرة

قال ان ائمة المسلمين لم يتفقوا على الصحيح منها قلت بل قل اتفقوا على كثير من ذلك وهذا ان صح ان يقال فانما كان قبل ان تدون أما بعد ان صنفت ودونت فقد اتفق الحفاظ والأئمة المتأخرون على قبول تصحيح ماوسم بالصحة في الكتب المشهورة وما بقي فيه بعض اختلاف فهو طفيف يمكن المنصف تمييزه

قال لم يعتن المسلمون بحفظها كما حفظوا القرآن أقول لا يلزم ذلك ولا يضرنا ونحن لم نقل انه يلزم لها في الحفظ اللفظي مايلزم ويجب للقرآن على انه قد اعتنى بحفظها كثير من الائمة والقادة وأهل القرائح الوقادة الذائدون عن الدين كما اخبر بهم سيد المرسلين «ص» فجزاهم الله عن هذه الامة خير الجزاء ورحمهم الله ورضي عنهم وارضاهم آمين وصلى الله وسلم على رسله الامين الى يوم الدين

* * *

هذا جواب ما كتبه الدكتور الفاضل بغاية الاختصار وأنا ارجو حضرة شيخ الاسلام أن يطبع ذلك في المنار الاغر ولو دفعات متفرقة فانه قد رغب فيه كثير من قراء المنار ومن ينظره بين الاعتبار - وألتمس من حضرته ان يصلح مافيه من الخطإ والزلل لأني كتبته بعجلة بعد ان كنت أردت الاعراض عن الجواب ولكن ارضاء لله ورسوله «ص» ثم للإخوان الكرام الذين رغبوا في ذلك كتبت ذلك ارتجالا وألتمس من حضرة شيخ الاسلام أن يذكر ملخص رأيه وكذلك ألتمس من علماء الاسلام حفظهم الله وايدبهم الدين ان يتكلموا ولو بالتصويب والتخطئة فان الزمان كما ترون أهله أول مايبادرون الى حب الخلاف ولو لأضعف الشبهات فنسأل الله العافية في الدين والدنيا والآخرة وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله وآله الى يوم الدين قال ذلك بفمه وكتبه بقلمه

الحقير صالح بن علي بن ناصر اليافعي

وما نقل عن الامام مالك (رح) فليس مما نحن بصدده وانما هو من باب ترجيح احد الدليلين اذا تعارضا وهو لا يدل على ما ذهب الفاضل الدكتور حتى ولا من باب الاشارة ومذهب الامام مالك (رح) معروف في ايجاب العمل بالاحاديث الصحاح

قال اجمع المسلمون على عدم تكفير من انكر أي حديث منها . قلت ان من أنكر ذلك لانه لم يصح لديه فالامر كذلك ونحن نقول بذلك وأما من ردما عرف ان النبي (ص) قاله بلا مسوغ فهو كافر برسالة محمد (ص)

وقوله ان تناقضها كثير الى آخره جوابه ان ذلك انما هو في نظر بعض الناس ودعوى الكثرة والاستحالة في التوفيق غير مسلم - وقوله قام الدليل الحسي الى آخره جوابه اننا لانسلم ذلك . وقوله لم يجمعها الصحابة الخ قدمنا الكلام عليه

قال لم يبلغوها الى الامم بالتواتر - أقول ذلك غير لازم وهو لا يضرنا والشيء لايكون متواترا الا اذا تواتر بل قصدوتواطى وانما يكون متواترا بالاتفاق (كذا)

قال انهم نهوا عن كتابتها وأحرقوا ما كتبوه منها - وأقول قدمنا الكلام على الكتابة وأما الاحراق فهو لم يكن لاحاديث النبي (ص) - وعلى المدعي البيان بما يعين ويدل على مراده

قال قد نهى بعضهم عن التحديث وكرهه - أقول ان صح ذلك فانما هو عن بعضهم وسببه كما قال خوف الغلط على رسول الله (ص) فيقع المكثر في الكذب على رسول الله (ص) على ان من يقال انه كره ذلك هو نفسه قد حدث عن رسول الله (ص) بأحاديث كثيرة واذا كان مراده أن الذي كره ذلك عمر (رض) فقد روى عنه الجم الغفير أحاديث كثيرة وقد قدمنا بعض قوله في الاحاديث وان غيره فعليه بيانه على ان كراهة الاكثار من التحديث اون وماذهب اليه الدكتور الفاضل اون آخر فلا حجة له في ذلك فتأمل

قال كان افاضلهم أقل الناس حديثا الخ وأقول ذلك غير مسلم على ان التحديث القليل الذي يسلمه هو حجة عليه ينقض مذهبه ونحن نقول ان عدم الاكثار له أسباب كثيرة ليس هذا موضع بسطها

قال من كان من الصحابة (رض) كثير الحديث ملوه وزجروه كما فعل عمر

الدنيا ولا يمكننا ان نجد واحدا مهما كان دينه يقول انه يريد لنفسه الشقاء اذا فهمنا هذا فالاستاذ يعلم ان جمهور المسلمين ومنهم المرحوم ابن تيمية الذي تنطق آراؤكم على آرائه يقولون إن الله تعالى قبل ان يوجد الخلق قد قسمهم قسمين. فريق للجنة وفريق للسعير وإن شئت قل فريق للهناء وفريق للشقاء.. أما هذه العلة المدهشة في مثل هذا التعميم فهي غير معلومة للمنار أو لابن تيمية الذي يقول:

واصل ضلال الخلق من كل فرقة　　هو الخوض في فعل الاله بعلة

نترك ذلك ونؤمن معكم بهذا التقسيم الذي عمل قبل وجود الخلق موقتا (وان كنا نعتقد بفساده) ونتأمل لما «؟» يتبع ذلك من النتائج في الحياة الحاضرة والعمل الانساني... هل الاسباب الدنيوية الموصلة الى النتائج الأخروية تعتبر علة لهذه النتائج؟ ام النتائج الاخروية المقررة نفسها علة للاسباب الدنيوية؟... أقصد اذا كان رجل كتبت له السعادة في الآخرة عند الخالق.. هل يوفقه الله تعالى لاسباب السعادة في هذه الحياة حتى ينيله في الآخرة ما قد تخصص اليه «؟» من قبل ليكون كما هو «؟» سعيدا؟.. أما جواب ابن تيمية وان شئت قل جوابكم ايضا ان العلة في ان يتوفق «؟» لاسباب السعادة هو كونه مكتوبا سعيدا من قبل أي ان النتيجة كانت علة للسبب وليس العكس كما يقول ابن تيميه

فمن كان من أهل السعادة أثرت　　اوامره فيه بتيسير صنعة

ومن كان من اهل السعادة لم ينل　　بامر ولا نهي بتقدير شقوة

ومختصر المعنى ان المكتوب سعيدا عند الله قبل ان يخلق يتأثر بطبيعته باوامر الله فيتبعها ليكون كما لا بد أن يكون.. والمكتوب من قبل للشقاء «؟» لاتفيده المواعظ ولا الاوامر ولا النواهي بل يسير بطبيعته الى حيث يتوصل الى قسمته القديمة ايضا. اذا علم المنار كل ما تقدم ووافق عليه فانا من جهه أخرى اقول له لا يهمني الآن فرقة القدرية ولا فرقة الجبرية الذين يقولون ان الانسان كالريشة في الهباء كما اني لا انكر ان القرآن الحكيم امر بالعمل والنظر في الاسباب ونظام الكون الخ

وكل الكلام الحلو الجميل الذي ذكره المنار في تفسير معنى القدر وما ذكره

(المنار) انا نشكر لصديقنا الاستاذ اليافعي غيرته على السنة السنية وعنايته بالدفاع عنها في هذا الزمن الذي عاد الاسلام فيه غريبا كما بدا ونسأل الله تعالى ان يجعلنا وإياه من الغرباء الذين يظهرون السنن كما ورد في بعض روايات الحديث . ثم نشكر له حسن ظنه بنا ومنه أمره إيانا بإصلاح ما عساه يوجد في كلامه من خطا وزلل وإطراوءه إيانا بالالقاب والنعوت التي لا نستحقها

اما رأينا في المسائل التي جرت المناظرة فيها بينه وبين صديقنا الدكتور محمد توفيق افندي صدقي فلا نرى ان نبحث في جزئياتها بالتفصيل لما في ذلك من التطويل الذي يمله القراء ويعسر على أكثرهم ضبطه وربطه بأصله ومن كان مستقل الفهم غير مقلد في العلم قلما يوافق رأيه رأي واحد من المختلفين اوالمتناظرين في مثل هذه المسائل بل يرى أن كل واحد أخطأ في بعض المسائل وأصاب في بعضها وهذا هو رأينا في جزئيات كلام صديقينا المتناظرين ،

وأما المسائل الثلاث الكلية التي هي أقطاب هذه المناظرة — وهي مسألة النسخ ومسألة العمل بالأحاديث وإفادة أخبار الآحاد العلم أو الظن — فسنقول فيها قولا مختصرا مفيدا ان شاء الله تعالى ونرجو ان يكون ذلك في الجزء السابع

باب الانتقاد على المنار

﴿ ايضاح وانتقاد ﴾

جاءتنا هذه الرسالة من صاحب الامضاء فننشرها ونجيب عنها وهي :

العلامة المفضال السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر

(١ — تحية وسلاما) وبعد فيظهر ان المنار في جوابه على سوءالي الانتقادي المدرج في صحيفة (١٨٩ ج ٣ م ١٢) لم يتمكن في معرفة قصدي من الانتقاد أو السوءال وأنا بغاية الايجاز اعيد عليه تفصيل مقصدي وما انتقده عليه .

لا يخفى ان كل انسان يهمه مستقبله وان شئت قل تهمه الآخرة أكثر من

للامة فعال مؤثر «؟» لايزول . وليس كمن يكتب على الماء . لماذا ؟ . لانه اذا كانت الغاية النهائية التي يطلبها الانسان والتي هي نهاية آماله ثابتة لا تتغير ولا تتبـدل . فالواسطة ان حسنت او ساءت لا تهم كثيرا ما دامت الغاية الابدية المعول عليها مقررة ومعلومة .

(٥ ــ مثـال عن حال تقسيم الناس في اعتقاد اغلب المسلمين) اسمع مني تكرما ياصاحب المنار مثلا : رجلان وقفا امام ادارة المنار احدهما يسمى مسلما والثاني غيرمسلم والاول اعلن «؟» من ادارة المنار انها ستحمله الى حديقة الازبكية ليتمتع بما فيها من الجنات والمسرات . والثاني اعلنته انه سيكون خارجها محروما من كل شيء ولكن اخبرتهما معا في آن واحد ان الطريق ما بين ادارة المنار والحديقة مملوء بأنواع المسرات وهو لهما معا فمن سار بقدميه وتأمل بعقله ولسنن الكون (؟) والنظامات الآلهية الى ما في الطريق (؟) تمتع . . وتنعم أي تنعم ومن وقف منتظرا مركبة المنار فليس له شيء مما في الطريق مطلقا ولا يجد في المركبة غير الحرمان . . . غير انه على كل حال سيصل الى مركزه المعين . الاول سيكون داخل الحديقة والثاني خارجها بـلا سبب و بلا جواب ان سأل

افتكر ان المنار عرف مقصدي من هذا المثال فداخل الحديقة التي عدت «؟» للمسلم هي الجنة وخارجها لغير المسلم هي النار «؟» . والطريق الموصل الى الطرفين مشترك بين الاثنين ولها معا هي الحياة الدنيا الموجود فيها المسلم و بها معترك الحياة بين الجميع

(٦ ــ المسلمون في تمدنهم وانحطاطهم) سار بعض الامم الاسلامية في الطريق على السنن الطبيعية من غير ان ينتظروا مركبة الآخرة ليحملوا عليها الى مقرهم فتحصلوا على كل شيء في الطريق ونالوا كل شيء بكدهم وعملهم كما كان الامر في صـدر الاسلام فتقدمت الامم الاسلامية وسادت في الارض فكانت سعيدة وسيدة في الدنيا غير سعادتها المضمونة لها في الآخرة حسب اعتقادها . ثم جاء قوم مسلمون آخرون منهم وقالوا مالنا ولكد الحياة . بل مالنا ولهذا المتاع الفاني فلنتزهد ونتقشف في الحياة ولا نبحث على اكثر من قوت يوما فان يقين الايمان بالآخرة ودوام التعبد كاف لسعادة الروح بحسن المآل (ولا شك ان العقل الذي يجعل اساس السعادة

في (٨ ـ حكم الاسلام في عمل الانسان) مسلم به بل القرآن ماهوا كثروأحكم وأمتن

(٢ ـ العقيدة) العقيدة من حيث هي إما تكون فاسدة فتضر ... وإما ان تكون صحيحة فتنفع والقرآن الحكيم أول الكتب السماوية الذي طلب تحكيم العقل في كل عقيدة وفند كثيراً من المعتقدات الفاسدة . فكيف واني اعتقد جازما ان تقسيم الخلق على الشكل السالف من أول العقائد الفاسدة بل المضرة المهلكة ايضا . ولا يخافن المنار من ادعائي هذا بلا برهان . فاني اجيبه عند السؤال بشرط ان لا اتعدى القرآن والعقل . فلنترك ذلك ايضا موقتا

(٣ ـ اعتقاد المسلم في دينه) ماذا يعتقد المسلم في دينه من حيث كونه مسلما آمن بالله وحده و باليوم الآخر ؟ . لا شك انه افضل الاديان . بل ايد القرآن ان من لم يكن في بواطنه «؟» مخلصا وخارجا عن مبادىء الاسلام كانت له النار حتما كالآية « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » فضف اعتقاد المسلم هذا بأن له الجنة وحده وان غيره له النار للاسباب المتقدمة الى الاعتقاد السالف بان الله تعالى قسم الناس قسمين قسم للجنة وقسم للنار بلا علة تجد منها «؟» ان المسلم هو الوحيد الذي كتب الله له الجنة من الازل وغيره له النار من الازل . وان المسلم موفق من الله باعماله الى السنن التي تؤول به الى الجنة وغيره الى السنن التي تؤدي الى ضدها او الى الشقاء

(٤ ـ الكلام بحسب الواقع) ان بكلامي هذا للمنار اتكلم بالاغلبية العظمى «؟؟» الظاهرة عند المسلمين وما عليه اجماع حال الامة الباطني الحقيقي . فان المتنورين النوادر الذين يمكنهم ان يحولوا المعاني بسحر بيانهم وقوة عارضتهم لتحليل «؟» أي فرض عسر حله مثل صاحب المنار هم قليلون . وقد تواجد(؟) مثل الشيخ محمد عبده (رحمه الله) وصاحب المنار مثل الغزالى وابن خلدون ممن ملؤا الدنيا بفصاحتهم وقوة بيانهم مالا يطلب بعده المزيد . ولكن كل ذلك ما كان يفيد تقريبا . ولا قدم شيئاً للامة محسوسا ولا وضع الامة في صفها الحقيقي كما طلب الغزالي و يطلب صاحب المنار . ولم تزل ساقطة كما كانت تقريبا «؟» لو اردنا ان نعمل بينها و بين غيرها نسبة . وغرضي ان تتوصلوا لتأصل «؟» هذا الداء الذي هو اصل البلاء حتى يكون اصلاحكم المنشود

في السؤال وجدت انه لم يصب الغرض الذي أرمي اليه من حيث كون القرآن أو العقل والعلم يجوز امكان عدم وقوع حادث وقع فعـلا أم لا . . . اما أنا فقلت بالجواز وأقول به أيضا . . . . أما المنار فأجاب عن وقوع الفعل من حيث كونه وقع فعلا فقط ولم يزد ... فترى في أول صحيفة (١٩٢ ج ٣ م ١٢) « أما قولكم في مسألة اصابة « ولي عهد ألمانيا » بذلك المرض لم تكن محتمة له من الازل الخ قول ظاهر البطلان . . لان قضية مرضه جهتها الاطلاق لوقوعها بالفعل والامكان لا يناقض الاطلاق و بعبارة عاميـة : انه كان لا بد من مرضه بدليل وقوعه وليكن ذلك لجهله بأسباب المرض . . . هـذا ما قاله المنار والحقيقة اني لم أقصـد المسئلة بذاتها من حيث كونها مطلقة و وقعت فعلا بل من حيث حكم العقل والقرآن والسنن الطبيعية في كل ما يحدث وذلك مثلا يقال : فلان سرق قرطا من الذهب وجازته الحكومة لجنايته . . . هل كان يمكنه ان لا يسرق قبل (؟) ان تقع منه السرقة فعلا ... أما جوابي وجواب العـلم والقرآن فنعم كان يمكنه ان لا يسرق وكان في الامكان تبعا لذلك عدم مجازاته . . . أما جواب المنار السالف في مسئلة ولي العهد أشبه (؟) بقوله . . نعم ما دامت وقعت السرقة فهو لا بد ان يسرق ولا بد ان يقع الجزاء ... وهذا لا يعد جوابا عن المقصود . . . مع ان ما جاوب به المنار لم ننكره بل أيدناه في نفس السؤال لانه مفهوم و بديهي لا يحتاج لأن يقول عنه المنار . . ظاهر البطلان إذ قلنا كما قال المنار في (صحيفة ١٩٠ سطر ١٩) ولكن مسئلة اصابة ولي العهد بالمرض تخصصت له من الله تعـالى بسبب جهله لتلك الاسباب ليس الا . . وهي نفس الجملة التي قالها المنار وهي : انه كان لا بد من مرضه بدليل وقوعه وليكن ذلك لجهله بأسباب المرض . وعليه كان انتقاد المنار لغوا وكان جوابه فقط دالا على لزوم التمسك بالعقدة بالقسمة ؛ وتخلصا مما عداها

(٨ ــ سبب التمهيد للاصلاح الاسلامي) ــ يا صاحب المنار ان كنت تريد اصلاحا فلا يجب ان يكون تقليديا فان تغلب الفكر الحالي في لزوم الأخذ بالاسباب والعمل بمقتضى السنن الطبيعية و انطباق ذلك بحسب اجتهادكم على القرآن لم يكثر ولم ينتشر الا بسبب قبوله عند بعض المسلمين مما رأوه و رأيتموه من تقدم الامم

بالعقيدة من السهل عليه تجويز هذا الوهم) ولقد تتابع التقاعد وعدم الاهتمام للحياة بين الامم الاسلامية حتي لو سألت بعض المتفقهين الذين تغلب أفكارهم بين اكثر الناس عن افكار مثل صاحب المنار النيرة عن سبب تقدم الامم الغير اسلامية الحالي والماضي . اجابوك هؤلاء لهم الدنيا ولهوها وزينتها والعبرة بالاواخر والحياة الابدية ولقالوا لك في آن واحدا اذا كانت توجد آيات قرآنية تدل على لزوم الاخذ بالاسباب والتأمل للنتائج الطبيعية العالمية والسنن الآلهية فان كثيرا من الآيات ما يدل على التقشف وترك الدنيا(؟) وان كان صاحب المنار له في ذلك تأويلا (؟) لا يهمهم سماعه لوجود عقيدة التقسيم المذكورة أوما يسمونه (بالقسمة)

ومن جهة أخرى إذا تأملنا لعلل تأخر المسلمين الدنيوي وانحطاطهم نجد ان الاسباب التي ارتكنوا عليها في طبيعتها فاسدة ولذا كان الانحطاط ملازما لهـا . . ولكن العقل المؤسس على العقيدة والمؤيد حتما لضرورة (وجود الاسباب الدنيوية للعلة الاخروية) يحتم بوقوع «؟» تلك الاسباب قبل وجودها لوجوب نتائجها ولزوم وقوعها أيضا . . فكان كلامي (في صحيفة ١٩١ ج ٣ م ١٢) عن العـقل المؤسس على العقيدة ما يأتي : « وما دامت الأسباب التي هي حجة للنتائج «؟» مقدرة حتمية فالنتائج (أي الدنيوية خلاف الاخروية أيضا) بالطبع تابعة لهذا الالزام «؟» .. وعليه فالتقاضي والحساب في الآخرة ليس الا لتتميم رواية كلامية . . . واذا كان هذا مبدأ المنار فلا يلوم الأمم الاسلامية الماضية وما كانت فيه من الاضمحلال ولا داعي لاستخراج «؟» نتائج فلسفية أوعمرانية للزوم الأخذ بأسباب الترقي والهرب من القديم — ولا عيب على حكومات الاستبداد . . ولا مانع من البقاء في الجهل الخ إذ ان الداعين للزوم تغيير المناهج لتتغير معها النتائج ليسوا الا معترفين بلزوم التسلط وتحوير القدر الإلهي(؟) القابض على الاسباب (حسب وهمهم) بيد من حديد « وهناك إذا اعترفوا بذلك كانت العقيـدة في التقسيم المذكور فاسـدة ولا أصل لها » ويكون الحكم العقلي على كل ما يحـدث جائزا فقط بحيث يمكن وقوع غيره بأسباب أخرى ولا يكون حتما مع الاسباب المذكورة التي وقع بها (؟)

(٧ — انتقاد المنار لكلامي) — لما أراد المنار ان ينتقد بعض كلامي المدرج

بارتياح لمقاومة كل مايهدم شيئا من السنن الالهية الطبيعية في العالم الموافقة للعقل والشعور الانساني وكان الاصل الاول الذي اتخذه لسعادته المحسوسة هو: «الحرية»

(١٠ـ الخوف من التقليد مع وجود الداء) ماذكرناه الآن هو الداعي لان تقول للمنار في صحيفة (١٩٠ ج٣م١٢) (اذا كان المنار وابن تيمية والمسلمون جميعا) يعتقدون ان العباد مقسومة هذا للشقاء وذاك للسعادة وان هذا الاعتقاد مستول على العقول فهمة المسلمين التي تتوجه للاصلاح والتقدم « الدنيوي » ليست الا ضربا من التقليد والتشبه للأمم الحية التي لا تعرف شيئا من هذه العقيدة المقيدة للهمم والعقول «من حيث كونها ليست أصلا لسعادتهم وشقائهم لا من حيث جهلهم لها بالمرة» فتزول منهم « أي همة المسلمين » اذا زالت عنهم الاسباب الاضطرارية «مثل السيادة » الداعية لهذا التشبه لان الدين. «عند المسلمين وخصوصا الاعتقاد بالتقسيم »راسخ في الاذهان « كما هو ظاهر» من مبدإ وقتي أثره تقليدي ٠اللهم الا اذا ضرب صفحا عن هذه العقيدة من الدين ثم تشبعت النفوس تدريجيا بالمباني الطبيعية « والسنن الالهية المعقولة » التي تسير مع تقدم الامم الح فهناك يكون الاصلاح من نفسه طبيعيا لا تهدده ولا تقاومه عقيدة

(١١ ــ الاصلاح الطبيعي) غرضنا مما تقدم لزوم «؟» انكار هذا التقسيم الملازم لهذا الاعتقاد لان العقل والعلم لا يقبله ثم ثبوت «؟» ان الذي يسير على السنن الالهية فانه كما يكون بها في الدنيا سعيدا فهو في الآخرة أيضا والعكس «؟» وان نوم المسلمين مع اعتقادهم ٠ا هو مكتوب لهم بالذات ومخصصا «؟» لهم أصله باطل محض ـ مع تأييد امكان تنوع الحوادث وانها أصلا «؟» لما هو مكتوب عند الله عامة على «؟» جميع الناس سواء وليس ما هو مكتوب لكل شخص ومخصص له بالذات عند الله أصلا لما ينتابه من الحوادث المذكورة ـ لان النتيجة (الذي هو التقسيم المذكور بالعقيدة) اذا كانت لازمة من الأزل كانت أصلا للسبب «؟» ـ والسبب عندها يتحتم ويكون واجبا وقوعه عقلا ويكون مدلوله في العقل بشكل اجباري «؟» وان كانت البداهة تؤيد عدمه أومهما تنوع فهم الاجبار المذكور بشيء من دلائل الاختيار وتعريف معناه وصفته «؟» كما عرف بذلك المنار في آخر صحيفة (١٩٩ ج ٣ م١٢) فكما

الغربية التي اتبعت هذه السنن وصارت أحوالها أشرف وأحسن بالاجمال من حال المسلمين اليوم – وان الأخيرين «؟» من زمن بعيد آخذون في التدلي حتى صاروا الآن وراء جميع الامم تقريبا – وان المجهودات الكبيرة التي يؤديها أمثالكم كالشعرة البيضاء في الجسم الاسود بالنسبة لتعداد الأمة الاسلامية في العالم (وحاشا ان يكون ذلك داعيا لتثبيط همتكم فان الحق لا بد ان يسود مع طول الزمن) وان تلك المجهودات تصير كالهباء مع تأصل عقيدة التقسيم وان الفضل الذي يرجع اليه تيقظ المسلمين الحالي راجع الى الضغط الذي يلاقونه من غيرهم لسيادتهم عليهم اسما أو فعلا لا الى الاصلاح الديني من حيث هو فانه لا يعتبر أصلا بل يساعد على انتشاره لغرض الخلاص من سوء الحال اوقوف العقيدة امام العقول بالمرصاد «؟؟»

(٩ – الفرق بين المسلم وغيره) اذا كنتم تقولون ان علماء اللاهوت بحثوا كثيرا في هذا الموضوع وانهم كالمسلمين الآن في بحر عميق وان ذلك من توابع البحث في العلم والارادة وان الغربيين المسيحيين والمسلمين مشتركين «؟» في هذا الاعتقاد. قلت لكم. ان الغربيين لم يتقدموا الا من بعد ان فكوا من أعناقهم وداسوا بأرجلهم على كل عقيدة تقيد عقولهم ونظامهم الفطري الطبيعي. فهم لذلك من حيث عقيدة التقسيم السالفة التي يتبعها المسلمون بوجودها «؟» بالفرض بينهم فهي «؟» ليست أصلا لاعمالهم وابحاثهم ولا هي مرجعا «؟» لمركز الاعتقاد في سعادتهم وشقائهم في الدنيا والآخرة كما هو ظاهر في جمهورهم بخلاف المسلمين فانها ان كانت دافعة لتقدمهم سنة واحدة فانها اخرتهم وتؤخرهم سنين لماذا ؟ لان المسلمين جعلوا الاعتقاد بالقسمة أصلا لتقدمهم وتأخرهم وهم هم أنفسهم لاينكرون وجود السنن الالهية التي يجب السير عليها والتي لم يجعل الله تعالى نظام العالم بغيرها ولكنها فرعا ثانويا «؟» ممن تركه كما حصل منهم من مئات من السنين الى الآن وهم معذورون اتسلطها على قلوبهم وكان صوت المصلحين بينهم كالنافخ «؟» في الرماد

ولكن الغربي بالعكس صار ينظر بالتجارب العلمية والعقلية و بمقاومته «؟» أكثر المعتقدات الدينية الباطلة حتى وصل الى ان عمله في هذه الحياة هو أصل سعادته وشقائه هنا وهناك وكل ماعدا ذلك من المباحث القديمة ثانويا «؟» وصار يقدم نفسه وماله فداء

﴿ جواب المنار ﴾

سبق لنا تقريظ كتاب للمنتقد (احمد افندي بدوي) اشرنا فيه الى رأينا في المؤلف نفسه وهو انه مستعد للمباحث الفلسفية الدينية ولكنه لعدم تمكنه من درس الدين والتوسع في اللغة العربية التي يتوقف فهمه على اتقانها يقول فيها ما لا يكاد يفهم . وكان لنا ان لا ننشر انتقاده هذا لأنه ليس على شرطنا اذ هو مبني على مافهمه من قصيدة لابن تيمية وعلى حكمه بأننا موافقون لابن تيمية فيه او في كل شيء — وكأنه أخذ ذلك من ثنائنا عليه — ولكننا نشرناه عناية به وحفزاً لهمته الى التدقيق في المباحث التي يدفعه اليها استعداده وقد صححنا بعض أغلاطه اللفظية البديهية وتركنا الباقي على حاله الا أننا وضعنا في جانب بعض الكلمات او الجمل علامة (؟) اشارة الى بعض تلك الأغلاط اللفظية والمعنوية وقد تكون العلامة لعدة اغلاط في الجملة كما لا يخفى على العارفين

ان كان يريد الانتقاد على في شيء رآه خطأ فكان عليه ان يقول إن ماذكره المنار في صفحة كذا غير صحيح بدليل كذا والحق في المسألة هو كذا مع إقامة الدليل عليه . وان كان يريد تقرير حقيقة جهلها المسلمون واخطأ فيها مثل ابن تيمية وعجز عن بيان الصواب فيها مثل الغزالي والشيخ محمد عبده واهتدى هو الى معرفتها وأوتي القدرة على بيانها فكان الواجب عليه ان يعجل بهذا البيان حرصا على هداية هذه الامة وكراهة لاستمرار ضلالها في أهم قواعد دينها ومدار سعادتها وشقائها ثم له بعد ذلك ان يبين وجوه خطأ اشهر شيوخ الاسلام فيها إن كان لا يرى أن ظهور الحق كاف لدحض الباطل . هذا هو المعقول وأما مسلكه فلم له نعقل وجها صحيحا

قرأنا مقاله المسلط ففهمنا بعضه من العبارة وبعضه من القرائن ومنه جمل لم نفهمها بالمرة لان تركيبها غير صحيح. وقد علمنا منه أنه لم يفهم ما كتبناه كله وانه يبني الإيرادات والاعتراضات على شيء في مخه يعزوه تارة الى الدين وتارة الى بعض من كتبوا فيه حتى انه ينسب الى المنار مايدعو المنار الى ضده حتى في الجواب عن اعتراضه الاول على عبارة

ذلك لا يفيد ولا يؤثر - بل يكون من قبل مقاومة القوة بالقوة فكل منهما يلاشى الآخر وان كان لكل منهما تأثيرا «؟» في نفسه ويجب أيضا ان يكون كل حادث ممكنا فقط قبل وقوعه «؟» مع ثبوت احتمال وقوع غيره ان وقع فيتبدل التقسيم المذكور تبعا لاتباع السنن المختلفة بالحرية لا تبعا لكون التقسيم هو الذي يوجب اتباع احدى السنن المعينة التي تلازمه وتلتصق به إلصاقا و بذلك تنقلب العقيدة الى أصلها الحق الطبيعي «؟» .

(١٢ - حل المسئلة) اذا كان المنار يتفضل بحل المسئلة على الوجه الذي ذكرنا أفاد الأمة كثيرا في أكبر دآءاتها (كذا) وما كان في نصائحه الفلسفية العمرانية التي يذكرها تباعا كمن يشد الحبل من طرف فتشده الأمة بقوة العقيدة المذكورة من الطرف الآخر - فهو لم يزل واقفا مع صرف كثير من المجهودات . بل ربما تدلت الامة لا سمح الله بالرغم عنه الى الوراء زيادة وكثير من المسلمين بل أغلبهم ما زال في الطرف المضاد الى الآن

اما اذا كان لا بد للمنار من ان يصرح بلزوم عقيدة التقسيم المذكورة ويوافق ابن تيمية على مقاله فانا نقول له ان العقيدة المذكورة بمثل هذا التقسيم غير موجودة في القرآن بالمرة ولا يؤيدها شيء مطلقا لا العقل ولا العلم ولا الحقيقة بل انها باطلة — واذا سمح لي المنار انا العاجز بمحل على صفحاته الغراء فاني اعرض عليه ما يمكنه به حل هذه العقدة وخصوصا فيما يتعلق بالارادة والعلم وله انتقاده ما شاء فاذا حصحص الحق طلبنا منه معاونتنا على تأييده والذود عنه كما هو مبدؤه لاني لا اريد الا الاصلاح كالمنار ما استطعت وما توفيقي الا بالله العزيز الحكيم . ثم لي كلمة انتقاد على بعض ما اورده المنار في جوابه على سؤالي في صحيفة ١٨٩ ج ٣ م ١٢ اجلتها لوقت آخر حتى أرى ماسيكون عما كتبناه الآن في المنار والسلام

سواكن في ٤ يونيه سنة ١٩٠٩ كاتبه

احمد بدوي النقاش

ضابط بالجيش المصري بالسكة الحديد السودانية

وان المسلم الموفق مختار في اتباعه لنبيه والكافر المخذول مختار في عصيان نبيه وان علم الله الأزلي لا ينافي هذا الاختيار لأنه سبق في علمه انه يكون كذلك وأنه مختار فيه كما بيناه في المسألة التاسعة من الفتوى الثانية عشرة وهي الجواب عن سؤال المنتقد (ص ١٩٩ ج ٣)

«٤» الكلام بحسب الواقع لا يدخل فيه المستقبل فلا يقول أحد من المسلمين العارفين بدينهم ان الغاية النهائية له أو از يد من الناس هي كذا وانها لا تتغير ولا تتبدل بل نقول ان الغاية مجهولة لنا وانها تكون على حسب أعمالنا الاختيارية « ان خيرا فخير وإن شرا فشر » ولكنها معلومة لله تعالى فهو وحده يعلم تلك الغاية علما لا تغيير فيه ولا تبديل ، وجهل أكثر المسلمين بدينهم ليس من المشكلات التي لا تعلم ولا يعلم علاجها فعلاج الجهل هو العلم الصحيح ومنه فهم الدين على وجهه وهو ما ندعو اليه كما كان يدعو اليه الأستاذ الامام رحمه الله تعالى وليس كلامنا فيه كالنقش على الماء كما زعم بل هو كالنقش في الحجر انتفع به ألوف من الناس وانبث في المدارس الدينية والرسمية وسيعم بالتدريج بحسب سنة الله تعالى في الأمور الاجتماعية ،

«٥» ان المثال الذي ذكره في هذه المسألة قد فهمناه بالقرينة لضعف عبارته وهو غير مطابق لاعتقاد المسلمين فهو لم يعرف اعتقاد المسلمين حق المعرفة ولم يحسن بيان ماعرفه منه فان الدين الاسلامي لم يخاطب طائفة من الناس معينين بانهم سيكونون في الجنة وطائفة أخرى بأنهم سيكونون في النار وانما ناط دخول الجنة بأمور سمى مجموعها الاسلام وناط دخول النار بأمور يعبر عنها غالبا بالشرك و بالكفر و بالظلم و بالفسق، ولما تفاخر بعض الصحابة مع بعض أهل الكتاب في ذلك أنزل الله تعالى (٤ : ١٢٣ ليس بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يُجزَ به ولا يجدْ له من دون الله وليا ولا نصيرا ١٢٤ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) فناط أمر الغاية النهائية بالعمل لا بالانتساب الى دين كذا ونبي كذا ثم بين أن الاسلام هو روح الدين وصفوته فقال (١٢٥ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم

التفسير فهذا وما ذكرنا من ضعفه في اللغة هما سببان فيما ذكره من عدم فهمنا لغرضه من انتقاده الأول وكذا الثاني، وهما السببان في عدم فهمه هو لكلامنا السابق كله ولا ندري ماذا يكون نصيب كلامنا اللاحق من فهمه . ولو لا الضرورة لما صرحنا بهذا ولكن اردنا ان يعرفه ويفكر فيه لما سنذكره في آخر الرد

قد أحسن الكاتب في تقسيم كلامه الى مسائل معدودة بالارقام كما فعلنا في جوابه الذي نشرناه في الجزء الثالث وانا نبين ما لا نرى بدا من بيانه في كل مسألة من كلامه مشيرين اليها بالارقام ثم نقول كلمة مجملة في الموضوع

(١) قال ان جمهور المسلمين ومنهم ابن تيمية الذي تنطبق آراؤنا على آرائه يقولون ان الله تعالى قد قسم الخلق قبل إيجادهم قسمين « فريق في الجنة وفريق في السعير » وقال انه يعتقد فساد هذا التقسيم أي بطلانه وعدم صحته ثم انه يدعي مع ذلك انه يستمد علمه من القرآن والعلم الصحيح!! ونقول إن القرآن هو الذي نص على هذا التقسيم في سورة الشورى قال تعالى «٤٢ : ٧ وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ٨ ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير » اما قولهم ان هذا التقسيم أزلي فمعناه انه ثابت في علم الله الأزلي لا معني له عندهم غير هذا فان كان ينكر التقسيم نفسه فذلك انكار للقرآن نفسه لا يصدر من مؤمن به وان كان ينكر أزلية علم الله تعالى به وبغيره فحكمه عند المسلمين معروف أيضا .
وأما قوله ان صاحب المنار وابن تيمية لا يفهمان علة هذا التقسيم فلا نجيبه عنه لأننا لانحب أن نضيع وقتنا ووقت الناس في الجدل والدفاع الشخصي فليحكم على فهمنا وفهم ابن تيمية بما يشاء علم ذلك ام لم يعلمه

«٢» ليس في هذه المسألة الا تأكيد ما جاء في الأولى من جزمه بفساد عقيدة التقسيم وكونها من العقائد الضارة أي بحسب فهمه لتأثيرها في المسلمين

«٣» اعتقاد المسلم ان دينه أفضل الأديان وان له الجنة ولغيره النار الخ فيه تفصيل بيناه في التفسير مرارا لجهل عامة المغرورين له وهو ان الاسلام دين جميع الأنبياء والمرسلين وأساسه اتباع المرسلين في الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح

نظرنا في ذلك باعتبار ان العمل وقع من الرجل علمنا ان وقوع السرقة منه حتم لم يكن منه بد لا باعتبار الامكان الخاص بطبيعته كما تقدم بل باعتبار الواقع ونفس الامر، وكذلك باعتبار علم الله تعالى فانه متى وقع الشيء علمنا ان علم الله تعالى كان متعلقا بوقوعه لأن علمه تعالى يكون دائما مطابقا للواقع وإلا كان جهلا وذلك محال. فاذا لم يفهم المنتقد ما نفهمه ويفهمه جميع العقلاء من كون الواقع قد انتهى الحكم فيه وانه لا يقال فيه نفسه كان يمكن أن لا يقع لأن هذا تناقض وإنما يقال ذلك باعتبار طبيعية الامكان وصرف النظر عن كون الامر قد وقع بالفعل - اذا لم يفهم هذه الدقيقة في الفرق بين الاعتبارين تنازلنا له عنها فانها مسألة عقلية محضة لا يترتب على الخلاف فيها أمر كبير

«٨» لقد تبسمنا عند قراءة قول المنتقد « يا صاحب المنار ان كنت تريد إصلاحا فلا يجب ان يكون تقليديا » فيالله العجب من شأن الانسان أينهى صاحب المنار عن التقليد بعد ان حار به وحارب أهله اثني عشرة سنة ! ! ومن الذي نهاه ؟ رجل يقرأ المنار ! ! أما قوله ان الأخذ بالاسباب والعمل بمقتضى السنن الطبيعية وانطباق ذلك بحسب اجتهادنا على القرآن لم يكثر ولم ينتشر عند بعض المسلمين الا بسبب ما رأوه من تقدم الأمم الغربية باتباع هذه السنن وسبب ضغط أوربا على الكثير منهم — فهو صحيح في الجملة ولا يضرنا ان تعدّنا حوادث الزمان للعمل بما يرشدنا اليه القرآن وأن نفهم منه ما لم نكن نفهمه نحن ولا آباؤنا الأولون فان كلام الله تعالى بحر لا تنفد حكمه بل هي تفيض في كل عصر على المستعدين بما يناسبه (٤١: ٥٢ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) على اننا لا نسلم ان المنتفعين بذلك والمقتنعين به هم الواقفون على أحوال الغربيين دون غيرهم فالحق ان الامر ليس محصورا فيهم، ولا أنهم مقلدون فيه بل هم مستقلون ونوضح ذلك في الكلام عن المسألة التاسعة. واما قوله ان « المجهودات » الكثيرة التي يؤديها أمثالنا هي كالشعرة البيضاء في الجسم الاسود فهو غير صحيح وليس لمثله ان يحكم في ذلك وهو لم يختبر شعوب المسلمين ولا ساح في بلادهم وليس له وسائط أخرى كافية لمعرفة سير الاصلاح فيهم فالحق ان الاصلاح أوسع

حنيفا) الآية ، أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال : التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى فقال اليهود للمسلمين نحن خير منكم ديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ولن يدخل الجنة الا من كان هودا . وقالت النصارى مثل ذلك ، فقال المسلمون كتابنا بعد كتابكم ونبينا بعد نبيكم وديننا بعد دينكم وقد أمرتم ان تتبعونا وتتركوا أمركم فنحن خير منكم نحن على دين ابراهيم واسماعيل وإسحق ولن يدخل الجنة الا من كان على ديننا . فأنزل الله تعالى « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب » الآيات

فالأمر في الاسلام منوط بالعمل مع الايمان لا بجنسية الاسلام وغير الاسلام فما بال المنتقد ينتزع المشكلات من جهالات العامة و يحمل عليها بعض عبارات العلماء وغير العلماء من غير تمحيص و يوردها على الدين او على العلماء المخطئين او المصيبين ؟ ألا إن الداء هو جهل جماهير المسلمين بحقيقة دينهم والدواء هو التعليم الصحيح والتربية الصحيحة وهو الذي ندعو اليه

«٦» ما ذكره في المسألة السادسة غير جلي ولا مفهوم بالتفصيل من العبارة المسلطة . وما تفلسف فيه من الاسباب والنتائج لا يكاد يخطر في بال احد من المسلمين الا ان يكون بعض المولعين بالأبحاث النظرية الفاسفية في هذه المسائل وقليل ماهم ولا يحكم على الملايين بحال أفراد لا يوجد منهم واحد في كل مليون فهذه المسألة عندي من اللغو

(٧) ما قاله في جواب المنار عن مسألة الحكم على الشيء قبل وقوعه و بعد وقوعه وحادثة مرض ولي عهد المانيا عبارته مسلطة أيضا والظاهر منها انه لم يفهم ما قلناه فيها . وقد مثل لها مثلا رجلا سرق قرطا وجازته الحكومة هل كان يمكنه قبل ان تقع السرقة منه ان لا يسرق ام لا ؟ زعم ان مقتضى كلام المنار انه لم يكن يمكنه ان لا يسرق وان جوابه هو وجواب العلم والقرآن انه كان يمكنه ان لا يسرق . والحق في مثل هذه المسألة اننا اذا نظرنا الى طبيعة الرجل الذي سرق وطبيعة العمل الذي هو السرقة في المثال نرى ان العمل في ذاته من الممكنات وان الرجل كان متمكنا من فعله وتركه وان الترك هو الاصل فلا يقال انه لم يكن في إمكانه ان يترك واذا

عند المسلمين القائلين بعقيدة التقسيم على ان النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة انما ينالان بالعمل بمقتضي سنن الله تعالى في خليقته وشريعته وعملوا بذلك لايكونون مقلدين للافرنج بل مستقلين وان كان من جملة دلائلهم التجربة ان الافرنج نجحوا بذلك

«١١» عبارة هذه المسألة أشد عسلطة من سائر المسائل ليس فيما يفهم منها شيء جديد الا تفلسف وتفصيل قصد به ايضاح مراده فزاده خفاء ولو أننا حذفنا أمثال هذا لظن القارئون انه فاتهم شيء كثير

«١٢» هي المقصد وذلك انه بعد تكرار ما تقدم في المسائل السابقة مرارا طالب المنار بأحد أمرين إما ان يحل المسألة على الوجه الذي ذكره هو وإما أن يصرح بموافقة ابن تيمية على اعتقاده في مسألة التقسيم وحينئذ يقول هو لنا ان هذه العقيدة بمثل هذا التقسيم غيرموجودة في القرآن بالمرة ولا يؤيدها العقل ولا العلم ولا الحقيقة وهو مستعد لبيان ذلك في المنار ان سمحت له

وأقول قد بينت هنا في كلامي على المسألة الأولى ان لهذه العقيدة أصلا في القرآن وذكرت آية سورة الشورى الناطقة بها وسأذكر آيات أخرى ، ولست قادرا على تصور فهمه للمسألة ولا فهم وجه الاشكال الذي كانت به أقتل أدواء المسلمين عنده فأحل له ما أحكم من العقد في خياله كما انني لست مكلفا تفصيل قول ابن تيمية فيها ولاسبق لي ان ذكرته وايدته وإنما ألصقه بي تمهيداً لما يريد التفرد به من بيان فساد اعتقادي واعتقاده الذي هو اعتقاد جماهير المسلمين، ولا أنشراه بعد الآن في المنار شيئا مثل هذا الكلام الذي نشرته له لانه كلام معسلط مضطرب ربما يحدث للضعفاء اضطرابا في اعتقادهم وان لم يفهموه كله وانما ننشر في المنار أحدُ شيئين : إما بيان مسألة مما يحتاج اليه الناس ويستفيدون منه بشرط ان تكون عبارتها صحيحة نفهمها ويفهمها مثلنا العارفون بلغتنا العربية الفصيحة واما انتقاد لمسألة معينة أوردناها في المنار بشرط أن تذكر المسألة وموضعها ووجه الخطإ فيها والدليل عليه بعبارة فصيحة تفهم وما كتبه اخونا المنتقد أولا وثانيا ليس من هذا ولا ذاك وإنما نشرناه عناية به وتنشيطا له ولكونه يمكن أن يكون وسيلة لمعرفته قيمة رأيه وبيانه له

انه انتقد علينا اولا في مسألة لم يقرأ كلامنا فيها كله والغالب انه لم يفهم كل

انتشارا مما يظن فان كان لا يزال قليلا بالنسبة الى مجموع المسلمين فنموه في كل مكان يبشر بمستقبل حسن « وصاحب الدار أدرى » فزعمه ان تلك المساعي او المجهودات تصير كالهباء مع عقيدة التقسيم زعم باطل غير مبني على علم ولا تجربة بل التجربة قد أبطلته ،

«٩» ان ما ذكره من فك الغربيين للقيود التي تقيد عقولهم قد سبقه اليه المنار فصرح به مرات كثيرة حتى بالتعبير بلفظ كسر القيود ومن أصرحها ما كتبناه عن المؤتمر الاسلامي (ص ٦٧٩ م ١٠) فلا حاجة بنا الاعادة قراء المنار دروسه علينا، وما ذكره عودا على بدء من التهويل في مسألة ما سماه عقيدة التقسيم قد سبق آنفا انه مخطئ فيه لأنه في مخيلته أكبر مما هو في الواقع ونفس الأمر فما هذا الإلحاح والتكرار اللهم صبرا ؛ نعيد له القول — في مقابلة إعادته — إن ما تجعله هو الاصل في سعادة الغربيين من جعل العمل في هذه الحياة هو الموصل الى السعادة أو الى الشقاء في الدنيا والآخرة هو عين ما جاء به الاسلام والاسلام أستاذهم الأول فيه وعقيدة التقسيم التي تمثلت لك كالغول يغتال المسلمين لا تعارض هذا فان القرآن صرح بهما جميعا ولكن تسرّب الى دهماء المسلمين من نزغات الجبرية وكسالى المتصوفة ما كان مع الجهل بحقيقة دينهم سببا من أسباب كسلهم الذي نشكو منه وشرحناه في المنار مرارا والتربية والتعليم الصحيحان يكفلان إزالة ذلك بالتدريج — ومنه النشر في الصحف الدورية — وان يزول بغير ذلك

«١٠» ليس في هذه المسألة الا إعادة ما كرره غير مرة من استحالة الجمع بين عقيدة التقسيم و بين العمل بالمبادئ الطبيعية والسنن الإلهية ؛ وزعمه ان كل ما يعمله المسلمون من الاعمال الاستقلالية بدعوة المصلحين يكون مع هذه العقيدة تقليدا للغربيين وانما يخرجون به من ربقة التقليد اذا محيت عقيدة التقسيم من ألواح نفوسهم مع ان التقليد في هذه الحالة يكون أظهر لأنه محاكاة للمقلد من كل وجه ، ورأيه هذا يشعر بأنه لا يفهم معنى التقليد أو يفهمه فهما خاصا به غير ما عليه جميع العلماء ؛ التقليد هو ان تأخذ برأي غيرك وتحاكيه من غير دليل قام عندك على ما تأخذه عنه أو تحاكيه فيه هو الصواب ؛ فاذا قام الدليل الشرعي والعقلي والتجربي

علم الله تعالى فهو قديم بقدمه أزليّ بأزليته فالقسمة فيه قديمة أزلية أيضا .

واما الفعل فلا تتحقق قسمة الجنة والنار بحسبه الا في الآخرة فهنالك تكون القسمة فعلية ومثلها السعادة أو الشقاوة في الدنيا تتحقق لكل فرد في مدة وجوده في الدنيا لا في الأزل.

وأما العلة والحكمة فطريق معرفتهما هي معرفة الشرع ومعرفة طبيعة الانسان نفسه في اعماله وصفاته وقد بينا ذلك مرارا كثيرة منها ما كتبناه بالايجاز في جواب المنتقد (ص١٩٩ ج٣) ونقول الآن كلمة وجيزة ايضا وهي ان الله خلق الانسان وأعطاه نوعا من الاستقلال في أعماله الاختيارية على حسب علمه ووجدانه وما تكونه التربية والعادة من الصفات في نفسه و بذلك يكون مصدرا لسعادتها او لشقائها بعمله فكل فرد من افراده يعمل بنوع ما من الاستقلال والاختيار فيه ما يجعله في القسمة مع احد الفريقين وليس علم الله الازليّ بالقسمة ملزما له بالعمل لأن تعلق العلم تعلق انكشاف لا تعلق فصل والزام على أنه يتعلق بالشيء و بعلته .

واما القسمة بالفعل - وهي كون الناس سعداء وأشقياء في الواقع - فالبضرورة لا تكون ملزمة ولا مجبرة له على العمل الذي يكون به من أحد الفريقين ولا سالبة لحريته واستقلاله فيه لانها أي القسمة بالفعل هي المعلول للعلة التي تتكلم عنها وهل يكون الشيء علة لنفسه ومعلولا لها؟ هذا دور ظاهر. وقد بينا الدلائل النقلية والعقلية والوجودية على استقلال الانسان في الفكر والإرادة - وهما مصدر اعماله التي يكون بها في القيامة من أحد الفريقين - في عشرات أومئات من المواضع و بينها الاستاذ الامام في رسالة التوحيد (ص١٢٥ من طبعة المنار)

(٣) ان الألوف الكثيرة من المسلمين لا يفكرون في هذه القسمة وقد تمر السنين ولا تخطر في بال الواحد منهم ومنهم من يقرأ أو يسمع ما يخطرها في باله فتمر فيه مر النسيم فلا يجيل فيها قداح الفكر ومنهم عدد قليل يفكر فيها ويتفلسف بقدر استعداده . وما زعمه المنتقدمن كونها هي علة العلل لكسل المسلمين وتقصيرهم في أعمال الدنيا عن غيرهم من الامم فغير صحيح بل لذلك اسباب كثيرة كل منها علة مستقلة منها امشاج من مسائل القضاء والقدر والجبر والتوكل والزهد وقسمة الارزاق فهموها على غير وجهها وقد بينا ما فيها من الفساد والخطإ في التفسير والفتاوى

ماقرأه منه، ثم انه جعل الانتقاد موجها الى كلام لشيخ الاسلام ابن تيمية قرأه في قصيدة له يغلب على ظني انه لم يفهمها وانه لم يطلع على تفصيل مذهب شيخ الاسلام في المسألة فهو وتلميذه ابن القيم قد اطالا في هذه المسائل وللثاني منهما كتاب كبير فيها اسم « شفاء الغليل في القضاء والقدر والتعليل » على انه لم يبين ما فهمه من مذهب ابن تيمية ولا وجه خطإه الذي ادعاه ولا ما عنده من التحقيق في المسألة فهل يرضى احد من قراء المنار ان ننشر فيه مثل هذا الكلام

إنني اكتب هذا وانا متألم لاضطراري الى مفاجأة رجل محب للعلم والفلسفة والاصلاح ببيان ما أرى من ضعفه بعد ان علمت انه لم يكتف بالاشارة اللطيفة الى ذلك من قبل وما سبب ذلك الا إعجابه بما عنده فعسى ان يعتني بعد الآن باتقان اللغة العربية ليقدر على الفهم والافهام فربما كان في فلسفته شيء نافع تستفيد الأمة من بيانه لها

* * *

فصل الخطاب في عقيدة القسمة

(١) صفوة القول في المسألة ان القرآن الحكيم بين ان الناس ينقسمون في الآخرة الى قسمين شقي وسعيد كما في سورة هود (١١ : ١٠٥) وانهم فيها فريقان « فريق في الجنة وفريق في السعير » كما في سورة الشورى (٤٢ : ٧) وانه بدأهم على هذا ويعيدهم عليه كما قال في سورة الأعراف (٧ : ٢٩ كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) فهذه القسمة ثابتة في القرآن خلافا لما زعمه المنتقد من براءة القرآن منها وكونها مخالفة له . وكل من يؤمن بالآخرة يؤمن بذلك ولا ينافيه عقل ولا علم بعد اثبات حقية الآخرة بل هو معقول واسبابه مشاهدة في الدنيا . بل نقول انه كما قسمهم الى شقي وسعيد في الدنيا والآخرة قسم بينهم الرزق والجاه فجعل بعضهم فقيرا و بعضهم غنيا و بعضهم رفيعا و بعضهم وضيعا كما قال (٤٣ : ٣٢ أهم يقسمون رحمة ربك؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) الآية ولكن قسمته تعالى لاتنافي ماوهبه للانسان من الاختيار والاستقلال فان هذا داخل فيها

(٢) ينظر في هذه القسمة من ثلاث جهات العلم والفعل والحكمة أو العلة . فاما

خطبة في عيد الدستور

﴿ تلاها في الاحتفال العام بطرابلس الشام ﴾

« الشيخ اسماعيل افندي الحافظ الشهير »

لم يمر على الأمة العثمانية يوم هو أوفر جمالاً ، وأكثر إقبالا ، من مثل هذا اليوم المجيد الذي أشرقت فيه كواكب سعدها ، في أفق مجدها ، باهرة الاضواء ، ساطعة اللألاء ،

في مثل هذا اليوم هبت نسمة قدسية ، من أفق العناية الالهية ، ترنحت لها أعطاف ابطال الحرية ، من جمعية الاتحاد والترقي الفادية المفدية ، فنهضوا لاسترداد المفقود ، واصلاح الموجود ، بقلوب تمثل أقصى مراتب الحمية الملية ، وعزائم تناهض الدهر حزما ، وتغالب الايام ثباتا ، فأنقذوا الأمة من براثن الظلم ، ووضعوا عنها أغلال الغلبة والقهر ، وأطلقوا العقول من قيودها ، ونشروا الافكار من لحودها :

في مثل هذا اليوم شعر العثماني انه عضو عامل في أمة حية يسعد بسعادتها ويشقى بشقائها ، فهب من سبات غفلته ، وشمر يدأب في مصلحة أمته ، فرأى ان لا سبيل الى سعادته الا بالاتحاد ، وان لا تحقق للاتحاد الا بالإخاء والمساواة ، فتآخت ملل الامة وأديانها ، وتساوت شعوبها وعناصرها ، وتضامت أجزاؤها ، وتماسكت أعضاؤها ، واقبل المسلم يعانق المسيحي ، واليهودي يصافح الارمني ، والتركي يفدي أخاه العربي بنفسه ، والكردي يدافع عن الالباني بمهجته ، والكل موقن ان لا غنى له عن الآخر في حياته الاجتماعية ، وسعادته القومية ، في شكل يسحر الالباب بهاؤه ، ويأخذ بالقلوب بهجة ورواؤه ،

في مثل هذا اليوم تفجرت ينابيع حياة الامة فسرت في أجزائها المفرقة ، ودبت في أعضائها الممزقة ، فاتحدت أفرادها ، وتوحدت أعدادها ، وصدرت عنها أعمالها بارادتها الكلية ، وحركتها الاختيارية ، فتوجهت متحدة نحو سعادتها الحقيقية ، متملصة

وغير ذلك من ابواب المنار مرارا كثيرة منها بحث التوكل والاسباب في التفسير « ص ٨٠١ — ٨٠٨ م ١١ » الذي بينا فيه خطأ الغزالي في التزهيد في الدنيا .

و بيان خطا المخطئين في فهم مسألة القسمة وحدها لا يكفي في الاصلاح بل لا بد من بيان الحق الصريح في تلك الامشاج كلها . ثم ان هذا البيان ليس هو كل المطلوب وإنما هو بعضه او مقدمة له فانه بنشره المرة بعد المرة في صحف المنار المنشرة يثبت في نفوس الكثيرين ومنهم معلمو المدارس وهؤلاء يدخلونه في تعاليمهم واني أعرف أفرادا من أساتذة المدارس في مصر كانوا يعتمدون على المنار في تحضير بعض الدروس الدينية وكذلك المصنفون وكتاب الجرائد يدخلون ذلك في مكتوباتهم ولو مع عدم التنبه لمصدرها وبمثل هذه الوسائل تعم كما عمت تلك التعاليم الباطلة من قبل

«٤» ان مسألة تعليل افعال الله تعالى نفاها الاشاعرة وقد أثبتها ابن تيمية وابن القيم بالدلائل والبينات النقلية والعقلية وأثبتا ان القضاء والقدر لا ينافيان اختيار الانسان واستقلاله الممنوحين له من خالقه ولا وجوب العمل عليه لدنياه وآخرته فتحامل المنتقد على ابن تيمية وحده لأبيات قرأها له مع عدم اطلاعه على كتبه في العقائد من جملة غرائبه

ذكر ابن تيمية في غير موضع من كتبه الكثيرة في العقائد وغيرها ان مذهب سلف الأمة ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة ومشيئة واختيارا وأن قدرته موثرة في مقدورها كما توثر القوى والطبائع والاسباب وأن ذلك كله ثابت شرعا وعقلا، وأنكر على جمهور الاشعرية مايقولونه في الكسب ونقل موافقة بعض أئمتهم على ماقال انه مذهب السلف وذكر منهم أبا اسحق الاسفرايني وإمام الحرمين . فليراجع ذلك المنتقد ان شاء في كتبه أو في شرح عقيدة السفاريني

ان المنتقد كرر الشبهة التي أوردها على الاصلاح وهي عقيدة القسمة وكرر زعمه بأن كل سعي فيه يكون باطلا مالم تثبت للمسلمين بطلان هذه العقيدة . ونحن نكرر له الجواب في خاتمة الكلام بأن العقيدة ثابتة لا يمكن إبطالها وانه لا ضرر في اعتقادها وانما الضرر في فهمها على غير وجهها كفهم القدر على غير وجهه إذ يلزم من هذا الفهم لوازم باطلة وانا مازلنا نبين حقيقة هذه المسائل و بطلان لوازمها وذلك هو كل المطلوب فيها

متطاولة وهي مملوك عليها أمرها، مستبد عليها في شؤونها، فكيف يكون حكم الامة نفسها بنفسها حقا من حقوقها الطبيعية ومميزا من مميزاتها الفطرية

وذهب أهل البصيرة منهم الى ان حكم الامة نفسها بنفسها حق طبيعي ثبت لها يوم صح ان يطلق عليها لفظ أمة فهو وصف لازم لذاتها غير منفك عن ماهيتها وان من عمد الى سلبها هذا الحق فرداً كان أو جملة فهو كمن عمد الى سلب انسان حقه في استنشاق الهواء وتناول الغذاء، أوكمن قيد إنسانا عن حركته الطبيعة التي يهمّ بها بارادته ويباشرها بقدرته

واستدلوا على ذلك بان العقول السليمة متفقة على ان كل فرد من بني الانسان هو بحسب فطرته حر مستقل في حركته وسكونه واقدامه وإحجامه وأخذه وتركه وان الشرائع السماوية والقوانين الوضعية قد حكمت بأن له حقا طبيعيا في ان يتصرف بشؤون نفسه كيفما شاءت إرادته ومال اليه اختياره وان الباحثين في تعريف ماهيات الاشياء وتحديد طبائعها قد عرفوا الانسان بأن الحيوان الناطق بطبعه المتحرك بإرادته

وان الأمة لما كانت عبارة عن جملة أفراد مجتمعة بروابط من المصالح المشتركة والصفات الشاملة فقد وجب ان يثبت لمجموعهم من الحق ما ثبت للفرد الواحد منهم

إذا كان العدوان على حرية شخص واحد يعد شذوذا عن قواعد العدل وفسوقا عن أوامر الله وخروجا عن حدود الانسانية وهو لم يتعد ان اضر فردا بعينه لا تتوقف عليه سعادة ولا يناط به شقاء فما بال العدوان على حرية أمة كبيرة قد تكون مؤلفة من ملايين من مثل ذلك الفرد لا يعد شذوذاً عن منهج العدل ؟ بل كيف يعد ذلك من نتائج الصواب، وحكمة أولي الالباب، لعمري ليس هذا المذهب الا من وساوس المستبدين الذين لا يروق لهم الا الاثرة بحقوق الضعفاء، والتلاعب بعقول الاغبياء، وان الحكم على أمة مجتمعة بأنها غير جديرة ان تحكم نفسها بنفسها لا بعد عن الصواب من الحكم على الرجل العاقل انه غير أهل للتصرف بشؤونه الخصوصية

هل يبلغ الجهل والقصور بمجموع يستقل أفراده بشؤون أنفسهم ان يعجزوا جميعا عن تدبر شؤون مجتمعهم ؟

من ظلام الباطل الى نور الحق ، ناهضة من حضيض التأخر الى يفاع الترقي ، معلنة بأطيب ألحان الحرية ، آيات العدل والانسانية ، تحت لواء الاخاء والمساواة :

في مثل هذا اليوم أعلن القانون الاساسي فقضى للأمة بنيل حريتها ووهبها نعمة الاستقلال وخول لافرادها ان يكون لهم رأي مقبول في ادارة شؤون مجموعها وهي نعمة تعد أساسا مكينا لسعادة مستقبلها، ورقي حقيقي تنهض اليه فتنال ماقدر لها من الكمال ، وما استعدت له بفطرتها من مظاهر الإقبال

نعمة دلنا الاستقراء وعلمنا التاريخ ان الامم التي تكون محرومة منها لايكون لها اجتماع حقيقي ولا سعادة صحيحة ، وان ظفرت باليسير من ذلك فما هو الا صورة خيالية تظهر بمظاهر وهمية ، لأسباب توجدها المصادفة والاتفاق ، ثم لاتلبث ان تذهب بذهاب أسبابها، شأن الحوادث الناشئة عن أسباب موقتة. نعمة قيضها الله لبعض الأمم فنالت بها من العز والمنعة والمجد والعظمة ما نشاهد آثاره ونسمع أخباره ، وحرمها بعضها فبقيت راسفة في قيود الجهل تائهة في بيداء الغباوة لا يرعى لها جانب ولا يحفظ لها حق ، فلاغرو ان تحتفل جميع الامة العثمانية بيومها السعيد احتفالا يتجلى في أبهج مظاهر الزينة وأهنا مجالي الفرح ، ولاغرو أن تشرئب العقول لتعرف معنى هذه النعمة ونسبتها الى الهيئة الاجتماعية :

اختلف فيها أنظار الباحثين، وتنوعت منازع الناظرين ، فذهب بعضهم الى ان حرية الامة أو حكم نفسها بنفسها ليس هو حقا طبيعيا لها بل هو حالة اجتماعية يقتضيها طور من أطوار الامة وينبذها طور آخر وان الامم لاتستحقها الا اذا بلغت مرتبة مخصوصة من مراتب الاجتماع وانها قبل ان تصل في اجتماعها الى هذه المرتبة فلاحق لها بنيل حريتها ولا بالمطالبة بها كما انه ليس لحكامها ان يفوضوا لها شيئا من شؤون نفسها خشية ان تتصرف تصرفا يفسد حالها و يوجب طروء الخلل في ادارتها

وزعموا ان حالة الامة اذ ذاك كحالة الصبي قبل بلوغه فانه لا يجوز في نظر العقل السليم ان يطلق له التصرف في شؤون نفسه لئلا يفسد عليه أمره ويضطرب حاله، وان ماهو للشيء بطبعه لا يتخلف عن ماهيته مع ان كثيرا من الجمعيات البشرية عاشت أزمانا

اذا تقرر هذا علم ان نيل هيئة اجتماعية لحريتها يعد مهيأ لرقيها ومقدمة لتقدمها او مرتبه اولى من مراتب كمالها فاذا توقف نيل حريتها على بلوغها مرتبة القدرة التامة على ارادة شؤونها فقد كلفناها ان تأتي النهاية في البداية ، وتصل في مبدأ سيرها الى الغاية ، وهو باطل في نظر العقل ، ومحال بحكم الواقع

(يرد هنا نبوغ الأمة الاسلامية بعد الخلفاء الراشدين الى زمن المعتصم ورقيها وفيها من المستبدين مثل يزيد وعبد الملك والمنصور والرشيد ونبوغها ايضا في دولة بني عثمان من زمن مؤسسها الى زمن السلطان سليمان القانوني والجواب عن هذه يستغرق بحثا طويلا لا يتسع الوقت له الآن فنرجئه لفرصة أخرى)

ومهما يكن الامر فلامراء في أن حرية الأمة هي مبدأ حياتها الاجتماعية وان الناهضين في كل أمة لإيصالها الى هذا الحق هم صفوة رجالها ، والنوادر من ابطالها بل هم القبيل الذين رآهم الاقدمون فحسبوا انهم ممتازون عن البشر فاقاموا لهم التماثيل وشيدوا لهم الهيا كل وافردوهم بالعظمة والكرامة حتى وضعوهم بمصاف الالهة فلا عجب ان تحتفل الامة العثمانية اليوم بنيل حريتها وتترنم بآيات الثناء لاولئك الابطال العظام من جمعية الاتحاد والترقي فلتحي الجمعية فليحى السلطان الدستوري فليحي المنقذ الثاني للوطن محمود شوكت باشا فليحي الجيش المظفر

* * *

عيد الدستور بمصر

انشدنا محمد حافظ افندي إبراهيم لنفسه في ليلة الاحتفال بهذا الموسم في حديقة الازبكية بمصر هذه القصيدة

أجل هذه أعلامه ومواكبه ... هنيئا لهم فليسحب الذيل ساحبه
هنيئاً لهم فالكون في يوم عيدهم ... مشارقه وضاءة ومغاربه
رعى الله شعباً جمع العدلُ شمله ... وتمت على عهد الرشاد رغائبه
تحالف في ظلّ الهلال إمامه ... وحاخامه بعد الخلاف وراهبه
خذوا بيد الاصلاح والامر مقبل ... فاني أرى الاصلاح قد طرّ شاربه

ان حد التمييز والرشد في الأمة هو ان تكون بحيث يتهيأ لها الاجتماع بأبسط معانيه فانها متى بلغت هذه المرتبة حكم لها بأنها بالغة رشدها قادرة على ادارة نفسها وكل جمعية بشرية فهي بالغة هذه المنزلة لا محالة ضرورة أن الانسان خلق على أن يعيش مجتمعا فهو لا ينفك عن الاجتماع والأمة المجتمعة لا تنفك ان تكون مستحقة للاستقلال بطبعها وانما تحول دون ذلك اطماع المستبدين احيانا فاذا اتفق لأمة أن صرفت همة المستبدين من رجالها عن العبث باستقلالها فقد قضي لها ان تباشر السير الى كمالها

لا يشترط في نيل الأمة حريتها واستحقاقها لذلك بطبعها ان تبلغ في اجتماعها مبلغ الامم الراقية كما لا يشترط في بلوغ الرجل رشده ان يكون كأصوب الرجال رأيا وأ كلهم رشداً لأن الرقي والرشد يقالان بالتشكيك فيكونان في بعض الاشخاص وفي بعض الأمم أرقى منهما في غيرهما ولا يوجب ذلك نقصا بالمقصر عن درجة المتقدم يؤدي الى حرمانه من حقوقه الطبيعية

اذا نالت الأمة حقها في حكم نفسها انفسح لافرادها مسرح الفكر ، واتسع لهم مجال العمل ، ودبت فيهم حياة جديدة شعروا بها ان لاراداتهم وميولهم تأثيراً في رقي مجتمعهم ، فترفعت بذلك نفوسهم عن الدنايا ونهضت الى معالي الامور وانصرفت من هنا الى الشعور بأن الفوز بالمصلحة الخاصة متوقف على تأييد المصلحة العامة فاندفعوا بسائق محبة الذات الى التماس مصلحة افرادهم في ضمن مصلحة مجموعهم

ومن ثم تخرج العقول من مضايق اشخاصها الى متسع الأمة وتنصرف الافكار عن البحث في الكليات فتتمرن على الاستنتاج الصحيح من المقدمات اليقينية فتستقيم الافكار وتصان الاعمال عن الخلل

ويتبع ذلك صحة في العزائم ونهوض في الهمم ومسابقة الى الاعمال الشريفة وتنافس في إصابة المفيد منها للأمة . هكذا يتسنى للامم ان ترتقي في مدارج اجتماعها مبتدئة بالفكر الصحيح ومنتقلة من ذلك الى الصالح لها الموافق لمصلحتها ثم تتدرج من هناك في مراتب الكمال مرتبة بعد مرتبة ! ومن أين للأمم التي ليس لها حظ من الحرية ان تنال هذه المزية ؟

وأسرف في حب الحياة لخاطها ... بسور من الاهوال لم ينجُ راكبه
ففي كل قفل للمنية مكمن ... وفي كل مفتاح قضاء يراقبه
وفي كل ركن صورة لو تكلمت ... لما شك في عبد الحميد مخاطبه
تماثيل إيهام أنيمت وأقعدت ... تراءى بها اعطافه ومناكبه
تمثله في نومه وجلوسه ... وتخدع فيه الموت حين يقاربه
أقام عليه ألف موت محجب ... ليغلب موتاً واحداً عزَّ غالبه
سلوه أأغنت عنه في يوم خلعه ... عجائبه أو أحرزته غرائبه
وقد نزل المقدار بالأمر صادعا ... وضاقت على شيخ الملوك مذاهبه
وأخرجه من يلدزٍ رب يلدزٍ ... وجرده من سيف عثمان واهبه
وأصبح في منفاه والجيش دونه ... يغالب ذكرى ملكه وتغالبه
يناديه صوت الحق ذق ما أذقتهم ... فكل امرئ رهن بما هو كاسبه
هم منحوك اليوم ماأنت مشتهٍ ... فردّ لهم ما أنت بالأمس سالبه
ودع عنك ما أملت ان كنت حازما ... فلم يبق للآمال فضل تجاذبه
مضي عهد الاستبداد واندك صرحه ... وولت أفاعيه وماتت عقاربه

* * *

لك الله يا تموز إنك بلسم ... لجرحى الأسى والدهر تعدو نوائبه
فكم رعت جبارا وأرهقت ظالما ... وانصفت مظلوما توالت مصائبه
فديناك من شهر أغرَّ محجلٍ ... أوائله ميمونة وعواقبه
تقابله الاعياد في الأرض كلما ... تجلى هلال الشهر أو لاح حاجبه
ففي الغرب عيد ينظم الغربَ حسنه ... فتهتز من وقع السرور جوانبه
وفي الشرق عيد لم ير الشرق مثله ... تدفق في دار السلاح مواكبه
يطيفون بالعرش الكريم وربه ... تطيف بهم آلاؤه ومناقبه
لتهنئ أمير المؤمنين محمداً ... خلافته فالعرش سعدٌ كواكبه
ستملك أمواج البحار سفينه ... كما ملكت شم الجبال كتائبه
ممالكه محروسةٌ وثغوره ... منصورةٌ ركائبه ومراكبه

وردوا على الملك الشباب الذي ذوى ... فاني رأيت الملك شابت ذوائبه
فمن يطلب الدستور بالسوء بعد ما ... حمته يد الفاروق فالله طالبه
اذا شوكت الفاروق قام منادياً ... الى الحق لباه نيازي وصاحبه
ثلاثة آساد يجانبها الردى ... وإن هي لاقاها الردى لا تجانبه
يصارعها صرف المنون فتلتقي ... مخالبها فيه وتنبو مخالبه
روت قول بشار فثارت وأقسمت ... وقامت الى عبد الحميد تحاسبه
« اذا الملك الجبار صعَّر خده ... مشينا اليه بالسيوف نعاتبه »
وسار على أعقابها كل سابح ... على متنه برج مشيد يداعبه
يصيح به « لاريّ » أو نبلغ المنى ... و«لاشبع» أو يُرجع الحق غاصبه
هنالك فانهل واتخذ ثم مربطا ... بيلدز واحمد في الوغى من تصاحبه
رجال من الايمان ملأى نفوسهم ... وجيش من الأتراك ظمأى قواضبه
صوالجه سمر القنا وكراته ... رءوس الاعادي والحصون ملاعبه
اذا ثار دكت اجبل وتخشعت ... بحار وأمضى الله ماهو كاتبه
وثُلت عروش واستقرت ممالك ... ولو ان ذا القرنين فيها يناصبه

• • •

فمن لم يشاهد يلدزاً بعد ربها ... وقد زال عنه الملك واندك جانبه
واسلمه أحبابه لقضاته ... وفر ولم يخش المعرة كاتبه
وقلمت الاقدار اظفار بطشه ... ودل على ماتجهل الجن حاجبه
فما شهد الدنيا تزول ولا رأى ... بلاء قضاء الله في من يحاربه
ابيح حماها وانطوى مجد ربها ... وقامت على البيت الحميدي نوادبه
ولم يغن عن عبد الحميد دهاؤه ... ولا عصمت عبد الحميد تجاربه
ولم يحمه حصن ولم ترم دونه ... دنانيره والامر بالامر حازبه
ولم يخفه عن اعين الحق مخدع ... ولا نفق في الارض جمٌّ مساربه
أقام عليه مهلكا عند مهلك ... يمر به روح الصبا فيواثبه
تحاماه حتى الوهم خوف اغتياله ... فلو مسه طيف لدارت لوالبه

فجلا تلكم الدياجيَ نورٌ من سنا قادةٍ لجيش مظفر
أنقذونا وكادت الروح تدنو للتراقي وصائح الموت زمجر
فسجدنا لربنا وشكرنا هؤلاء الابطال والحر يَشكر
يا ليوث الوغى ويا خير من أحيا نفوساً كادت من الظلم تقبر
يا أسود الشرى ويا خيرَ من قوَّمَ ملكا قد كاد أن يتدمر
قد جلوتم لنا عروساً تجلت كتجلي بدر السماء وأزهر
وهي حُريةٌ اضاءت ودستورٌ بحفظ الحقوق في الملك بشر
فعليك السلام يا شوكتٌ منّا تليه تحية تتعطر
انت ادركت ذي الخيانة فانقضيت حتى ظفرتَ والملكُ عمر
وعلى الفرقدين ازكى سلام بطلي تركيا نيازي وأنور
لا تقولوا قد راحَ مدحتُ عنا كُلكم مدحتٌ اذا ما تدَّبر
فاتركوا ما مضى وجدوا لما يأتي بحزم النهى وعزم الغضنفر
واستعينوا بالحق دوماً ومبعوثانكم فالنجاح في ذاك اكثر
خير ما ينفع الشعوب ثباتٌ واتحاد بعزمه تتحرّر
فهنيأ يا آل عثمان هذا يوم عيد للناس عيدٌ مُكبر
دام سلطاننا ونوابنا والجيش والشعب في الهناء الأوفر

* * *

هذه غادةٌ من النيل وافت بسناها وَدَلها تتبختر
غادة زانها خليٌّ المعاني ومن اللفظ عقد دُرّ وجوهر
أقبلت في بشائر أرختها عيدُ عزّ الدستور بالأمن أسفر
سنة ١٣٢٧ ٨٤ ٧٧ ٧٠١ ١٢٤ ٣٤١

ضاق هذا الجزء عن باب الفتاوى وفيه بيان معنى كون الدستور موافقا للشرع وغير ذلك من المسائل فأرجأناه الى الجزء الآتي

وأرسل الينا اسماعيل بك عاصم المحامي المصري هذه القصيدة من الاستانة

عيد عز الدستور بالامن أسفر نوره للأنام الله أكبر
آلَ عثمان هاكم اليوم يوم هلل القلب فيه بِشرا وكبر
يوم عيد الحرية التي كم بتنا زماناً لبعدها نتحسرَ
كل حرية بغير حماةٍ لا يراعي زمامها من تجبر
ولهذا جاء الرشاد ليحميها فكانت لعصره خير مظهر
يا أميرا للمؤمنين وسلطان جميع الشعوب لافرق يذكر
كل هذي الاقوام ترجوك في تعويض مافات أنت بالعدل أقدر
انت أدرى يا صاحب الملك بالماضي فادرك بحزمك الملك تشكر

* * *

يا رجال الوزارة الصيد هذا الـوقت في هوله كيوم المحشر
دققوا في الحساب بالقسط ترتاح البرايا فطالما الظلم كدّر
فالمليك المحبوب رأس وأنتم منه اعضاؤه به تتأثر
والكرام النوابَ أوردة الجسم وماء الحياة منها تفجر

* * *

آل عثمان ان سلطاننا أعظم ملك بنوره نتبصر
هو حامي الدستور حامي الرعايا حافظ العهد للعدالة أظهر
فتفانوا في حبه فهو بالاخلاص مِنّا وبالمحبة أجدر

* * *

أيها النائبون عن هذه الأمة أنتم لها العماد الأكبر
أنتمَ عارفو البلاد وحاجات الأهالي وما به تتعمر
أعين الناس نحوكم ناظراتٌ فاظهروا للورى بأشرف منظر
لا نريد استرداد ما راح لكن حِفظ ما عندنا فلا تتقهقر
ثُلثُ قرن مضى ونحن من الارهاق كانت أعصابنا تتخدّر
ثلثَ قرن ونحن في ظلمات بعضها فوق بعضها تتكرر

وأن الأرمن لم يعتدوا على غير الترك والترك لم يعتدوا على غيرهم فالمسألة اذا أثر من آثار الاحقاد الجنسية ومن جعل سببها التعصب الديني فهو ان لم يكن جاهلا متعصب او منافق يتزلف للمتفرنجين، وان ادعى انه من الاحرار او المسلمين»

دعا بعض فضلاء العثمانيين الناس الى الاجتماع في حديقة الازبكية لسماع الخطب والقصائد في شكوى الانسانية من ذبح أبنائها بعضهم لبعض والحث على مواساة المنكوبين و إعانة اليتامى والارامل من الفريقين — المسلمين والارمن — فلبى الدعوة جماهير أهل الخير من جميع الطوائف ماعدا الارمن . وخطب صاحب هذه المجلة — على انه كان مريضا والحر شديدا — خطبة ارتجالية بناها على بيان التفاوت العظيم بين الانسانية الراقية والانسانية السافلة التي يكون أصحابها شرا من الوحوش الضارية والحشرات السامة، وكون هذا الاجتماع احتجاجا من أهل الاولى على أهل الثانية وارشاداً وتعليما. و بينت فيها مشروعية البر والاحسان في الاسلام بجميع البشر مؤمنهم وكافرهم بل بجميع الاحياء « في كل كبد حرى أجر » ورمى بعض الخطباء الى كون المسلمين هم المعتدين الباغين باسم الاسلام فرددت عليه بلطف وقلت ان المقام مقام استعطاف لا محاكمة ولا تاريخ وان التحقيق الرسمي سيظهر الحقيقة ان المسألة جنسية لا دينية

ذلك ما كتبناه للجزء الماضي من المنار فلم يتسع له ثم قرأنا في جريدة لسان الحال البيروتية المؤرخة في ١٥ الشهر (رجب) ملخص تقرير المجلس العرفي فنحن ننشره بنص هذه الجريدة وهو

* * *

﴿ تقرير المجلس العرفي في أطنه ﴾

وضع المجلس العرفي في أطنه تقريراً مفصلا بحوادث اطنه ولكن جرائد دار السعادة العلية لم تنشر الا خلاصة منه وهو يذكر ان الحوادث التي جرت هناك انما يصعد تاريخها الى أيام بحري باشا الوالي الذي كان قبل جواد باشا فانه ظلم الناس ظلماً فاحشاً وأوقع بهم خسفاً وجوراً وهم لا يبدون ولا يعيدون بل كانوا كالموتى لا يتحركون ولا يشكون وكان رجال الوالي كثيرين وهم ينتفعون من توسيع نطاق تلك الاختلالات ويتمنون الى الله ان تدوم لان اكثر تلك المظالم التي تشمئز منها

باب الأخبار والآراء

الهرج والقتل في أطنه

أشرنا في آخر الجزء الثالث الى هذه الحوادث وكانت في بدايتها وقلنا انه لا ثقة بإخبار شركة روتر ان الترك هنالك تصدوا لذبح الأرمن عدوانا. ثم ان الجرائد في الاستانة وسورية ومصر جاءت بتفصيل لتلك الحوادث جاء في بعضها ان الأرمن كانت هي المضرمة لنار الفتنة وأن مبدأ ذلك تمثيل الأرمن لقصة سياسية في أدنه يصفون فيها ظلم الترك لهم وقيام ملك منهم ينقذهم من ظلمهم ويقيم لهم دولة جديدة . ثم انهم لم يكتفوا بهذا بل طفقوا يستحضرون السلاح الجديد فتنكر لهم المسلمون الى ان انفجر البركان ، وفاض الطوفان ، واقتتل الفريقان ، وروي ان أول واقعة من وقائع الاعتداء كانت من الأرمن . ومن الناس من لا يصدق هذه الروايات بل يرجح ان المسلمين هم المعتدون ، ومنهم من يقول ويكتب غير ما يعتقد وللهوى سلطان على القلب وعلى القلم واللسان . ومن رأينا ان يرجأ الحكم في الاسباب والمبادي الى ان يتم تحقيق الحكومة في ذلك وينشر رسميا

مهما كانت الاسباب والمبادي ، وايًّاما كان المعتدي والبادي ، فلا شك في كون الفريقين قد عملا مالا يبيحه الدين الذي ينتسبان اليه ، ولا يتفق مع مصلحة الوطن الذي يقيمان فيه ، فقد هدمت الدور ، وأحرقت الاسواق ، وقتل النساء والاطفال ، وحملت الامة عبئا من العار ، ولحق الحكومة ما لحقها من الخسار ، وتألمت الانسانية الفاضلة في جميع الاقطار

قد أكثر أهل الاهواء وافرط مقلدة التفرنج من القول بأن سبب ذلك هو التعصب الديني ولو كان مازعموا لما كان الهرج بين الترك والارمن دون سائر المسلمين والنصارى فقد ثبت ان أبناء العرب هناك كانوا يحمون الأرمن ويواسونهم

وجل ولا حسبان لشيء وكان الخطب يتفاقم ويتعاظم بين المسلمين والارمن وفي كل يوم يطلق الرصاص هنا وهناك من الفريقين والحكومة لا تكترث له حتى جنت بذلك جناية لا تغتفر ولما قبضت على بعض المشاغبين من الارمن توسط البعض في أمرهم فتركتهم وشأنهم اما المسلمون فابقتهم في الحبس فكثرت اذ ذاك الاشاعات وترا كمت المخاوف والترهات فراج السلاح رواجا عظيما وكان تجاره و باعته ينذرون الفريقين بقرب اشتباك القتال وان الواقعة ستكون عظيمة يتخللها مذابح هائلة حتى بلغ ما دخل اطنه من الاسلحة بطريق بيروت واسكندرونه ومرسين ا كثر من ١٣ الف بندقية عدا البنادق والمسدسات وغيرها مما لم يعلم به أحد. واتفق ان قتل رجل من الارمن مسلما فتعقبته الحكومة ولكن الارمن خبأوه واخفوه عنها ولما اقروا به قالوا انهم لا يسلمونه ما لم تقتص الحكومة من مسلم ادعوا عليه بكونه كان قتل ارمنيا

وفي ١٣ نيسان اطلق رجل اسمه محمود طلقا ناريا في محلة من البلدة فقبضت عليه الضابطة ولكن اجتمع ا كثر من خمسمائة نفس من المسلمين وانقذوه منها بحجة انها لم تقبض على الارمن الذين اطلقوا النار وليس ذلك فقط بل انهم اجتمعوا ثاني يوم مع رفاقهم وحضروا الى السراي و بالاتفاق مع مدير البوليس اطلقوا سراح كل اخوانهم المحابيس ومنذ ذلك اليوم أخذ المسلمون يطوفون في المدينة شا كي السلاح ويبدون مظاهرات تدل على انهم لا يعبأون بالحكومة ولا يأتمرون بامرها وفي اثناء ذلك قتل ارمني مسلما فعارضه المسلمون فخرج الارمن عليهم متحمسين شا كي السلاح حتى ملأوا الشوارع والطرقات فاستدعت الحكومة رجال الرديف فحضروا وطافوا في الاسواق بملابسهم المدنية فكانوا كسائر الاهاني لا فرق بينهم في اللباس فقام عليهم الارمن ولكنهم اشاعوا فيما بينهم ان الحكومة هدرت لهم دماء الارمن ورخصت لهم بالفتك بهم وعند ذلك هجموا على المستودعات العسكرية واخذوا الاسلحة وما يلزمهم من الذخيرة وفعلوا ما فعلوه مما اوجب على اعضاء ديوان الحرب ان ينكروه ويذرفوا من اجله الدموع ولما حمي الوطيس أخذ رجال الحكومة يفوزون بانفسهم فهربوا وتواروا عن العيان ثم سجن عدد كبير من الارمن ولما عقد الديوان الحربي حكم على ١٥ نفسا من الارمن والمسلمين بالاعدام

النفوس الابية كانت واقعة على الارمن وكان هؤلاء بها راضين صابرين حتي يمن الله بالفرج ولما ثقلت الوطأة وشعروا بشدة الشكيمة فضلوا الموت على الحياة ولكن الذين كانوا يعللون النفوس بأمل الانفصال في الاستقبال كانوا يسكنون روعهم ويحضونهم على الصبر وقد أتوا بكثيرين من هؤلاء المظلومين من انحاء الولاية وأقاموهم في مركز الولاية وقالوا ان هذا المركز يعتبر ثغرا بحريا وقد استجلبوا له كثيرا من الاسلحة لاسيما بعد اعلان الدستور فانها كانت ترد اليهم من بيروت كميات عظيمة بالسفن والبواخر وكانت توزع عليهم في اطنه وضواحيها حتى زادوا طمعا بالانفصال عن الحكومة

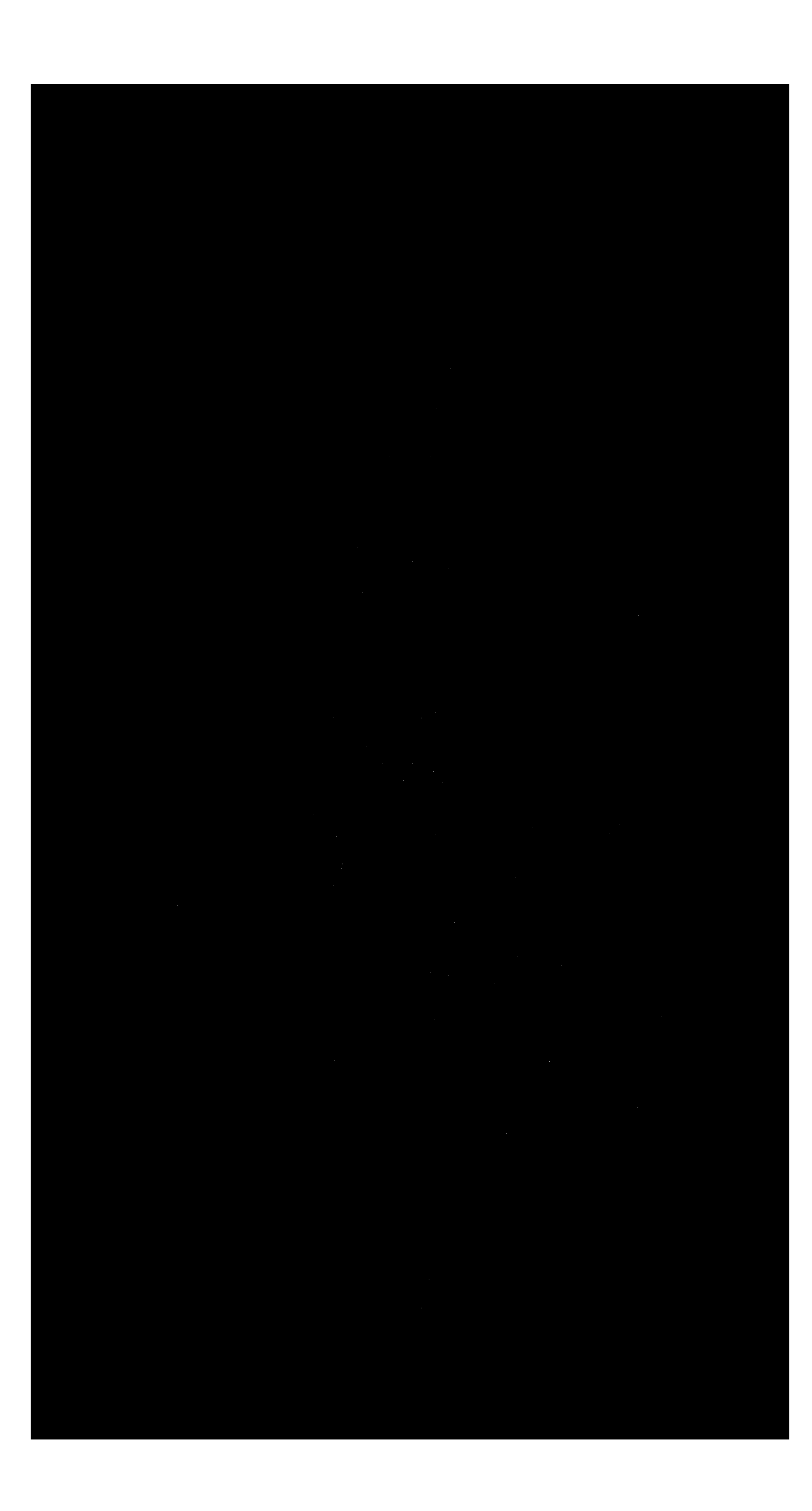
و بعد اعلان الدستور كان المسلمون يتقربون من جميع ابناء الطوائف ويظهرون لهم المودة والمسالمة ولكنهم ماكانوا يخفون احتقارهم للجمعيات الارمنية الموجودة في البلاد لاعتقادهم بان اعضاءها يسعون في الانفصال والاستقلال وقد زادهم ثقة بذلك كونهم رأوهم يقيمون الشعب والفروع لجمعياتهم في كل الجهات ولا ننكران الحكومة أظهرت ضعفا شديدا في كل الاحوال التي مرت بالبلاد فانها لم تسع في قمع الفتن ولا في اخماد المشاغب حتى انه بلغ مسامعها ان الارمن يسعون سعيا متواصلا في الوصول الى الاستقلال الاداري وان رفاقهم في أوربا يكاتبونهم بذلك ولكن الحكومة لم تلتفت الى هذه المسألة واعتبرتها كانها لم تكن

وقد اتصل بالحكومة ان الجمعيات الارمنية وزعت رسوما وجرائد وشارات مخصوصة على الارمن وجعلت لكل منهم علامة فارقة يعرف بها ومع ذلك فانها لم تهتم للامر ولا سعت في ايقاف تياره حتى ان المطران موشاخ الذي هرب كانت له يد سوداء في كل هذه الاعمال المغايرة وما زال الامر يزداد استفحالا ونطاق الخلاف يزداد اتساعا بين المسلمين والارمن حتى صارت الحوادث تتوالى من مدة الى أخرى وكثيرا ما كانت تتفاقم وتتجسم حتى امتلأت القلوب بالضغائن ووقع ماوقع بين الفريقين من أسباب القتال الذي قضى بذهاب الانفس ووقائع الحرق والنهب وغيرها(١)

وكانت الحكومة تنظر الى هذه الاحوال بعين لا يخامرها كلل وفكر لا يعتريه

(١) حذفنا من هذا الموضع كلاما في (احسان فكري) صاحب جريدة اعتدال وما كان من ارتكابه ومكايدته للوالي وما في ذلك من ضعف الحكومة الماضية





ما اشترط من مال الميت . وقيل ان هذا لم يبطل الا بآيات الميراث

واما الاسلام فقد جعل التوارث أولا بالهجرة والمؤاخاة فكان المهاجر يرث المهاجر البعيد ولا يرثه غير المهاجر وان كان قريبا ، وكان النبي (ص) يؤاخي بين الرجلين فيرث احدهما الآخر ، وقد نسخ هذا وذاك واستقر الامر عند جميع المسلمين بعد نزول احكام الفرائض ان اسباب الارث ثلاثة النسب والصهر والولاء . وحكمة ما كان في اول الاسلام ظاهرة فان ذوي القربى والرحم للمسلمين كان اكثرهم مشركين وكان المسلمون لعلتهم وفقرهم محتاجين الى التناصر والتكافل بينهم لاسيما المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم وترك ذو المال منهم ماله فيها

وذهب كثير من العلماء الى ان الوصية للوالدين والاقربين قد نسخت أيضا بآيات الميراث ولكنك ترى ان هاتين الآيتين المفصلتين لاحكام الارث قد جعلتا الوصية مقدمة على الارث واكدت ذلك بتكراره عند كل نوع من انواع الفرائض فيها ، وترى ان الوصية للوالدين والاقربين في سورة البقرة مؤكدة تأكيدا ينافي النسخ وتقدم ذلك في سورة البقرة (راجع تفسير ٢ : ١٨٢ كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت الآيات في ص ١٤٧ — ١٥٢ ج ٢ تفسير) وقد ذكر ذلك الاستاذ الامام في الدرس واعاد ما قاله في تفسير تلك الآية فتركنا اعادته استغناء عنها بالاحالة عليه في محله

اخرج ابن ابي شيبة واحمد وابو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي في سننه وغيرهم من حديث جابر قال جاءت امرأة سعد بن الربيع الى رسول الله (ص) فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل ابوهما معك في احُد شهيدا وان عمها اخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا تنكحان الا ولهما مال . فقال «يقضي الله في ذلك» فنزلت آية الميراث « يوصيكم الله في اولادكم » الآية فأرسل رسول الله (ص) الى عمها فقال « أعط ابنتي سعد الثلثين وامها الثمن وما بقي فهو لك » اخرجوه من طرق عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر ، قال الترمذي ولا يعرف الا من حديثه (* قال العلماء وهذه اول تركة قسمت في الاسلام

*) قال الترمذي فيه صدوق تكلم فيه من جهة حفظه ، وروى عن البخاري ان احمد واسحق —

يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ ، فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ (١٤ف) ، وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ (١٥ف) ، وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ ، فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ (١٦ف) ، غَيْرَ مُضَارٍّ ، وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ *

امر الله تعالى فيما قبل هاتين الآيتين من أوائل السورة باعطاء اليتامى والنساء أموالهم إلا من كان سفيها لا يحسن تثمير المال ولاحفظه فيثمره له الولي ويحفظه له الى ان يرشد ، ونهى عن اكل اموالهم وابطل ما كانت عليه الجاهلية من عدم توريثهم فناسب بعد هذا ان يبين احكام الميراث وفرائضه فكان بيانه في هاتين الآيتين وآية في آخر السورة فهذه هي الفرائض التي جرى عليها العمل بعد نزولها فبطل بها وبقوله «وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض» ما كان من نظام التوارث في الجاهلية وفي اول الاسلام

اما الجاهلية فكانت اسباب الارث عندها ثلاثة (احدها) النسب وهو خاص بالرجال الذين يركبون الخيل ويقاتلون الاعداء ويأخذون الغنائم ليس للضعيفين الطفل والمرأة منه شيء (ثانيها) التبني فقد كان الرجل يتبنى ولد غيره فيرثه ويكون له غير ذلك من احكام الدين الصحيح وقد ابطل الله التبني بآيات من سورة الاحزاب ونفذ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذلك بذلك العمل الشاق وهو التزوج بمطلقة زيد بن حارثة الذي كان تبناه قبل الاسلام . (ثالثها) الحلف والعهد كان الرجل يقول للرجل : دمي دمك وهدمي هدمك وترثني وارثك وتطالب بي وأطالب بك . فاذا تعاهدا على ذلك فمات احدهما قبل الآخر كان للحي

من اموالكم سواء كانوا ذكورا أم إناثا كبارا أم صغارا ، واختلف العلماء في اولاد الاولاد فقالت الشافعية انهم يدخلون في مفهوم الاولاد مجازا لا حقيقة ، وقالت الحنفية ان لفظ الاولاد يتناولهم حقيقة اذا لم يكن للميت اولاد من صلبه . ولا خلاف بين المسلمين في قيام اولاد البنين مقام والديهم عند فقدهم وعدم ارثهم مع وجودهم ، لان النسب للذكور كما قال الشاعر

بنونا بنو أبنائنــا وبناتنــا بنوهن أبنـاء الرجال الأباعد

وقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الحسن ابن بنته فاطمة (عليهم السلام والرضوان) « ابني هذا سيد » كما في الصحيح مبني على خصوصيته في جعل ذريته من بنته او من صلب علي كما ورد في حديث آخر . واما الخنثى فينظر في علامات الذكورة والأنوثة فيه فأيهما رجح حكم به والمرجع في ذلك للاطباء الثقات العارفين ونقل القرطبي الاجماع على ان الترجيح يعرف بالبول فالعضو الذي يبول منه هو الذي يرجح ذكورته أو أنوثته

﴿ للذكر مثل حظ الانثيين ﴾ استئناف لبيان الوصية في إرث الاولاد وقدمه لأنه الاهم في بابه كما سيأتي بيانه ، اي للذكر منهم مثل نصيب اثنتين من إناثهم اذا كانوا ذكورا وإناثا . قال الاستاذ الامام جملة مفسرة لا محل لها من الإعراب واختير فيها هذا التعبير للاشعار بابطال ما كانت عليه الجاهلية من منع توريث النساء كما تقدم فكأنه جعل ارث الانثى مقررا معروفا وأخبر بأن للذكر مثله مرتين أو جعله هو الاصل في التشريع وجعل ارث الذكر محمولا عليه ، يُعرف بالاضافة اليه ، ولولا ذلك لقال: للانثى نصف حظ الذكر ، واذاً لا يفيد هذا المعنى ولا يلتئم السياق بعده كما ترى ، أقول ويؤيد هذا ما تراه في بقية الفرائض من الآيتين من تقديم بيان ما للاناث بالمنطوق الصريح مطلقا او مع مقابلته بما للذكور كما ترى في فرائض الوالدين والاخوات والاخوة وليس عندنا في هاتين الآيتين في الفرائض شيء عن الاستاذ الامام غير بيان هذه النكتة وما تقدم من نكتة الخطاب في مجموع الامة

والحكمة في جعل حظ الذكر كحظ الانثيين هي ان الذكر يحتاج الى الانفاق

قال الاستاذ الامام : الخطاب في الآية عام موجه الى جميع المكلفين في الأمة لانهم هم الذين يقسمون التركة و ينفذون الوصية ولتكافل الأمة في الامور العامة . وقال غيره ان الآية وما بعدها تفصيل للاجمال في قوله « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون » الآية ، وقالوا انه يدل على جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة ، ولا حجة لهم فيها على هذا القول اذ الظاهر انها نزلت هي وما قبلها ومنها تلك الآية المجملة في وقت واحد . وما ذكر في سبب النزول لا يدل على التراخي والتأخير عن وقت الحاجة ويجوز على فرض التأخير والتراخي ان تكون الآية الاولى أبطلت هضم حق المرأة والطفل لما فيه من الظلم والقسوة ولم يكن المسلمون وقت نزولها قد كثروا وكثر اقاربهم منهم واستعدوا بذلك لنسخ اسباب الارث الاولى الموقتة باسباب الارث الدائمة فلما استعدوا لذلك نزل التفصيل بعد غزوة احد كما في رواية جابر

﴿ يوصيكم الله ﴾ من الإيصاء والاسم الوصية وهي كما فهم من ذوق اللغة واستعمال اهلها في القديم والحديث انها ما تعهد به الى غيرك من العمل في المستقبل القريب او البعيد يقولون يسافر فلان الى بلد كذا واوصيته او وصيته بان يحضر لي معه كذا ، و يقولون وصيت المعلم بان يراقب آداب الصبي و يؤدبه على ما يسيء به . ولكنهم لا يقولون في طلب الشيء الحاضر او العمل اوصيت ولا وصيت . وما كنت اظن ان هذا الحرف يحتاج الى تفسير لولا اني رأيت الرازي ينقل عن القفال ان الايصاء بمعنى الايصال يقال وصى يصي من الثلاثي بمعنى وصل يصل وأوصى يوصي بمعنى اوصل يوصل ، وان معنى الجملة في الآية يوصلكم الله الى ايفاء حقوق أولادكم بعد موتكم وعن الزجاج ان معناها يفرض عليكم ثم رجعت الى الراغب فرأيته يقول : الوصية التقدم الى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ من قولهم ارض واصية متصلة النبات . وهذا اظهر من القوالين قبله ولكنه لم يرجعني عن فهمي الاول

﴿ في اولادكم ﴾ اي في شأن أولادكم من بعدكم او ميراثهم وما يستحقونه مما تتركونه

—— والحميدي كانوا يحتجون به . وصرح بعضهم بصحته من جهة جودة الحفظ لا من حيث العدالة فحديثه في مرتبة الحسن و بهذا صرح الذهبي

المؤمنون كما ان المخاطبين بها هم المؤمنون او يقال ان لفظ «أولادكم» من العامّ الذي أريد به الخصوص ابتداء لا من العام الذي خصصته السنة

وقالوا انه يدخل في عمومها القاتل عمدا لأحد ابويه ويخرج بالسنة والاجماع.
وأقول ان حرمانه من الارث عقوبة مالية فيجوز ان يثبت بالسنة أو الاجماع ان يعاقب اي مذنب بعقوبة مالية او بدنية كما هو معهود في جميع شرائع الامم اي انه لا مانع منه عقلا ولا قبح فيه ، فمنعه من الميراث هو فرع استحقاقه له فهو لا ينافي القرآن ، واذا قيل انه ليس من باب التخصيص لعمومه لم يكن بعيدا اذ يقال ان له حقه من الارث بنص الآية ثم أن الشريعة عاقبته على قتله لوالده بحرمانه من حقه في تركته ليرتدع امثاله وتسدذريعة الفساد على الاشرار الطامعين الذين يستعجلون التمتع بما في أيدي والديهم فيقتلونهم لاجل ذلك ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه

ويدخل فيه الرقيق ايضاً والرق مانع من الإرث بالاجماع لان المملوك لا يملك بل كل ما يصل الى يده من المال يكون لسيده ومالكه فلو أعطيناه من التركة شيئا لكنا معطين ذلك لسيده فيكون السيد هو الوارث بالفعل ، ولما كان الرق عارضا وخلاف الاصل ومرغوبا عنه في الشرع جعل كأنه غير موجود فهو بهذا الاعتبار لا ينافي عموم الآية واطلاقها ولا تعد منافاته للارث خروجا من حكمها

وأما الميراث من النبي صلى الله عليه وسلم فقد قيل انه لا يدخل في عموم الآية لأنه (ص) لا يدخل في العمومات الواردة على لسانه سواء كانت من كلامه أو من كلام الله عزّ وجل المأمور هو بتبليغه ، وقيل انه يدخل فيها وانه استثني من هذا العموم بحديث « نحن معاشر الأنبياء لا نورث » وفي المسألة خلاف الشيعة وقد فصل القول فيه السيد الآلوسي في روح المعاني فرأينا ان ننقل كلامه فيه بنصه قال :

« واستثني من العموم الميراث من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بناء على القول بدخوله صلى الله تعالى عليه وسلم في العمومات الواردة على لسانه عليه الصلاة والسلام المتناولة له لغة والدليل على الاستثناء قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء لا نورث » وأخذ الشيعة بالعموم وعدم الاستثناء وطعنوا بذلك على أبي بكر

على نفسه وعلى زوجه فكان له سهمان واما الانثى فهي تنفق على نفسها فان تزوجت كانت نفقتها على زوجها وبهذا الاعتبار يكون نصيب الانثى من الارث اكثر من نصيب الذكر في بعض الحالات بالنسبة الى نفقاتها

وما ذكره بعض المفسرين في بيان الحكمة من نقص عقولهن وغلبة شهوتهن المفضية الى الانفاق في الوجوه المنكرة فهو قول منكر شنيع وضعف عقولهن لا يقتضي نقص نصيبهن بل ربما يقال انه يقتضي زيادته تضعف ابدانهن لقلة حيلتهن في الكسب وعجزهن عن الكثير منه ولذلك روي عن بعض السلف ان الميراث جاء على خلاف القياس المعقول ، وما ارى الرواية صحيحة كما ان معناها غير صحيح لما علمت من الحكمة التي بيناها . واما مايزعمون من كون شهوتهن اقوى من شهوة الرجال وما بنوه عليه من إفضائه الى كثرة انفاق المال فهو باطل بني على باطل واننا نعلم بالاختبار ان الرجال هم الذين ينفقون الكثير من أموالهم في سبيل إرضاء شهواتهم وقلما نسمع ان امرأة انفقت شيئا من مالها في مثل ذلك فهن يأخذن ولا يعطين والرجال هم الذين يبذلون لانهم اقوى شهوة واشد ضراوة . نعم ان النساء يملن الى الاسراف في الزينة وهي تستلزم نفقات كثيرة ، والشرع ينهى عن الاسراف فلا تكون احكامه مبنية عليه ، ولكن علم بالاختبار أنهن كثيرا ما يرجحن الاقتصاد اذا كان امر النفقة موكولا اليهن فان كانت من الوالد او الزوج فلا يكاد اسرافهن يقف عند حد ، ولهذا نرى بعض الرجال المقتصدين يكلون أمر النفقه في بيوتهم الى أزواجهم فتقل النفقة ويتوفر منها ما لم يكن يتوفر من قبل

قال المفسرون ويدخل في عموم الاولاد من كان منهم كافرا ويخرج بالسنة اذ تبين فيها ان اختلاف الدين مانع من الإرث وهو ما عليه عمل المسلمين من الصدر الأول الى الآن ، وقد يقال ان الكافر لا يدخل في هذا العموم لما علم من أن كفره قطع الصلة بينه وبين والده المؤمن كما علم من سورة هود المكية قال تعالى (١١ : ٤٥ ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين ٤٦ قال يانوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألني ماليس لك به علم) فقد اخرجه من أهله بكفره على الوجه المشهور في الآية . فالمراد بالاولاد

أخذ بشيء منها فقد أخـذ بحظ وافر وكلمة « انما » مفيدة للحصر قطعا باعتراف الشيعة فيعلم ان الانبياء لا يورثون غير العلم والأحاديث وقد ثبت أيضا باجماع أهل السير والتواريخ وعلماء الحديث ان جماعة (١) من المعصومين عنـد الشيعة والمحفوظين عند أهل السنة عملوا بموجبه فان تركة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما وقعت في أيديهم لم يعطوا منها العباس ولا بنيه ولا الأزواج المطهرات شيئا ولو كان الميراث جاريا في تلك التركة لشاركوهم فيها قطعا

فاذا ثبت من مجموع ما ذكرنا التواتر فحبذا ذلك لأن تخصيص القرآن بالخبر المتواتر جائز اتفاقاً ، وان لم يثبت و بقي الخبر من الآحاد فنقول ان تخصيص القرآن بخبر الآحاد جائز على الصحيح و بجوازه قال الائمة الاربعة ويدل على جوازه ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم خصصوا به من غير نكير فكان اجماعا ومنـه قوله تعالى (وأحل لـكم ما وراء ذلكم) ويدخـل فيه نكاح المرأة على عمتها وخالتها فخص بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « لا تنكحوا المرأة على عمتها ولا على خالتها » والشيعة أيضا قد خصصوا عمومات كثيرة من القرآن بخبر الآحاد فانهم لا يورثون الزوجة من العقار و يخصون أكبر أبناء الميت من تركته بالسيف والمصحف والخاتم واللباس بدون بدل كما أشرنا اليـه فيما مر و يستندون في ذلك الى آحاد تفردوا بروايتها مع أن عموم الآيات على خلاف ذلك ، والاحتجاج على عدم جواز التخصيص بخبر عمر رضى الله تعالى عنه مجاب عنـه بأن عمر انما رد خبر ابنة قيس لتردده في صدقها وكذبها ولذلك قال بقول امرأة لا ندري أصدقت أم كذبت فعلل الرد بالتردد في صدقها وكذبها لا بكونه خبر واحد وكون التخصيص يلزم منه ترك القطعي بالظني مردود بان التخصيص وقع في الدلالة لانه دفع للدلالة في بعض الموارد فلم يلزم ترك القطعي بالظني بل هو ترك للظني بالظني

وما زعموه من دلالة الآيتين اللتين ذكروهما على كذب الخبر في غاية الوهن

« ١ » كعلي كرم الله تعالى وجهه والحسن والحسين وعلي بن الحسين والحسن بن الحسن رضي الله تعالى عنهم اهـ منه

الصدّيق رضي الله تعالى عنه حيث لم يورّث الزهراء رضي الله تعالى عنها من تركة أبيها صلى الله تعالى عليه وسلم حتى قالت له بزعمهم : يا ابن أبي قحافة انت ترث أباك وأنا لا أرث أبي أيّ انصاف هذا ! ؟ وقالوا ان الخبر لم يروه غيره و بتسليم انه رواه غيره أيضاً فهو غير متواتر بل آحاد ولا يجوز تخصيص الكتاب بخبر الآحاد بدليل ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رد خبر فاطمة بنت قيس انه لم يجعل لها سكنى ولا نفقة لما كان مخصصا لقوله تعالى « اسكنوهن » فقال كيف نترك كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بقول امرأة ، فلو جاز تخصيص الكتاب بخبر الآحاد لخصص به ولم يرده ولم يجعل كونه خبر امرأة مع مخالفته للكتاب مانعا من قبوله ، وأيضا العام وهو الكتاب قطعي ، والخاص وهو خبر الآحاد ظني فيلزم ترك القطعي بالظني . وقالوا أيضا ان مما يدل على كذب الخبر قوله تعالى (وورث سليمانُ داود) وقوله سبحانه حكاية عن زكريا عليه السلام (هب لي من لدنك وليًّا * يرثني و يرث من آل يعقوب) فان ذلك صريح في أن الانبياء يرثون ويورّثون .

«والجواب ان هذا الخبر قدرواه أيضا حذيفة بن اليمان والزبير بن العوام وأبو الدرداء وأبو هريرة والعباس وعلي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ، وقد أخرج البخاري عن مالك بن أوس بن الحدثان ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال بمحضر من الصحابة فيهم علي والعباس وعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوّام وسعد بن أبي وقاص : أنشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « لا نورث ما تركناه صدقة »؟ قالوا اللهم نعم ، ثم أقبل على علي والعباس فقال : أنشدكما بالله تعالى هل تعلمان أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد قال ذلك؟ قالا اللهم نعم .

«فالقول بأن الخبر لم يروه الاّ أبو بكر رضي الله تعالى عنه لا يلتفت اليه وفي كتب الشيعة ما يؤيده فقد روى الكليني في الكافي عن أبي البختري في الكافي عن أبي عبد الله جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أنه قال إن العلماء ورثة الانبياء وذلك ان الانبياء لم يورّثوا درهما ولا ديناراً وانما ورثوا أحاديث فمن

واما ان كان في معصية فلأن الرجل اذا مات وانتقل المال الى الوارث وصرفه في المعاصي لا موٴاخذة على الميت ولا عتاب على ان دفع هذا الخوف كان متيسرا له بأن يصرفه و يتصدق به في سبيل الله تعالى قبل وفاته ويترك ورثته على اتقى من الراحة واحتمال موت الفجأة وعدم التمكن من ذلك لا ينتهض عند الشيعة لان الانبياء عندهم يعلمون وقت موتهم فما مراد ذلك النبي عليه السلام بالوراثة الاوراثة الكمالات النفسانية والعلم والنبوة المرشحة لمنصب الحبورة فانه عليه السلام خشي من اشرار بني اسرائيل ان يحرفوا الاحكام الآلهية والشرائع الربانية ولا يحفظوا علمه ولا يعملوا به و يكون ذلك سببا للفساد العظيم فطلب الولد ليجري احكام الله تعالى بعده ويروج الشريعة ويكون محط رحال النبوة وذلك موجب لتضاعيف الاجر واتصال الثواب والرغبة في مثله من شأن ذوي النفوس القدسية والقلوب الطاهرة الزكية

« فان قيل الوراثة في وراثة العلم مجاز وفي وراثة المال حقيقة وصرف اللفظ عن الحقيقة الى المجاز لا يجوز بلا ضرورة فما الضروة هنا ؟ أجيب بأن الضرورة هنا حفظ كلام المعصوم من التكذيب ، وأيضا لا نسلم كون الوراثة حقيقة في المال فقط بل صار لغلبة الاستعمال في العرف مختصا بالمال وفي أصل الوضع اطلاقه على وراثة العلم والمال والمنصب صحيح وهذا الاطلاق هو حقيقته اللغوية ، سلمنا انه مجاز ولكن هذا المجاز متعارف ومشهور بحيث يساوي الحقيقة خصوصا في استعمال القرآن المجيد ومن ذلك قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب — و — أورثوا الكتاب) الى غير ما آية

« ومن الشيعة من أورد هنا بحثا وهو أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا لم يورث احدا فلمَ أعطيت أزواجه الطاهرات حجراتهن ؟ والجواب ان ذلك مغلطة لان افراز الحجرات للازواج انما كان لاجل كونها مملوكة لهن لا من جهة الميراث بل لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بنى كل حجرة لواحدة منهن فصارت الهبة مع القبض متحققة وهي موجبة للملك وقد بنى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ذلك لفاطمة رضي الله تعالى عنها وأسامة وسلمه اليهما وكان كل من بيده شيء مما بناه له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتصرف فيه تصرف المالك على عهده عليه الصلاة والسلام و يدل على ماذكر ماثبت

لأن الوراثة فيهما وراثة العلم والنبوة والكمالات النفسانية لا وراثة العروض والأموال ومما يدل على ان الوراثة في الآية الاولى منهما كذلك ما رواه الكليني عن ابي عبد الله ان سليمان ورث داود وان محمدا ورث سليمان فان وراثة المال بين نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وسليمان عليه السلام غير متصورة بوجه وايضا ان داود عليه السلام على ما ذكره اهل التأريخ كان له تسعة عشر ابنا وكلهم كانوا ورثة بالمعنى الذي يزعمه الخصم فلا معنى لتخصيص بعضهم بالذكر دون بعض في وراثة المال لاشتراكهم فيها من غير خصوصية لسليمان عليه السلام بها بخلاف وراثة العلم والنبوة وايضا توصيف سليمان عليه السلام بتلك الوراثة مما لا يوجب كمالا ولا يستدعي امتيازا لان البر والفاجر يرث اباه فاي داع لذكر هذه الوراثة العامة في بيان فضائل هذا النبي ومناقبه عليه السلام ؟!

«ومما يدل على ان الوراثة في الآية الثانية كذلك ايضا انه لو كان المراد بالوراثة فيها وراثة المال كان الكلام اشبه شيء بالسفسطة لان المراد بآل يعقوب حينئذ ان كان نفسه الشريفة يلزم ان مال يعقوب عليه السلام كان باقيا غير مقسوم الى عهد زكريا و بينهما نحو من الفي سنة وهو كما ترى !! وان كان المراد جميع اولاده يلزم ان يكون يحيي وارثا جميع بني اسرائيل احياء وامواتا وهذا افحش من الاول ، وان كان المراد بعض الاولاد او اريد من يعقوب غير المتبادر وهو ابن اسحق عليهما السلام يقال اي فائدة في وصف هذا الولي عند طلبه من الله تعالى بانه يرث اباه و يرث بعض ذوي قرابته ؟ والابن وارث الاب ومن يقرب منه في جميع الشرائع مع ان هذه الوراثة تفهم من لفظ الولي بلا تكلف وليس المقام مقام تأكيد ، وايضا ليس في الانظار العالية وهم النفوس القدسية التي انقطعت من تعلقات هذا العالم الفاني واتصلت بحظائر القدس الحقاني ميل للمتاع الدنيوي قدر جناح بعوضة حتى يسأل حضرة زكريا عليه السلام ولدا ينتهي اليه ماله و يصل الى يده متاعه ويظهر لفوات ذلك الحزن والخوف فان ذلك يقتضي صريحا كمال المحبة وتعلق القلب بالدنيا وما فيها وذلك بعيد عن ساحته العلية وهمته القدسية ، وأيضا لا معنى لخوف زكريا عليه السلام من صرف بنى اعمامه ماله بعد موته أما ان كان الصرف في طاعة فظاهر

منه والقطعي يخصص القطعي اتفاقا ، ولا تعارض بين هذا الخبر والآيات التي فيها نسبة الوراثة الى الانبياء عليهم السلام لما علمت

« ودعوي الزهراء رضي الله تعالى عنها فدكا بحسب الوراثة لا تدل على كذب الخبر بل على عدم سماعه وهو غير مخل بقدرها ورفعة شأنها ومزيد علمها وكذا اخذ الازواج المطهرات حجراتهن لا يدل على ذلك لما مر وحلا ، وعدولها الى دعوى الهبة غير متحقق عندنا بل المتحقق دعوى الارث ولئن سلمنا انه وقع منها دعوى الهبه فلا نسلم انها أتت بأولئك الاطهار شهودا وذلك لان المجمع عليه ان الهبة لا تتم الا بالقبض ولم تكن فدك في قبضة الزهراء رضي الله تعالى عنها في وقت فلم تكن الحاجة ماسّة لطلب الشهود ، ولئن سلمنا ان أولئك الاطهار شهدوا فلا نسلم ان الصديق ردّ شهادتهم بل لم يقض بها ، وفرق بين عدم القضاء هنا والرد فان الثاني عبارة عن عدم القبول لتهمة كذب مثلا والاول عبارة عن عدم الامضاء لفقد بعض الشروط المعتبر بعد العدالة وانحراف مزاج رضا الزهراء كان من مقتضيات البشرية وقد غضب موسى عليه السلام على اخيه الاكبر هارون حتى اخذ بلحيته ورأسه ولم ينقص ذلك من قدر بهما شيئا علي ان ابا بكر استرضاها رضي الله تعالى عنها مستشفعا اليها بعلي كرم الله تعالى وجهه فرضيت عنه كما في مدارج النبوة وكتاب الوفاء وشرح المشكاة للدهلوي وغيرها

« وفي محاج السالكين وغيره من كتب الامامية المعتبرة ما يؤيد هذا الفصل حيث رووا أن ابا بكر لما رأى فاطمة رضي الله تعالى عنها انقضبت عنه وهجرته ولم تتكلم بعد ذلك في أمر فدك كبر ذلك عنده فاراد استرضاءها فأتاها فقال صدقت يا بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما ادعيت ولكن رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقسمها فيعطي الفقراء والمساكين وابن السبيل بعد ان يؤتي منها قوتكم فما انتم صانعون بها ؟ فقالت أفعل فيها كما كان ابي صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل فيها فقال لك الله تعالى أن أفعل فيها ما كان يفعل ابوك ؟ فقالت والله لتفعلنّ ! فقال والله لأفعلنّ ذلك فقالت اللهم اشهد ورضيت بذلك واخذت العهد عليه فكان

باجماع أهل السنة والشيعة ان الامام الحسن رضي الله تعالى عنه لما حضرته الوفاة استأذن من عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها وسألها أن تعطيه موضعا للدفن في جوار جده المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه ان لم تكن الحجرة ملك أم المؤمنين لم يكن للاستئذان والسؤال معنى وفي القرآن نوع اشارة الى كون الازواج المطهرات مالكات لتلك الحجر حيث قال سبحانه (وَقَرن في بيوتكن) فأضاف البيوت اليهن ولم يقل في بيوت الرسول

«ومن أهل السنة من أجاب عن أصل البحث بأن المال بعد وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صار في حكم الوقف على جميع المسلمين فيجوز لخليفة الوقت ان يخص من شاء بما شاء كما خص الصديق جناب الامير رضي الله تعالى عنهما بسيف ودرع و بغلة شهباء تسمى الدلدل مع أن الامير كرم الله وجهه لم يرث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بوجه، وقد صح أيضا ان الصديق أعطى الزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة بعضا من متروكاته صلى الله تعالى عليه وسلم وانما لم يعط رضي الله عنه فاطمة صلى الله تعالى على أبيها وعليها وسلم فدكا مع انها طلبتها إرثا وانحرف مزاج رضاها رضي الله تعالى عنها بالمنع إجماعا وعدلت عن ذلك الى دعوى الهبة وأتت بعلي والحسنين وأم أيمن للشهادة فلم تقم على ساق بزعم الشيعة ولم تمكن لمصلحة دينية ودنيوية رآهما الخليفة اذ ذاك كما ذكره الاسلمي في الترجمة العبقرية والصولة الحيدرية وأطال فيه وتحقيق الكلام في هذا المقام أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه خص آية المواريث بما سمعه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخبره عليه الصلاة والسلام في حق من سمعه منه بلا واسطة مفيد للعلم اليقيني بلا شبهة والعمل بسماعه واجب عليه سواء سمعه غيره أو لم يسمع

« وقد أجمع أهل الاصول من أهل السنة والشيعة على ان تقسيم الخبر الى المتواتر وغيره بالنسبة الى من لم يشاهدوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمعوا خبره بواسطة الرواة لا في حق من شاهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع منه بلا واسطة فخبر «نحن معاشر الانبياء لا نورث »عند أبي بكر قطعي لانه في حقه كالمتواتر بل أعلى كعبا

عطف حكم الجمع منهن وما يتلوه من حكم الواحدة بالفاء (وثانيهما) القياس على الاخوات فانه ذكر حكمهن في آخر السورة ومنه قوله «فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك » وأقول يمكن ان يؤخذ ذلك من مجموع الكلام على ارث البنات هنا والاخوات في آخر السورة بطريق آخر فقد ترك هناك حكم الجمع من الاخوات كما ترك هنا حكم الاثنتين من البنات فيؤخذ من كل من الآيتين حكم المتروك من الأخرى فهو من قبيل الاحتباك . وسنعيد بيانه في حجب الاخوة للام ولست أرضى قول من قال ان كلمة « فوق » زائدة ولا قول من قال ان المعنى اثنتين ففوق

وقد علم من هذا التفصيل في الاناث ان البنات لا يستغرق فرضهن التركة وفهم منه ان الولد الذكر إذا انفرد يأخذ التركة كلها واذا كان معه أخ له فأكثر كانت التركة بينهما أو بينهم بالمساواة . ثم انتقل من حكم الاولاد إلى حكم الوالدين ، وهم في المرتبة الثانية من مستحقي الاقربين الذين يتصلون بالميت بغير واسطة فقال :

﴿ ولأبويه ﴾ أي أبوي الميت وهو معلوم من السياق لا يتوقف الذهن في ذلك ﴿ لكل واحد منهما السدس مما ترك ﴾ فهما سواء في هذه الفريضة لا يتفاضلان فيها كما يتفاضل الذكور والأناث من الاولاد والاخوات والأزواج وذلك لعظم مقام الأم بحيث تساوي الأب بالنسبة إلى ولدهما وانما كانا يتفاضلان في الزوجية وغيرها .

وهذا ﴿ ان كان له ولد ﴾ أي ان كان للميت ولد واحد فأكثر وما زاد عن الثلث الذي يتقاسمه الوالدان يكون لأولاده على التفصيل المتقدم فيهم ﴿ فان لم يكن له ولد ﴾ ما لا ولد صلب ولا ولد ابن او ابن ابن الخ ﴿ وورثه أبواه ﴾ فقط ﴿ فلأمه الثلث ﴾ مما ترك والباقي للاب كما هو معلوم من انحصار الإرث فيهما . وهنا يدخل الابوان في قاعدة للذكر مثل حظ الانثيين كلٌّ في طبقته ، وانما تساويا مع وجود الاولاد ليكون احترامهم لهما على السواء على ان الأب لا يفضل الام هنا بالفرضية بل له السدس فرضا و يأخذ الباقي بالتعصيب اذ لا عصبة هنا سواه . وانما كان حظ الوالدين من الإرث أقل من حظ الاولاد مع عظم حقهما على الولد لأنهما يكونان في الغالب

أبو بكر يعطيهم منها قوتهم ويقسم الباقي بين الفقراء والمساكين وابن السبيل
وبقي الكلام في سبب عدم تمكينها رضي الله تعالى عنها من التصرف فيها وقد كان دفع الالتباس وسدّ باب الطلب المنجر الى كسر كثير من القلوب او تضييق الأمر على المسلمين وقد ورد « المؤمن اذا ابتلي ببليتين اختار اهونهما » على ان رضا الزهراء رضي الله تعالى عنها بعد على الصديق سدّ باب الطعن عليه اصاب في المنع ام لم يصب وسبحان الموفق للصواب والعاصم انبياءه عن الخطأ في فصل الخطاب» اه

﴿ فإن كنّ نساء ﴾ أي فان كان الأولاد — وأنّث الضمير باعتبار الخبر — وقيل المولودات أو الوارثات نساء ليس معهن ذكر ﴿ فوق اثنتين ﴾ أي زائدات على اثنتين مهما بلغ عددهن ﴿ فلهن ثلثا ما ترك ﴾ والدهن المتوفى أو والدتهن ﴿ وان كانت ﴾ المولودة أو الوارثة امرأة ﴿ واحدة ﴾ ونصب « واحدة » هو قراءة الجمهور وقرأها نافع بالرفع على ان كان تامة أي فان وُجدت امرأةٌ واحدة ليس معها أخ ولا أخت ، ﴿ فلها النصف ﴾ مما ترك ، والباقي لسائر الورثة يعرف حق كل منهم من محله

هذا ما ذكره تعالى في إرث الأولاد وهم أقرب الطبقات الى الميت وقد فصل فيه فروض الإناث منهم وهو أنهن إذا كن مع الذكور كان للذكر مثل حظ الانثيين منهن فاذا كانا ذكرا وأنثى مثلا أخذ الذكر الثلثين والأنثى الثلث واذا كانوا ذكرا وأنثيين أخذ الذكر النصف والأنثيان النصف الآخر لكل منهما نصفه وهو ربع التركة وعلى هذا القياس . واذا كن منفردات بالإرث كان الحكم فيهن ما ذكره وهو النصف للواحدة والثلثان للجمع وسكت عن الثنتين فاختلف فيهما فروي عن ابن عباس ان لهما النصف كالواحدة ، والجمهور على ان لهما الثلثين كالجمع وعليه العمل من عهد النبي (ص) كما في حديث جابر الذي تقدم واستدلوا له بوجوه أظهرها اثنان (أحدهما) ما قاله أبو مسلم من أنه يستفاد من قوله تعالى « للذكر مثل حظ الانثيين » وذلك أن الذكر مع الانثى الواحدة يرث الثلثين فيكون الثلثان هما حظ الانثيين ، فهو يرى ان حكمها مأخوذ من منطوق الآية ويدل له

إذاً ماهو دليل الجمهور على حجب الام بالاخوين و بالاختين وهو ماقضى به النبي (ص) والخلفاء الراشدون (رض) وليس ابن عباس بأعلم منهم ولا أدق فهما في القرآن؟ الظاهر لنا ان اللغة إذا لم تدل في أصلها على دخول الاثنين في اطلاق صيغة الجمع ولو على قلة بمثل ما ذكرناه آنفا من الشواهد فلنا ان نقول إن الشرع قد جعل للاثنين حكم الجمع في صلاة الجماعة والارث إذ جعل للاختين والبنتين الثلثين كالجمع من البنات والاخوات إذا لم يكن هنالك ذكر كما تقدم آنفا ، واذا جاز لنا ان نقول ان البنتين المسكوت عنهما كالاختين المنصوص عليهما ، والاخوات المسكوت عنهن كالبنات المنصوص عليهن ؛ لانه تعالى بيَّن في احكام كل منهما ما حذف نظيره من مقابله وحذف من كل منهما ما بين نظيره في الآخر على طريقة الاحتباك كقوله (٧٢ : ٢٠ قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) أي لا ضرا ولا نفعا ولا رشدا ولا إغواء ؛ وقوله (٧٦ : ١٢ لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) أي شمسا ولا قمراً ولا حرا ولا زمهريرا — إذا جاز لنا هذا وعددناه من منطوق القرآن أو مفهومه أفلا يجوز لنا ان نقول ان الاخوين والاختين لهما حكم الاخوة والاخوات في حجب الام أيضا لانه تقرر عدم الفصل في هذا المقام بين المثني والجمع ؟ بلى وبهـذا عمل النبي والخلفاء الراشدون ومن بعدهم ، فخلاف ابن عباس رضي الله عنه بناء على ظاهر استعمال اللغة لا ينافي هذا الاصطلاح الشرعي واللغة على وضعها ولا مشاحة في الاصطلاح

ولكن له ههنا رأيا آخر يخالف فيه الجمهور ؛ ربما كان أقرب مما قالوا الى المعقول ، وهو ان الاخوة الذين يحجبون الأم من الثلث الى السدس يأخذون السدس الذي حجبوها عنه وما بقي يكون للاب . فهو يرى انه لا معنى لحجبهم إياها الا أخذهم لما نقص من فرضها وهو المعهود في سائر مسائل الحجب فان من لا يرث لا يحجب، ولا يعقل ان يكون وجودهم سببا لزيادة نصيب الاب فقط وأما الجمهور فيقولون إن الآية بينت انهم يحجبون وليس فيها انهم يأخذون شيئا فيكون ما بقي وهو خمسة أسداس كله للاب سدس منه بالفرض لان فرضه كفرضها والباقي بالتعصيب فقول الجمهور

أقل حاجة من الاولاد إما لكبرها وقلة ما بقي من عمرها و إما لاستقلالها وتمولها و إما لوجود من تجب عليه نفقتهما من اولادهما الاحياء ، واما الاولاد فإما ان يكونوا صغارا لا يقدرون على الكسب واما ان يكونوا على كبرهم محتاجين الى نفقة الزواج وتربية الاطفال فلهذا وذاك كان حظهم من الارث اكثر من حظ الوالدين

﴿ فان كان له اخوة ﴾ أي الميت مع ارث أبويه له ﴿ فلأمه السدس ﴾ مما ترك سواء كان الاخوة ذكوراً أو إناثا من الأبوين أو من أحدهما كل جمع منهم يحجب الأم من الثلث إلى السدس ولا يحجبها الواحد . واختلفوا في الاخوين أو الاختين فأكثر الصحابة على انهما كالجمع في حجب الأم من الثلث الى السدس وعليه العمل من الصدر الأول ، وخالف فيه ابن عباس فقد روي انه قال لعثمان بم صار الأخوان يردان الأم من الثلث إلى السدس و إنما قال الله تعالى « فان كان له أخوة » والاخوان في لسان قومك ليسا بأخوة ؟ فقال عثمان لا أستطيع ان أردّ قضاء قضى به من قبلي ومضى في الامصار . فقول ابن عباس ان الاثنين لا يعدان جمعاً و إجازة عثمان له حجة على أن أقل الجمع ثلاثة وهو المختار عند جمهور علماء الاصول وقال بعضهم ان أقله اثنان وهو مذهب أبي بكر الباقلاني واحتجوا له بقوله تعالى « فقد صغت قلوبكما » وليس للمخاطبتين بهذا الاقلبان . وهو احتجاج ضعيف فالعرب انما تجمع المثنى إذا أضافته الى ضميره كراهة الجمع بين تثنيتين . واحتجوا بحديث « الاثنان فما فوقهما جماعة » وهو حديث ضعيف رواه ابن ماجه والدارقطني والحاكم من حديث أبي موسى ويقويه حديث أبي أمامة عند أحمد «هذان جماعة» وما أورده البخاري في معناه ولكن الكلام في هذه الاحاديث ليس في الجمع اللغوي وانما هو في أقل ما تحصل به فضيلة صلاة الجماعة وهو إمام ومأموم . واحتجوا بقوله تعالى « فان كن نساء فوق اثنتين » فوصف النساء بالزيادة على اثنتين يفيد ان لفظ النساء يطلق على الاثنتين ، وهو كما ترى ليس بقوي ولو كان القرآن يدل على ذلك لما قال ابن عباس ما قال و وافقه عليه عثمان . جرى على ذلك جمهور الاصوليين فقالوا إن صيغة الجمع وحقيقته في الثلاثة فما فوق فان استعملت في الاثنين كانت مجازا

أشرف وأجدر من الزوج بالاحترام . ذلك ان الوالدين يكونان عند زواج الولد عريقين في الاستقلال بأنفسهما في المعيشة من جهة وأقل حاجة الى المال من الاولاد وأزواجهم الذين او اللواتي في سنهم غالبا لانصرام أكثر اعمارهما ولانهما إذا احتاجا الى مال الاولاد كان ذلك على مجموع أولادهما ، واما الزوجان فانهما يعيشان مجتمعين كل منهما متمم لوجود الآخر حتى كأنه نصف ماهيته ويكون ذلك بانفصال كل منهما عن والديه لاتصاله بالآخر فبهذا كانت حقوق المعيشة بينهما آكد ولهذا تقرر في الشريعة ان يكون حق المرأة على الرجل في النفقة هو الحق الاول فاذا لم يجد إلا رغيفين وسد رمقه بأحدهما وجب عليه ان يجعل الثاني لامرأته لا لاحد أبويه ولا لغيرهما من أقاربه . فصلة الزوجية أشد وأقوى صلة حيوية اجتماعية حتى ان صلة البنوة فرع منها وان كان حق الاولاد أقوى من جهة أخرى كما تقدم

ثم قال تعالى ﴿ من بعد وصية ﴾ أي يوصيكم الله و يعهد اليكم أيها المؤمنون بأن لاولاد من يموت منكم كذا ولابويه كذا من بعد وصية ﴿ يوصى بها ﴾ أي يقع الايصاء بها من الميت . هكذا قرأ ابن عامر وابن كثير وأبو بكر عن عاصم «يوصى» بفتح الصاد مبنيا للمفعول مخففا وقرأه الباقون « يوصي» بكسر الصاد بالبناء للفاعل . و وصف الوصية بأنها يوصى بها لتأكيد أمرها والتحقق من نسبتها الى الميت لان الحقوق يجب التثبت فيها . هذا ما تبادر الى فهمي وقيل ان فائدة الوصف الترغيب في الوصية والندب اليها وقيل فائدته التعميم ﴿ أو دين ﴾ أي ومن بعد دين يتركه عليه وقدمت الوصية على الدين في الذكر لانها شبيهة بالميراث شاقة على الورثة وان كان الدين مقدما عليها في الوفاء فهو أول ما يجب في التركة و يليه الوصية فهي مما فضل عن الدين وما بقي بعد ادائهما هو الذي يقسم على الوارثين . وعطف الدين على الوصية بأو دون الواو للايذان بانهما متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين أو مفردين

﴿ آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ﴾ جاءت هذه الجملة بين بيان ما فرض الله للاولاد والوالدين من تركة الميت وما اشترط فيه من كونه فاضلا عن

هنا أقرب الى لفظ القرآن وقولهم السابق أقرب الى معناه وقول ابن عباس بالعكس في الموضعين

ذكرت الآية حكم الابوين مع الولد وحكمهما منفردين ليس معهماوارث آخر وحكمهمامع الاخوة وبقي حكمهما مع الزوج وان شئت فقل أحد الزوجين وفي هذه المسألة خلاف بين جمهور الصحابة وابن عباس (رض)فالجمهور على ان الزوج يأخذ نصيبه وهو النصف ان كان رجلا والربع ان كان انثى ويكون الباقي للابوين ثلثه للام وباقيه للأب . وقال ابن عباس يأخذ الزوج نصيبه وتأخذ الام الثلث أي ثلث التركة كلها ويأخذ الاب مابقي .وقال لاأجد في كتاب الله ثلث الباقي . وفي المسألة صورتان أوهما مسألتان ويسميهما الفرضيون بالعمريتين وبالغراوين وبالغريبتين (احداهما)زوجة وأبوان للزوجة الربع وهو ٣ من١٢ وللأم ثلث الباقي عند الجمهور وهو ٣ وللأب الباقي وهو ستة فيجري حظ الابوين على قاعدة للذكر مثل حظ الانثيين . وللأم ثلث الاصل على رأي ابن عباس وهو ٤ من ١٢ وللأب الباقي وهو ٥ فلا يجري على القاعدة (والثانية) زوج وأبوان للزوج النصف ٦ من ١٢ وللأم ثلث الباقي عند الجمهور ٢ من ١٢ وللأب الباقي ٤ على القاعدة. واما على رأي ابن عباس فللأم ثلث الاصل وهو ٤ من ١٢ وللاب الباقي وهو اثنان فيكون على عكس القاعدة إذ يكون للانثى مثل حظ الذكرين . فرأي الجمهور هو الموافق للقرآن في القاعدة التي تقررت في كل من الاولاد والاخوةوفي الوالدين مع الاخوة كما تقدم وفي الزوجين كما في الآية التالية، وابن عباس وافق ظاهر اللفظ فقط

ومن الاعتبار في هذا ان حقوق الزوجية مقدمة في الإرث على حقوق الوالدين فان الوالدين إنما يتقاسمان ما يبقى بعد أخذ الزوج حصته قال بعضهم في توجيه هذا ان الزوجين لما كانا يتوارثان بالزوجية العارضة لا بالقرابة كان فرضها من قبيل الوصية له التقديم ويؤخذ من أصل التركة ويقسم الباقي بين الوالدين الوارثين بالقرابة . ونقول لو كان كذلك لاطرد تقديم فرض الزوج مع الاولاد والاخوة فقدم كالوصية وقسم الباقي بين الاولاد أو الاخوة وليس الامر كذلك وانما وجهه عندي ان حق الأزواج في الاموال والنفقات آكد من حق الوالدين وان كانا

واحدا كان او اكثر من بطنها مباشرة او من صلب بنيها او بني بنيها فنازلا والباقي لأولادها ووالديها على ما بينه الله في الآية السابقة ، هذا ماذهب اليه الجمهور وجرى عليه العمل وروي عن ابن عباس ان ولد الولد لا يحجب ﴿ فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن ﴾ والباقي من التركة للاقرب اليها من اصحاب الفروض والعصبات وذوي الارحام يعلم كل ذلك من موضعه في الكتاب والسنة ﴿ من بعد وصية يوصين بها او دين ﴾ اي انما يكون لكم ذلك في تركتهن في كل من الحالتين ، بعد انفاذ الوصية ووفاء الدين ، اذ ليس لوارث شيء الا مما يفضل عنهما ان كانا كما تقدم

﴿ ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد ﴾ منا على التفصيل السابق في اولادهن فان كان للميت منكم زوج واحدة كان لها وحدها وان كان له زوجان فأكثر اشتركتا أو اشتركن فيه بالمساواة والباقي يكون لمستحقه شرعا من ذوي القربى واولي الارحام لكم ﴿ فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم ﴾ والباقي لولدكم علا او نزل ولمن عساه يوجد معه من والديه على التفصيل الذي بينه الله تعالى وذلك ﴿ من بعد وصية يوصى بها او دين ﴾ وبهذا كان للذكر من الزوجين مثل حظ الانثيين

فان قيل ان من ترك زوجين او ثلاثا أو أربعا كان لهن نصيب الزوج الواحدة فلا تطرد فيهن قاعدة للذكر مثل حظ الانثيين لان الرجل لا ينقص نصيبه من ارث امرأته بحال من الاحوال فما هي الحكمة في ذلك ولماذا لم يكن نصيب الزوجين او او الثلاث او الاربع اكثر من نصيب الزوج الواحدة ؟ أقول الحكمة الظاهرة لنا من ذلك هي ارشاد الله إيانا الى ان يكون الاصل الذي نجري عليه في الزوجية هي ان يكون للرجل امرأة واحدة . وانما اباح للرجل منا ان يتزوج ثنتين الى اربع بشرطه المضيق لأن التعدد من الأمور التي تسوق اليها الضرورة أحيانا وقد تكون لخير النساء انفسهن كما شرحنا ذلك في آية اباحة التعدد وما هي ببعيد ، وتذكر ما قلناه في حكمة جعل حظ الذكر من الاولاد مثل حظ الانثيين وهو ان الاصل فيه ان ينفق على نفسه وعلى امرأة يتزوجها ، فما هنا يلاقي ما هناك ويتفق معه والنصوص

الوصية والدين و بين قوله ﴿ فريضة من الله ﴾ اي فرض ما ذكر من الاحكام فريضة من الله لاهوادة في وجوب العمل بها · ومعنى هذه الجملة المعترضة انكم لا تدرون أي الفريقين أقرب نفعا لكم أ آباؤكم أم ابناؤكم فلا تتبعوا في قسمة تركة الميت ما كانت عليه الجاهلية من اعطائها للاقوياء الذين يحاربون الاعداء، وحرمان الاطفال والنساء لانهم من الضعفاء ، بل اتبعوا ما امركم الله به فهو أعلم منكم بما هو اقرب نفعا لكم ، مما تقوم به في الدنيا مصالحكم ، وتعظم به في الآخرة اجوركم

وذهب بعضهم الى ان الجملة متعلقة بالوصية اي لا تدرون اي آبائكم وابنائكم اقرب لكم نفعا أمن يوصي ببعض ماله فيمهد لكم طريق المثوبة في الآخرة بامضاء وصيته وذلك من اعمال البر تباشرونه فتكونون جديرين بأن تفعلوا امثاله والخير داعية الخير ؟ أم من لم يوص بشيء فيوفر لكم عرض الدنيا ؟ بل الله اعلم بذلك منكم فعليكم ان تمتثلوا امره ، وتقفوا عند حدوده ، ولا تتبرموا بامضاء الوصية وان كثرت ، ولا تذكروا الموصي الا بالخير ﴿ ان الله كان عليما حكيما ﴾ فهو لعلمه المحيط بشؤونكم ولحكمته البالغة التي يقدر بها الاشياء قدرها ، ويضعها في مواضعها اللائقة بها ، لايشرع لكم من الاحكام الا ما فيه المصلحة والمنفعة لكم ، اذ لا يخفى عليه شيء من وجوه المصالح والمنافع ، وهو منزه عن الغرض والهوى اللذين من شأنهما ان يمنعا من وضع الشيء في موضعه ، واعطاء الحق لمستحقه ،

لما فرغ من بيان فرائض عمود النسب في القرابة وهو الاولاد والوالدون وقدم الاهم منهما من حيث الحاجة الى المال المتروك وهم الاولاد دون الاشرف وهم الوالدون — بين فرائض الزوجين وهما في المرتبة الثانية لانهما سبب لحصول الاولاد والسبب انما يقصد لاجل غيره والمسبب هو المقصود لذاته وهذا لا يعارض ما قلناه آنفا في قوة رابطة الزوجية فالوجوه في التفاضل تختلف باختلاف الاعتبارات .قال عزوجل

﴿ ولكم نصف ماترك ازواجكم ﴾ اللواتي تحققت بهن الزوجية بأكمل معناها بالدخول بهن ﴿ ان لم يكن لهن ولد ﴾ مّا منكم أو من غيركم ذكرا كان او انثى

ويراد به من سوى الاولاد والوالدين ورجح هذا بحديث يدل عليه وذكر كثير ان لفظ الكلالة مصدر يستوي فيه القليل والكثير ولا يجمع ولا يثنى ، وقال بعضهم انه صفة كالهجاجة للاحمق

وعن عمر انه كان يقول الكلالة من سوى الولد من الوارثين ، وروي انه لما طعن قال كنت أرى ان الكلالة من لا ولد له وأنا أستحي ان أخالف ابا بكر الكلالة من عدا الوالد والولد . رواهما عنه عبد الرزاق وابن ابي شيبة وابن جرير والبيهقي وغيرهم . والرواية الثالثة عنه التوقف وكان يقول ثلاث لا ن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم بيّنهن لنا احب إليّ من الدنيا وما فيها : الخلافة والكلالة والربا . رواه عبد الرزاق وابن ابي شيبة وأبو الشيخ في الفرائض والحاكم والبيهقي وغيرهم . وروى ابن راهويه وابن مردويه عن سعيد بن المسيب بسند صحيح ان عمر سأل النبي صلى الله عليه وسلم كيف يورث الكلالة ؟ قال « أوليس الله قد بين ذلك ؟ » ثم قرأ :وان كان رجل يورث كلالة الخ الآية فكأن عمر لم يفهم . فأنزل الله « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » الخ الآية فكأن عمر لم يفهم فقال لحفصة اذا رأيت رسول الله (ص) طيب نفس فاسأليه عنها فسألته فقال « أبوك ذكر لك هذا ماأرى أباك يعلمها أبدا »فكان يقول ما أراني أعلمها أبدا وقد قال رسول الله (ص) ماقال .وروى عبد الرزاق وابن أبي شيبة عن سعيد أيضا ان عمر كتب أمر الجد والكلالة في كتف (أي عظم كتف) ثم طفق يستخير ربه فقال اللهم ان علمت فيه خيرا فأمضه . فلما طعن دعا بالكتف فمحاها ثم قال كنت كتبت كتابا في الجد والكلالة وكنت أستخير الله فيه واني رأيت ان أردكم على ما كنتم عليه . فلم يدروا ما كان في الكتف . وهذه الروايات غريبة في معناها فالأمر واضح لم يشتبه فيه من دون عمر ولا من في طبقته ولله في البشر شؤون وقلما تقرأ ترجمة رجل عظيم الا وتجد فيها انه انفرد بشي غريب في بابه

ان الله تعالى انزل آيتين في الكلالة الآية التي نفسرها والآية التي في آخر هذه السورة فبين في هذه الآية ما يرثه الاخوة للام من الكلالة فقط للحاجة الى ذلك وعدم الحاجة عند نزول الآية الى بيان ما يأخذه إخوة العصب وكأنه وقع

يؤيد بعضها بعضا فلو كان من مقاصد الشريعة ان يتزوج الرجل اكثر من امرأة لجعل للذكر من الاولاد اكثر من حظ الانثيين وللزوجين والزوجات اكثر من حظ الزوج الواحدة . ولكن التعدد في نظر الشرع من الامور النادرة غير المقصودة فلم يراعه في احكامه والاحكام انما توضع لما هو الاصل الذي عليه العمل في الغالب والنادر لا حكم له

ولما بين جلت حكمته احكام الاولاد والوالدين والازواج وكل منهم يتصل بالميت مباشرة بلا واسطة شرع في بيان ما يتصل بالميت بالواسطة وهو الكلالة فقال

﴿ وان كان رجل يورث كلالة أوامرأة ﴾ اي او كانت امرأة تورث كلالة اي حال كون كل منهما كلالة اي ذا كلالة او المعنى وان كان رجل موروث كلالةً اي ذا كلالة وهو من ليس له ولد ولا والد وعليه اكثر الصحابة . واللفظ مصدر كلّ يكل بمعنى الكلال وهو الاعياء ثم استعمل للقرابة البعيدة غير قرابة الولد والوالد لضعفها بالنسبة الى قرابة الاصول والفروع وقال بعضهم كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة وحمل فلان على فلان ثم كلّ عنه اذا تباعد ومنه سميت القرابة البعيدة كلالة ذكره الرازي وجها ثانيا . وذكر وجها ثالثا هو ان الكلالة في اصل اللغة عبارة عن الإحاطة ومنه الاكليل لإحاطته بالرأس والكل لاحاطته بما يدخل فيه ويقال تكالل السحاب اذا صار محيطا بالجوانب (قال) اذا عرفت هذا فنقول من عدا الوالد والولد إنما سموا بالكلالة لانهم كالدائرة المحيطة بالانسان وكالاكليل المحيط برأسه، اما قرابة الولادة فليست كذلك فان فيها يتفرع البعض عن البعض و يتولد البعض من بعض كالشيء الواحد الذي يتزايد على نسق واحد ولهذا قال الشاعر

نسب تتابع كابرا عن كابر   كالرمح أنبوبا على انبوب

فاما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهي كالاخوة والاخوات والاعمام والعمات فانما يحصل لنسبهم اتصال وإحاطة بالمنسوب اليه اه ثم بين ان الكلالة يوصف بها الميت الموروث ويراد بها من يرثه غير أولاده ووالديه ويوصف بها الوارث

لأن المخاطبين به في عصر التنزيل كانوا يعطون جميع التركة للرجال من عصبتهم دون النساء والصغار ففرض سبحانه للنساء ما فرضه فكن شريكات للرجال، وجعل الصغار والكبار في الارث سواء" وما سكت عنه فلم يبينه بالنص ولا بالفحوى فهو مفوّض اليهم يجرون فيه على عرفهم في تقديم الاقرب من العصبات اذ لا ضرر فيه الا ان يسنّ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيه سنة فيكون اتباعها مقدما على عرفهم كما هو بديهي

ثم قال ﴿ غير مضارّ ﴾ أي ذلك الحق في الورثة يكون من بعد وصية صحيحة يوصي بها الميت في حياته غير مضارّ بها ورثته وحدد النبي (ص) الوصية الجائزة بثلث التركة وقال « والثلث كثير » كما في حديث سعد المتفق عليه فما زاد على الثلث فهو ضرار لا يصح ولا ينفذ وعن ابن عباس (رض) ان الضرار في الوصية من الكبائر أي اذا قصده الموصي، وأيضا من بعد دين صحيح لم يعقده الميت في حياته أو يقر به في حال صحته لاجل مضارة الورثة والحال أنه لم يأخذ ممن أقر له به شيئا فهذا معصية أيضا وكثيرا ما يجترحها المبغضون للوارثين لهم خصوصا إذا كانوا كلالة ولذلك جاء هذا القيد في وصية إرث الكلالة دون ما قبله لأن القصد إلى مضارة الوالدين أو الاولاد وكذا الازواج نادر جدا فكأنه غير موجود

﴿ وصية من الله ﴾ أي يوصيكم بذلك وصية منه عزّ وجل فهي جديرة بالاذعان لها والعمل بموجبها ﴿ والله عليم ﴾ بمصالحكم ومنافعكم و بنيات الموصين منكم ﴿حليم﴾ لا يسمح لكم بان تعجلوا بعقوبة من تستاؤن منه ومضارته بالوصية كما انه لم يسمح لكم بحرمان النساء والاطفال من الارث وهو لا يعجل بالعقاب في أحكامه ولا في الجزاء على مخالفتها عسى ان يتوب المخالف

بعد ذلك ارث كلالة فيه اخوة عصب وسئل النبي عن ذلك فنزلت الآية الاخرى التي في آخر السورة التي جعلت للاخت الواحدة النصف اذا انفردت وللاختين فأ كثر الثلثين وللاخ فأكثر كل التركة « فان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين » فأجمع الصحابة على ان قوله تعالى هنا ﴿ وله أخ او أخت ﴾ يعني به الأخ او الاخت من الام فقط لان الاخوين من العصب قد بين حكمها في الآية الأخرى ولان قوله ﴿ فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ﴾ يدل على انهم إنما يأخذون فرض الام فإنه اما السدس و إما الثلث واستدل المفسرون على ذلك بقراءة ابيّ بزيادة « من الام » وسعد بن ابي وقاص بزيادة « من ام » وقالوا ان القراءة الشاذة أي غير المتواترة تخصص لان حكمها حكم أحاديث الآحاد. وعندي ان هذا ليس قراءة وانما هو تفسير سمعه بعض الناس منهما فظنوا ان كلمة « من الام » قراءة وانهما يعدانها من القرآن . وارى ان كل ما روي من الزيادة على القرآن المتواتر في قراءة بعض الصحابة قد ذكر على انه تفسير ، فان لم يكن الصحابي هو الذي قصد التفسير بذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم الذي تلقى ذلك الصحابي عنه هو الذي قصد التفسير فظن الصحابي انه يريد القرآن والدليل على ذلك القراءة المتواترة عنه صلى الله عليه وسلم الخالية من هذه الزيادة . ولا دخل ههنا للفظ الراوي في الترجيح لانهم يروون الاحاديث بالمعنى

والحاصل ان الأخ من الام يأخذ في الكلالة السدس وكذلك الاخت لا فرق فيه بين الذكر والانثى لان كلا منهما حل محل امه فاخذ نصيبها . واذا كانوا متعددين اخذوا الثلث وكانوا فيه سواء لا فرق بين ذكرهم وانثاهم لما ذكرنا من العلة

وذلك ﴿ من بعد وصية يوصى بها أودين ﴾ كما تقدم في نظيره ، وفيه قراءة يوصي بفتح الصاد وكسرها كما تقدم

واما الباقي بعد فرض هؤلاء كغيرهم فهو على القاعدة التي بينها صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقوله « ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر » أي من عصبة الميت رواه أحمد والشيخان وغيرهم من حديث ابن عباس. وإنما لم يذكر هذا في القرآن

والخوف ونحو ذلك مالم يكن في سائر أهل الامصار ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية وقد روى ابو الشيخ الاصبهاني باسناده عن محمد بن سيرين انه بلغه ان قوما يفضلون لباس الصوف فقال ان قوما يتخيرون الصوف يقولون انهم متشبهون بالمسيح بن مريم وهدي بنبينا أحب الينا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس القطن وغيره أو كلاما نحوا من هذا ولهذا غالب مايحكي من المبالغة في هذا الباب انما هو من عبادة أهل البصرة مثل حكاية من مات أو غشي عليه في سماع القرآن ونحوه كقصة زرارة بن اوفى قاضي البصرة فانه قرأ في صلاة الفجر «فاذا نقر في الناقور» فخر ميتا وكقصة ابي جهير الاعمى الذي قرأ عليه صالح المرّي فمات وكذلك غيره ممن روي انهم ماتوا باستماع قراءته وكان فيهم طوائف يصعقون عند سماع القرآن ولم يكن في الصحابة من هذا حاله فلما ظهر ذلك انكر ذلك طائفة من الصحابة والتابعين كأسماء بنت أبي بكر وعبدالله بن الزبير ومحمد بن سيرين ونحوهم والمنكرون لهم مأخذان منهم من ظن ذلك تكلفا وتصنعا يذكر عن محمد بن سيرين انه قال مابيننا وبين هؤلاء الذين يصعقون عند سماع القرآن ان يقرأ على أحدهم وهو على حائط فان خرّ فهو صادق ومنهم من أنكر ذلك لانه رآه بدعة مخالفا لما عرف من هدي الصحابة كما نقل عن أسماء وابنها عبدالله والذي عليه جمهور العلماء ان الواجد من هؤلاء اذا كان مغلوبا عليه لم ينكر عليه وان كان حال الثابت أكمل منه ولهذا لما سئل الامام أحمد عن هذا فقال قرئ القرآن على يحيى بن سعيد القطان فغشي عليه ولو قدر أحد ان يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحيى بن سعيد فما رأيت أعقل منه ونحو هذا وقد نقل عن الشافعي انه أصابه ذلك وعلى بن الفضيل بن عياض قصته مشهورة وبالجملة فهذا كثير ممن لا يستراب في صدقه

لكن الاحوال التي كانت في الصحابة هي المذكورة في القرآن وهي وجل القلوب ودموع العين واقشعرار الجلود كما قال تعالى «انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون» وقال تعالى «الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله» وقال تعالى «اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا» وقال «واذا سمعوا ماانزل الى الرسول ترى أعينهم

الصوفية والفقراء (*)

﴿ فتوى لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ﴾

مسئلة عن الصوفية وأنهم أقسام والفقراء أقسام فما صفة كل قسم وما يجب عليه و يستحب له ان يسلكه ؟

الجواب : الحمد لله أما لفظ الصوفية فانه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة وانما أشتهر التكلم به بعد ذلك وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الائمة والشيوخ كالامام احمد بن حنبل وأبي سليمان الداراني وغيرهما وقد روى عن سفيان الثوري انه تكلم به و بعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري وتنازعوا في المعنى الذي أضيف اليه الصوفي فانه من اسماء النسب كالقرشي والمدني وأمثال ذلك فقيل انه نسبة الى أهل الصفة وهو غلط لانه لوكان كذلك لقيل صُفّي وقيل نسبة الى الصف المقدم بين يدي الله وهو أيضا غلط فانه لو كان كذلك لقيل صفّي وقيل نسبة الى الصفوة من خلق الله وهو غلط لانه لو كان كذلك لقيل صفوي وقيل نسبة الى صوفة بن بشر بن أدّ بن طابخة قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ينسب اليهم النساك وهذا وان كان موافقا للنسب من جهة اللفظ فانه ضعيف أيضا لان هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك ولانه لو نسب النساك الى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ولأن غالب من تكلم باسم الصوفي لا يعرف هـذه القبيلة ولا يرضى ان يكون مضافا إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الاسلام وقيل وهو المعروف انه نسبة الى لبس الصوف فانه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بين دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وعبد الواحد من أصحاب الحسن وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة

(*) المنار : ننشر هذه الفتوى ليعلم الذين يقلدون ابن حجر وغيره في قولهم ان ابن تيميه كان ينكر على الصوفية حق هذا القول من باطله ومنها امامون ان الرجل يزن كل شيء بميزان الشرع وسيرة السلف الصالح

وهذا مذموم لان سببه محظور وقد يحصل بسبب سماع الاصوات المطربة التي تورث مثل هذا السكر وهذا أيضا مذموم فانه ليس للرجل ان يسمع من الاصوات التي لم يؤمر بسماعها مايزيل عقله اذ ازالة العقل محرم ومتى أفضي اليه سبب غير شرعي كان محرما وما يحصل في ضمن ذلك من لذة قلبية أو روحية ولو بأمور فيها نوع من الايمان فهي مغمورة بما يحصل معها من زوال العقل ولم يأذن لنا الله ان نمنع قلوبنا ولا أرواحنا من لذات الايمان ولا غيرها مما يوجب زوال عقولنا بخلاف من زال عقله بسبب مشروع أو بأمر صادفه لاحيلة له في دفعه وقد يحصل السكر بسبب لافعل للعبد فيه كسماع لم يقصده يهيج قاطنه ويحرك ساكنه ونحو ذلك وهذا لاملام عليه فيه وما صدر عنه في حال زوال عقله فهو فيه معذور لان القلم مرفوع عن كل من زال عقله بسبب غير محرم كالمغمى عليه والمجنون ونحوهما ومن زال عقله بالخمر فهل هو مكلف حال زوال عقله ؟ فيه قولان مشهوران وفي طلاق من هذه حاله نزاع مشهور ومن زال عقله بالبنج يلحق به كما يقوله من يقوله من أصحاب الشافعي واحمد وقيل يفرق بينه و بين الخمر لان هذا يشتهي وهذا لايشتهي ولهذا اوجب الحد في هذا دون هذا وهذا هو المنصوص عن احمد ومذهب ابي حنيفة

ومن هؤلاء من يقوى عليه الوارد حتى يصير مجنونا إما بسبب خلط يغلب عليه و إما بغير ذلك ومن هؤلاء عقلاء المجانين الذين يعدون في النساك وقد يسمون المولهين قال فيهم بعض العلماء هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولا وأحوالا فسلب عقولهم الهم وأسقط وأبقى أحوا مافرض لما سلب فهذه الاحوال التي يقترن بها الغشى أو الموت أو الجنون أو السكر أو الفناء حتى لا يشعر بنفسه ونحو ذلك اذا كانت أسبابها مشروعة وصاحبها صادقا عاجزا عن دفعها كان محموداً على مافعله من الخير وما ناله من الايمان معذورا فيما عجز عنه وأصابه بغير اختياره وهم أكمل ممن لم يبلغ منزلتهم لنقص ايمانهم وقسوة قلوبهم ونحو ذلك من الاسباب التي تتضمن ترك مايحبه الله أوفعل مايكرهه الله

ولكن من لم يزل عقله مع انه قد حصل له من الايمان ماحصل لهم أو مثله وأكمل منه فهو افضل منهم (* وهذه حال الصحابة رضي الله عنهم وهو حال نبينا صلى الله

*) المنار : هذه المرتبة الثالثة وهي العليا ولم يصرح هنا بالعدد

تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » وقال « ويخرّون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا» وقد يذم حال هؤلاء من فيه من قسوة القلوب والرَّين عليها والجفاء عن الدين ماهو مذموم وقد فعلوا، ومنهم من يظن ان حالهم هذا أكمل الاحوال وأتمها وأعلاها وكلا طرفي هذه الامور ذميم

بل المراتب ثلاث احداها حال الظالم لنفسه الذي هو قاسي القلب لا يلين للسماع والذكر وهؤلاء فيهم شبه من اليهود قال الله تعالى « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون » وقال تعالى «ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون »

والثانية حال المؤمن التقي الذي فيه ضعف عن حمل مايرد على قلبه فهذا الذي يصعق صعق موت أو صعق غشي فإن ذلك انما يكون لقوة الوارد وضعف القلب عن حمله وقد يوجد مثل هذا فيمن يفرح أو يخاف أو يحزن أو يحب أمورا دنيوية يقتله ذلك أو يمرضه او يذهب بعقله . ومن عباد الصور من أمرضه العشق أو قتله أو جننه وكذلك في غيره ولا يكون هذا الا لمن ورد عليه أمر ضعفت نفسه عن دفعه بمنزلة مايرد على البدن من الاسباب التي تمرضه أو تقتله أو كان أحدهم مغلوبا على ذلك فاذا كان لم يصدر منه تفريط ولا عدوان لم يكن فيه ذنب فيما أصابه فلا وجه للريبة كما سمع القرآن السماع الشرعي ولم يفرط بترك مايوجب له ذلك وكذلك مايرد على القلوب مما يسمونه السكر والفنا ونحو ذلك من الامور التي تغيب العقل بغير اختيار صاحبها فانه اذا لم يكن السبب محظورا لم يكن السكران مذموما بل معذورا فان السكران بلا تمييز وكذلك قد يحصل ذلك بتناول السكر من الخمر والحشيشة فانه يحرم لا نزاع بين المسلمين ومن استحل السكر من هذه الامور فهو كافر وقد يحصل بسبب محبة الصور وعشقها كما قيل :

سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفاقة من به سكران

أمرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم » وقال «لا يكلف الله نفسا الا وسعها» وان كثيرا من المؤمنين المتقين اولياء الله قد لا يحصل لهم من كال العلم والايمان ما حصل للصحابة فيتقي الله ما استطاع ويطيعه بحسب اجتهاده فلا بد ان يصدر منه خطأ اما في علومه واقواله واما في اعماله واحواله ويثابون على طاعتهم و يغفر لهم خطاياهم فان الله تعالى قال « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير — الى قوله — ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا » قال الله تعالى قد فعلت. فمن جعل طريق احد من العلماء والفقهاء أو طريق احد من العباد والنساك افضل من طريق الصحابة فهو مخطيء ضال مبتدع ومن جعل كل مجتهد في طاعة اخطأ في بعض الامور مذموما معيبا ممقوتا فهو مخطيء ضال مبتدع.

ثم الناس في الحب والبغض والموالاة والمعاداة هم ايضا مجتهدون يصيبون تارة ويخطئون تارة وكثير من الناس اذا علم من الرجل ما يحبه احب الرجل مطلقاً واعرض عن سيآته واذا علم منه ما يبغضه أبغضه مطلقاً واعرض عن حسناته محاط(؟) وحال من يقول بالتحافظ(؟) وهذا من أقوال أهل البدع والخوارج والمعتزلة والمرجئة وأهل السنة والجماعة يقولون ما دل عليه الكتاب والسنة والاجماع وهو ان المؤمن يستحق بوعد الله وفضله الثواب على حسناته ويستحق العقاب على سيئاته وإن الشخص الواحد يجتمع فيه ما يثاب عليه وما يعاقب عليه وما يحمد عليه وما يذم عليه وما يحب منه وما يبغض منه فهذا هذا.

واذا عرف ان منشأ التصوف كان من البصرة وانه كان فيها من يسلك طريق العبادة والزهد مما له فيه اجتهاد كما كان في الكوفة من يسلك من طريق الفقه والعلم ما له فيه اجتهاد وهؤلاء نسبوا الى اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف فقيل في أحدهم صوفي وليس طريقهم مقيدا بلباس الصوف ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به لكن أضيفوا اليه لكونه ظاهر الحال

ثم التصوف عندهم له حقائق وأحوال معروفة قد تكلموا في حدوده وسيرته وأخلاقه كقول بعضهم الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر، واستوى

عليه وسلم فانه أسري به الى السماء وأراه الله ماأراه وأصبح كبائت لم يتغير عليه حاله فحاله أفضل من حال موسى صلى الله عليه وسلم الذي خر صعقا لما تجلى ربه للجبل وحال موسى حال جليلة علية فاضلة لكن حال محمد صلى الله عليه وسلم اكمل واعلا وافضل .

والمقصود ان هـذه الامور التي فيها زيادة في العبادة والاحوال خرجت من البصرة وذلك لشدة الخوف فان الذي يذكرونه من خوف عتبة الغلام وعطاء السليمي وامثالهما امر عظيم ولا ريب ان حالهم اكمل وافضل ممن لم يكن عنده من خشية الله ما قابلهم او تفضل عليهم ومن خاف الله خوفا مقتصدا يدعوه الى فعل مايحبه الله وترك مايكره الله من غير هذه الزيادة فحاله أكمل وأفضل من حال هؤلاء وهو حال الصحابة رضي الله عنهم وقد روي ان عطاء السليمي رضي الله عنه رؤيَ بعد موته فقيل له مافعل الله بك ؟ فقال قال لي ياعطاء أما استحيت مني أن تخافني كل هذا أما بلغك اني غفور رحيم .

وكذلك مايذكر عن أمثال هؤلاء من الاحوال من الزهد والورع والعبادة وأمثال ذلك قد ينقل فيها من الزيادة على حال الصحابة رضي الله عنهم وعلى ماسنه الرسول أمورا توجب ان يصير الناس طرفين قوم يذمون هؤلاء وينتقصونهم وربما أسرفوا في ذلك وقوم يغلون فيهم ويجعلون هذا الطريق من اكمل الطرق وأعلاها والتحقيق انهم في هذه العبادات والاحوال مجتهدون كما كان جيرانهم من اهل الكوفة مجتهدين في مسائل القضاء والامارة ونحو ذلك وخرج فيهم الرأي الذي فيه من مخالفة السنة ما انكره جمهور الناس وخيار الناس من اهل الفقه والرأي في اولئك الكوفيين على طرفين قوم يذمونهم ويسرفون في ذمهم وقوم يغلون في تعظيمهم ويجعلونهم اعلم بالفقه من غيرهم وربما فضلوهم على الصحابة كما ان الغلاة في اولئك العباد قد يفضلونهم على الصحابة وهذا باب يفترق فيه الناس

والصواب للمسلم ان يعلم ان خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وخير القرون القرن الذي بعث فيهم وان افضل الطرق والسبل الى الله ما كان عليه هو واصحابه ويعلم من ذلك ان على المؤمنين ان يتقوا الله بحسب اجتهادهم ووسعهم كما قال الله تعالى « فاتقوا الله مااستطعتم » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا

السلمي في طبقات الصوفية وذكره الحافظ ابو بكر الخطيب في تاريخ بغداد .

فهذا أصل التصوف ثم انه بعد ذلك تشعب وتنوع وصارت الصوفية ثلاثة أصناف صوفية الحقائق وصوفية الارزاق وصوفية الرسم فأما صوفية الحقائق فهم الذين وصفناهم وأما صوفية الارزاق فهم الذين وقفت عليهم الوقوف كالخوانك فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق فان هذا عزيز وا كبر أهل الحقائق لا يتصدون بلوازم الخوانك ولكن يشترط فيهم ثلاثة شروط احدها العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم ، والثاني التأدب بآداب أهل الطريق وهي الآداب الشرعية في غالب الاوقات واما الآداب البدعية الوضعية فلا يلتفت اليها ، والثالث ان لا يكون احدهم متمسكا بفضول الدنيا فاما من كان جماعا للمال أو كان غير متخلق بالاخلاق المحمودة ولا يتأدب بالآداب الشرعية أو كان فاسقا فانه لا يستحق ذلك . وأما صوفية الرسم فهم المقصرون على النسبة فهمهم في اللباس والاداب الوضعية ونحو ذلك فهؤلاء في الصوفية بمنزلة الذي يقتصر على زي اهل العلم وأهل الجهاد ونوع ما من اقوالهم واعمالهم بحيث يظن الجاهل حقيقة أمره انه منهم وليس منهم

واما اسم الفقير فانه موجود في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لكن المراد به من الكتاب والسنة الفقير المعادل للغني كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (؟) والفقراء والفقر انواع فمنه المسوغ لاخذ الزكاة وضده الغنى المانع المحرم لاخذ الزكاة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تحل الصدقة لغني ولا لقوي مكتسب » والغنى الموجب للزكاة غير هذا عند جمهور العلماء كمالك والشافعي واحمد وهو ملك النصاب وعندهم قد يجب على الرجل الزكاة ويباح له اخذ الزكاة خلافا لابي حنيفة والله سبحانه قد ذكر الفقراء في مواضع لكن ذكر الله الفقراء المستحقين للزكاة في آية والفقراء المستحقين للفيء في آية فقال في الأولى « ان تبدوا الصدقات فنعمّا هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم — الى قوله — للفقراء المهاجرين الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا » وقال في الثانية « ما افاء الله على

عنده الذهب والحجر، التصوف كتمان المعاني ، وترك الدعاوي، واشباه ذلك. وهم يسيرون بالصوفي الى معنى الصديق وأفضل الخلق بعد الانبياء الصديقون كما قال الله تعالى « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » ولهذا ليس عندهم بعد الانبياء أفضل من الصوفي لكن هو في الحقيقة انوع من الصديقين فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي جتهدوا فيه فكان الصديق من أهل هذه الطريق كما يقال صديقو العلماء وصديقو الأمراء فهو أخص من الصديق المطلق ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم، فاذا قيل عن أولئك الزهاد والعباد من البصريين انهم صديقون فهو كما يقال عن أئمة الفقهاء من أهل الكوفة انهم صديقون أيضا كل بحسب الطريق الذي سلكه من طاعة الله ورسوله بحسب اجتهاده وقد يكونون من أجلّ الصديقين بحسب زمانهم فهم من أكمل صديقي زمانهم وان الصديق في العصر الاول أكمل منهم والصديقون درجات وأنواع ولهذا يوجد لكل منهم صنف من الاحوال والعبادات حققه وأحكمه وغلب عليه وان كان غيره في غير ذلك الصنف أكمل منه وأفضل منه .

ولاجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه تنازع الناس في طريقهم فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا انهم مبتدعون خارجون عن السنة ونقل عن طائفة من الائمة في ذلك من الكلام ما هو معروف وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام ، وطائفة غلت فيهم وادعوا انهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الانبياء وكلا طرفي قصد الامور ذميم والصواب انهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أولا يتوب ومن المنتسبين اليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه وقد انتسب اليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاّج مثلا فان أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه عن الطريق مثل الجنيد محمد سيد الطائفة وغيره كما ذكر ذلك الشيخ ابو عبد الرحمن

بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذ بي لاعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعله كترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولابد له منه» وهذا الحديث قد بين فيه أولياء الله المقتصدين أصحاب اليمين المقربين والسابقين ؛ فالصنف الاول الذي تقربوا الى الله بالفرائض والصنف الثاني الذي تقربوا اليه بالنوافل بعد الفرائض وهم الذين لم يزالوا يتقربون اليه بالنوافل حتى أحبهم كما قال تعالى وهذان الصنفان قد ذكرهم الله في غير موضع من كتابه كما قال «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات» وكما قال الله تعالى «ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون * تعرف في وجوههم نضرة النعيم * يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون * ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون» قال ابن عباس يشرب بها المقربون صرفا وتمزج لاصحاب اليمين مزجا وقال تعالى ان «الابرار يشربون من كأس كان مزاجها زنجبيلا * عينا فيها تسمى سلسبيلا» وقال تعالى «وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ماأصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون» وقال تعالى «فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم. واما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين»

وهذا الجواب فيه جمل تحتاج الى تفصيل طويل لم يتسع له هذا الموضع والله اعلم

﴿ الشيعة والمسلمون ﴾

سئلنا عن قولنا في البابية انهم ليسوا من الشيعة ولا من المسلمين ألا يفيد هذا القول ان الشيعة أيضاً ليسوا بمسلمين ؟ فقلنا : لا بل هذا من باب المقابلة بين العام والخاص لما هو معلوم عند قراء المنار وغيرهم من كون الشيعة مسلمين والقاعدة انه اذا قوبل الخاص بالعام يراد بالعام ما وراء الخاص فاذا قلت ان فلانا ليس بسوري ولا عثماني كان المراد بلفظ العثماني ما يشمل غير السوريين من العثمانيين ولا يدل على ان السوري ليس بعثماني . فلما كانت الشيعة فرقة من المسلمين وعينا ان يكون طائفة البابية منهم وان ظهرت فيهم كان لظان ان يظن ان البابية قد خرجت من مذهب الشيعة بمخالفته في المسائل التي كان بها مذهبا خاصا فقط وبقوا على اصل عقائد الاسلام التي لا خلاف فيها بين الشيعة وغيرهم فبينا ان ذلك ايضا غير صحيح وانهم ليسوا من المسلمين مطلقا

رسوله من اهل القرى ـ الآية الى قوله ـ للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا و ينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون »

وهؤلاء الفقراء قد يكون فيهم من هو افضل من افضل من كثير من الاغنياء وقد يكون من الاغنياء من هو افضل من كثير منهم وقد تنازع الناس ايما افضل الفقير الصابر او الغني الشاكر والصحيح ان افضلها اتقاهما فان استويا في التقوى استويا في الدرجة كما قد بيناه في غير هذا الموضع فان الفقراء يسبقون الاغنياء الى الجنة لا حساب عليهم ثم الاغنياء يحاسبون فمن كانت حسناته ارجح من حسنات فقير كانت درجته في الجنة اعلى وان تأخر عنه في الدخول ومن كانت حسناته دون حسناته كانت درجته دونه لكن لما كان جنس الزهد في الفقر اغلب صار الفقر في اصطلاح كثير من الناس عبارة عن طريق الزهد وهو من جنس التصوف فاذا قيل هذا فيه فقر او ما فيه فقر لم يرد به عدم المال ولكن يراد به ما يراد باسم الصوفي من المعارف والاحوال والاخلاق والآداب ونحو ذلك وعلى هذا الاصطلاح قد تنازعوا ايما افضل الفقير او الصوفي فذهب طائفة الى ترجيح الصوفي كابي جعفر السهروردي ونحوه وذهب طائفة الى ترجيح الفقير كطوائف كثيرين وربما يختص هؤلاء بالزوايا وهؤلاء بالخوانك ونحو ذلك واكثر الناس قد رجحوا الفقير والتحقيق ان افضلهما اتقاهما فان كان الصوفي اتقى لله كان افضل منه وهو ان يكون أعمل بما يحبه الله وأترك لما لا يحبه فهو افضل من الفقير وان كان الفقير أعمل بما يحبه الله وأترك لما لا يحبه كان افضل منه، فان استويا في فعل المحبوب وترك غير المحبوب استويا في الدرجة، واولياء الله هم المؤمنون المتقون سواء سمي احدهم فقيرا او صوفيا او فقيها او عالما او تاجرا او جنديا او صانعا أو اميرا او حاكما او غير ذلك

قال الله تعالى «ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون » وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى «من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب اليّ عبدي بمثل ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي

ان سكوتنا هذا يحمله الجاهلون على المسكنة المتأصلة بفطرتنا والمفسدة الموجودة في ديننا « حاشا ثم حاشا »

قد وصلنا الى درجة من الجهل أصبحنا بها نسمع ألفاظ العداء من لسان الاوداء، لا من لسان الاعداء ، حتى أصبحنا عرضة لامثال هذه الاقوال اللئيمة : « أي شيء رقاه المسلمون ؟ بل أي شيء أمكن للمسلمين ان يرتقوا به؟»

هنا يتهافت اخواننا و بنو قومنا بدون ان يعملوا فكرتهم الى القول بان أوربا تحارب الدين غير عالمين كيف تحارب أوربا الدين وأي دين تحارب ! فيعلقون باشراك الشبهات والاضاليل غير متفكرين بمرامي كلامهم وما يجره من الرزايا والكوارث ومتخيلين ان الترقي الحاضر لم ينشأ الا عن محاربة الدين !

أليس القول . بأي شيء ارتقى المسلمون ؟ يرمي الى ان الاسلام مانع من التمدن ؟ ؟ تالله ان البلاهة الموجودة عندنا هي من الغرابة بمكان ، ان قائل هذا القول يعلم يقينا ان الاندلس و بغداد كانتا منبعا للتمدن الأوربي الحالي، ومصدرا للعلم الحاضر، فهل كان الدين الاسلامي في ذلك الحين غير الدين الاسلامي اليوم؟ فما هذا التناقض!

كيف يمكن ان تكون شريعتنا الاسلامية وهي جامعة لقواعد الارتقاء والتمدن حاجزا في طريق الترقي ؟

ان نظرة سطحية الى احكام الدين الاسلامي تكفي لأن يتبين منها بانها أساس متين للارتقاء ونظام مكين للعلاء

نعم نحن نعترف بان المسلمين لهذا العهد قد وصلوا الى درجة من الامتهان والازدراء بحيث لو ادعوا وهم على حالتهم الحاضرة بانهم مرتقون لاصبحوا سخرية، لكن في هذه الحالة لا يجب ان نلقي الذنب عليهم لكونهم مسلمين ، بل يجب ان نلقي الذنب عليهم لكونهم غير مسلمين حقيقة ، وما ذاك إلا لانهم لم يعملوا بالاحكام الاسلامية على وجوهها ، بل خالفوا الشرع ونبذوا الامور الإلهية وراء ظهورهم ، والا فان الاندفاع الى إنكار سماحة الدين الاسلامي وتساهله مع العلم

مكة المكرمة (*

﴿ والجرائد العربية ﴾

ان لدينا اليوم حكومة مهمة مالكة لجميع حقوقها المدنية ومركزنا السياسي وموقعنا الجغرافي لا يضاهيه مركز ولا يضارعهُ موقع وفي يدنا نعمة عظيمة تقدر بنعم الدنيا كلها وهي نعمة « الخلافة » على الأمم الاسلامية كلها

نحن أرقى الجميع في العلم والعرفان فلماذا لا نتأثر من الذل الذي يلحق اخواننا في بخارى ؟ لماذا نظل فاقدي الشعور امام المصائب التي تنزل باخواننا في مراكش ؟

ألم يكفنا أننا تسفلنا إلى درجة كدنا نضمحل فيها بالتعلل بلفظ « لا يصير » و « ما يعنينا » ؟

ألم يكف باننا قد جعلنا تحت الارض قيد الذل والاسر مئات الملايين من اخواننا في الدين بسبب عدم التفاهم ؟

هل نحن واقفون على الحالة السياسية والضغطية الموجود فيها إخواننا المسلمون في أوستراليا وفي جاوة ؟ هل نحن مطلعون على طرز ادارة المسلمين في الصين وأحوالهم المعاشية ؟ لا نذهب بعيداً ، هل نحن على علم تام بمصائب متاخمينا ومجاورينا الايرانيين ؟ أو على المام بذل القفقاسيين ؟ أو سفالة القريميين ؟ أو سياسة الصربيين ؟ أو سائر أحوال غيرهم من المسلمين ؟

لنترك هؤلاء أيضا . هل تذرعنا لانقاذ جزيرة العرب التي تبلغ ثلاثة اضعاف بلاد البلغار من الجهل المخيم عليها منذ قرون ؟

أليس ذلك عارا علينا ؟ ان اهمالنا لهذه الدرجة مما تحار له عقول ذوي العقول ؟ أيها المؤمنون ما هذه الغفلة ؟ أيها المسلمون ما هذا الاهمال ؟ لماذا بقينا متخاذلين متشتتين ؟ لماذا وصلنا الى هذه الدرجة من الحيرة ؟

(* مقال لمحمد عالم افندي من كتاب الترك وعلمائهم نشر في مجلة « صراط مستقيم » التي تصدر في الاستانة وقد نشر مترجما في مجلة النبراس ولخصته جريدة المفيد وعنها أخذنا

يعود عليهم بالنفع ويتفكرون في الوسائل التي تجعلهم جسدا واحدا إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بل يجعلهم يقرون على خطة يسيرون عليها سعيا وراء كل ما يرمون اليه من الآمال الكبيرة

الاجتماع في الحج واقتداء مئات الالوف بامام واحد وقت الصلاة يصور للمسلمين الاتحاد مجسما الاجتماع في الحج يجعل المسلمين مطلعين على شئون مجموعهم في كل حين. الاجتماع في الحج يجعل أمل المسلم في طنجه هو نفس أمل المسلم في كشمير ويجعل ما يشعر به « أحمد » في القزان يشعر به « محمد » في الترنسفال

أيها القوم ! أليس من الاسف ان تكون أوامر ديننا بهذه الدرجة العالية من الحكمة ونحن نعد اداء الصلوات الخمس فضلا عن اداء فريصة الجمعة والحج أشبه بعمل زائد ؟ ؟

من منا يهتم بشأن الصلاة ؟ على اننا وان صلينا فانا نعد الذهاب الى الجامع عملا لا لزوم له !

أيها القوم ! لنفكر بانصاف : اذا كنا نحن لا نهتم بأمر الاجتماع الذي يأمر به الدين فهل يكون الذنب على الدين أم على أهل الدين ؟ ؟ نعم ان دور الاستبداد كان يمنعنا عن التصريح بأمثال هذا الكلام بل كان يمنعنا عن التفكر به . اما اليوم فانه لا يقف بوجهنا حاجز عن التصريح بكل حقيقه ، كلنا نتمنى ان نرى الدولة العثمانية دولة عزيزة الحمى ، منيعة الجانب مرهوبة الشبا ، لكن يا ترى لماذا لا تتذرع بالوسائل التي تقوي العنصر الاصلي للاسلام « وهو العنصر العربي » بل لماذا لا تقوي الاسلام نفسه ! ؟ أول عمل يجب الشروع به في رأي هذا العاجز هو توثيق روابط الاتحاد وتحكيمها كما نحن مأمورون شرعا ، والاتحاد لا يؤيد ولا يوثق إلا بانشاء جرائد عربية خاصة تنتشر وتعمم

اللسان الفرنسوي يعده الاوربيون اللسان الرسمي العمومي بينهم ، واللسان العربي يعده المسلمون اللسان الرسمي الديني العمومي بينهم — اية بلدة أو مملكة إسلامية تعد اللسان العربي غريبا ؟ اية جمعية إسلامية تعد الكتاب العربي اجنبيا ؟ — وعليه فأي شأن من الشؤون النافلة تقصر الجرائد العربية عن القيام بادائه

والارتقاء استنادا على جهل بنيه هو أشبه بالاستدلال على حسن رجل أو قبحه من خيوط شعره الموجودة في اليد

إن الدين الاسلامي يأمرنا بالاجتماع في محل واحد خمس مرات في النهار ولا ريب ان هذا الاجتماع يرمي الى كثير من المعاني الدقيقة والاشارات الرقيقة شأن الاوامر والنواهي الاسلامية كلها

أيها القوم ! يجب علينا ان نجتمع ، يجب علينا ان يرى بعضنا بعضا ، يجب على كل منا ان يبحث عن الآخر ، يجب علينا ان نسأل عن المتخلف عن الحضور يجب ان نعلم ما هي حالته ، أو ما الذي دعاه الى التخلف ، فاذا كان ثمة من كرب أو كارثة فلنجتهد بازالة كربه ، فاننا بهذا العمل نكون متعاونين على البر ، بل نكون جددنا اتحادنا واتفاقنا في كل وقت ، والا فلو كانت الغاية من الصلاة جماعة هي نفس الصلاة لكانت صلاة الانسان في أي محل يستسهله ممدوحة ومباحة عملاً بقوله تعالى « ما جعل عليكم في الدين من حرج »

إن صلاة الجماعة كما تكون وسيلة حسنة لاجتماع أهالي محلة واحدة وسببا لتعارفهم واتفاقهم في كل يوم خمس مرات تكون لاهل البلدة كلها في جامع واحد في الاجتماع لصلاة الجمعة ولذلك اختلف في جواز صلاة الجمعة في جامعين في بلدة واحدة

واجتماع الناس في صعيد واحد يتسنى به للخطيب ان يلقي عليهم المواعظ والنصح و يطلعهم على الشؤون الاسلامية بصورة إجمالية

ثم ان الدين الاسلامي قد أمر باجتماع آخر أعم وأشمل وأكثر تأثيرا وهو اجتماع أغنياء المسلمين في العالم في صعيد واحد كل سنة

وعليه فان أغنياء المسلمين النافذي الكلمة من كل مملكة وكل بلدة يجتمع بعضهم ببعض مرة في العمر على الاقل في محل عينه الشارع وجعل شد الرحال اليه فرضا وهنالك يتفاوضون مع سفراء اخوانهم في الدين و يتعارفون و يتعرفون شئون اخوانهم النائين ومن الحكمة في هذا الفرض انه جعل فرضا على الآباء والابناء على السواء فاذا حج الوالد فلا يسقط عن الولد

يجتمع المسلمون في هذا الموقف في الوقت المعين فيمتزجون و يتباحثون فيما

نعم ان التأسف على الماضي لا يجدي بيد ان الذي يجدي هو أن نجدّ ونجتهد لكي نجعله ماضيا و بعبارة أوضح هو ان نجد ونجتهد لكي لا نجعل الآتي كالماضي

اقول بكل صراحة اننا اذا اردنا ان ننهض بالامة الاسلامية يجب علينا ان نوجه كل اهتمامنا الى مكة . . لان . . . . الوسائل التي تنهض بالدولة العثمانية وتجعلها في عداد الدول القوية التي تأبى ان تغلب انما تنالها بتلك الارجاء

يجب علينا ان نجعل لتلك الارجاء اهمية سياسية كاهمية العاصمة نفسها لانها منبع علومنا المدنية ومقر سياستنا الاسلامية

يجب ان ننشر بتلك الارجاء جميع الجرائد والكتب التي تطبع باللغات الاسلامية

يجب ان تُلقى الخطب الاجتماعية بتلك الارجاء . يجب ان تفتح اهم مكاتبنا (المدارس) في تلك الارجاء

يجب ان توزع من تلك الارجاء بذور الاتحاد على جميع انحاء العالم

يجب ان نجعل تلك الارجاء بدرجة اذا رأى بها احد مكة المكرمة يظن انه رأى الممالك الاسلامية و يعتقد بانه اطلع على زيادة آمال الامة

يجب ان يقتنع المسلم الذي يحب الوقوف على الشئون الاسلامية بانه اذا رأى مكة المكرمة اصبح واقفا على انموذج احوال الامة لدرجة كافية

يجب علينا ان نجعل هداتنا « اهالي مكة » يتخرجون من كلية علمية منظمة . يجب ان يدخل اهالي مكتنا المكرمة في دور عمراني مهم . ان هذا المقام مقدس وكل يوم نوجه وجوهنا اليه خمس مرات . اذا كانت الاستانة وجهتنا في المعاملات فمكة وجهتنا في العبادات اذا كانت الاستانة مركز خلافتنا فمكة مركز دياناتنا

اني اعتقد ان المسلمين لا يستفيدون استفادة حقيقية من المدنية الاسلامية التي هي المدنية الحقيقية الا باتخاذ مكة المكرمة مركزا للعلم والحضارة

ربما يتخيل بعض الناس ان اتخاذ مكة المكرمة مركزا للعلم والحضارة يضر بالاستانة نفسها ، لكن اظن أن المدنية الاسلامية والعلوم الحقيقية اذا نشرت في مكة على وجهها الحقيقي لا تنتج أقل ضرر فيجب ان نجعلها مثابة للعلم ، ومهبطا ومركزا للتقسيم

اننا وايم الله لنأسف كل الاسف لاننا لم نتذرع حتى الآن بشي من هذا القبيل بل اني أعد عدم تذرعنا بذلك عاراً نعم يجب علينا لتحويل حركة الرأي العام الى هذه الجهة ان نعقد المجتمعات والمؤتمرات ولكن في أي مكان نعقدها ؟

انه يوجد لهذه الغاية الشريفة محل مبارك هو أهم من الاستانة ومصر ويمكن ان يتخذ مركزا وهو مكة المكرمة كرمها الله الى يوم القيامة

اذا كان صوت الشريعة الغراء يجمع كل سنة مئات الالوف من الحجاج واذا كان كثير من ذوي الثروة والكلمة النافذة من كل ارجاء الارض مكلفين أن يعرفوا هذه الجهة المقدسة أفلا نستفيد نحن شيئا ؟ اننا مع الاسف لم نعمل شيئا حتى الآن لكن مادامت غايتنا الآن العمل على ترقية الامة الاسلامية فان تلك الخطة هي احسن وسيلة للوصول الى مانرمي اليه

واأسفاه ! ان حجاجنا الذين يجتمعون في تلك الارجاء تراهم بسبب رزية جهلهم وسيئة عدم وجود مرشد لهم يكتفون بمواجهة بعضهم لبعض فقط فلا يتطرقون الى البحث في احوالنا لا لديني منها ولا الدنيوي

عقد في الايام الاخيرة في مدينة «موسكو» مؤتمر مؤلف من جميع ارجاء بلاد السلاف ان تصور هذا المؤتمر وحده كاف لان يصور لنا مقدار الفوائد العظيمة التي نالها اصحابه منه وما نتج لنا من الضرر الذي لحقنا منذ زمن قريب بسببه

ان هذا المؤتمر لا يمكن ان يجتمع به أكثر من مئة أو مئتي شخص واذا بلغ الغاية فانه يجمع الف نفس ليس الا . ومع ذلك فانهم قد حلوا بواسطته عدة مشاكل ونالوا ما كانوا يطمحون اليه

اما نحن فما الذي صنعناه ؟ نعم ما الذي صنعناه نحن ؟ اننا الى الآن لم نقدر ان نمدن ما حوالي مكة . بل اننا نحن الي الآن لم نقدر ان نفهمهم باننا مسلمون مثلهم

العربان في تلك الارجاء لم يزالوا حتى اليوم يعدون قتل المسلم الحاج حلالا مباحا طمعا بسلب ثلاث أوخمس ليرات منه !

العربان في تلك الارجاء لم يزالوا حتى اليوم يعدون كل من لا يحسن التكلم بالعربية من حجاج بيت الله الحرام مشركا

يجب علينا ان نجد ونجتهد لنقدر ان نطبق علينا (حقوق الدول)

ايها المسلمون ! يجب ان تنتبهوا فان القافلة قد شدت الرحال وغذت في المسير والسلام على من اتبع الهدى اه

(المنار) طرقنا باب هذا البحث : بحث جعل مكة مهد الاصلاح الاسلامي، في السنة الاولى من المنار وفصلنا القول فيما يجب منه تفصيلا ، ووجهنا الخطاب في ذلك الى مقام الخلافة في الاستانة لا لاننا كنا نرجو من ذلك المقام القيام بالاصلاح المطلوب فاننا كنا على قلة ما نعلم من سيئات الحكم الحميدي في ذلك العهد لم نكن مغترين بذلك السلطان ومن ذوي الرجاء فيه بل كتبنا ذلك ليفكر فيه المفكرون فيقوى الاستعداد له ، اما وقد صار شكل حكومتنا دستوريا فان لنا رجاء في كل إصلاح ولكن يعوزنا الرجال المنفذون، يعوزنا الرجال القادرون ، يعوزنا الرجال ، الرجال ، الرجال ، فهل من وسيلة لايجاد الرجال ؟؟

والتوزيع ، لان موقعها اشرف المواقع بلا استثناء ، وقد اختارها رب الأرباب من بين البلدان كافة وجعلها مقر بيته الحرام · وقبلة المسلمين في جميع أرجاء الارض

وعليه فان مكة أنفع للحكومة العثمانية من كل جهة ، بل ومن كل وجهة واذا فكر أولياء الامور واولو الشأن وارباب الاقلام منا بهذه النقطة الدقيقة فلاشك في انهم يجزمون بالفوائد الكثيرة التي ننالها

اليس الواجب ان تشمل تلك الارجاء السياحات النافعة المفيدة التي يجريها امثال اسماعيل غصبرنسكي وغيره من الغيورين المتفانين باعلاء كلمة الدولة والامة؟ اليس من الواجب ان لايحرم الحجاج المسلمون من ارشادات هؤلاء الافاضل

ايها القوم ! علينا بالعمل · يجب أن يبدأ بالارشاد من مكة · يجب ان ترسل اوراق الدعوة الى افاضل الامة وانا على يقين بانه لا تمضي مدة الا والعالم الاسلامي قد انتقل من طور الى طور

أيها القوم ! ان العرب ، والمصريين ، والمراكشيين ، والزيديين ، والايرانيين والافغانيين ، والهنديين ، والصينيين ، والجاويين ، والبخاريين ، والاتراك ، والاكراد واللازيين ، والالبانيين ، والجراكسة — كلهم قد ولوا وجوههم نحونا ينتظرون كلمة (الدعوة) لتصدر منهم كلمة (الاجابة) حالا

ايها القوم ! ان الالمانيين والمجريين والسكسونيين والسلافيين والاغريقيين كلهم باذلون قصارى جهدهم وراء الاتحاد والاتفاق

ايها القوم ! ان بقاءنا مهملين أمر المحافظة على كياننا وحقوقنا أمام الامم أجمع هو من الجرائم الكبيرة التي لا تغتفر بوجه من الوجوه

ايها القوم ! لماذا التقاعس ؟ لماذا لا نبحث عن الوسائل التي تمدن المسلمين كافة وتجعلهم متمدنين ؟ ألسنا من بني الانسان !

ايها القوم ! يجب ان نزيل الاقذاء المغشية على صماخ آذاننا لعلنا نسمع بها كيف ان الامم تجد وتجتهد لتكون في مركز يهدد كيان غيرها

ايها القوم ! اننا نسمع الذين يلقبون بلقب (لورد) او (موسيو) يأسفون لوجود قسم من بني الانسان يسمى المسلمون ! فما هذا الذل ؟ وما هذا العار ؟ افلا

اولا : خلق الله الناس في بدء خلقتهم متساويين(؟) لغرض واحد فلاشقي بينهم ولا سعيدا ثم اخرجهم في الحياة الدنيا لعبادته كالآية « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » فحصر الغرض من الخلقة في العبادة وحدها يدل على تساوي أصل الناس في بدءالنشأة

ثانيا : قال تعالى : « كان الناس امة واحدة » وهذا يدل صريحا على ان الناس كانوا كواحد في بدء الخلقة لا تمييز بين انسان وآخر ولا وجود لشقي بينهم ولا لسعيد

ثالثاً : قال تعالى : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا .. » فهذه الآية تدل على ان ذرية بني آدم بلا استثناء وهم في ظهور آبائهم كانوا مطبوعين على تأليه الخالق وتوحيده بلا شرك فيدخل في ذلك بالطبع ذرية اليهودي والمجوسي والبوذي والبرهمي والمسيحي والمسلم والمادي والدهري والكافر والمؤمن مما يثبت توحيد الناس ومساواتهم في بدء الخلقة وقد ولدوا من بطون أمهاتهم بالبداهة على هذه الطهارة فكيف تقولون انه بدأهم قسمين و يعيدهم عليها !

رابعا : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « كل مولود يولد على الفطرة » والولادة على الفطرة كما لا يخفى عليكم هي الولادة على الاصل الطاهر الخالي من نزغات الشرك وخلافه فلا يوجد إذا في بدء الخلقة تقسيم

(١٦ — سير الناس على نظام ذو (؟) وجهين) لعلكم تتساءلون بعد ذلك وتقولون إذا سلمنا بان الناس متساوون في بدأ الخلقة لا شقيا ولا سعيدا فكيف ينقسمون في الآخرة اليها .. وكيف يتفق علم الله الأزلي الثابت على ذلك في الحياتين ؟

فأقول لكم إن الله تعالى أخرج الناس إلى الحياة الدنيا على الفطرة طاهرين وحمل لهم بارادته نظاما يسيرون عليه بعد ان منحهم الاستقلال الذاتي والحرية غير ان هذا النظام ذو وجهين متضادين كما قال تعالى « وهديناه النجدين » أي الطريقين المتضادين . طريق الخير وطريق الشر في آن واحد ولما كانت الطبيعة الانسانية متركبة بكيفية تلائم الطريقين المذكورين غير انها لا يمكنها ان تسير الا في طريق واحد فقط منهما ولو بالتناوب مرة هنا ومرة هناك تبعا لحرية

باب المناظرة والمراسلة

ايضاح وانتقاد

العلامة المفضال السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار المنير

(١٣ — السلام عليكم ورحمة الله) وبعد فقد اطلعت على جوابكم بالمنار (صحيفة ٥٣٧ ج ٧ م ١٢) واني اشكركم على كل حال وارجو ان تفسحوا للضعيف مجالا في صدر حلمكم فان الكمال لله وحده وان خوفي من التطويل مع رقة جسم المنار هو الذي جعلني اقصر عن زيادة الايضاح في أول الامر بل كثرة اشتغالي بمصالح الحكومة تجعلني اختلس القليل من وقت راحتي لاكتب ما ارى ذمتي تطالبني ببيانه اجمالا مع اعترافي بالعجز وان كان فيما اكتب شيئا من العسلطة فمازلت اقول « رب زدني علما » حتى تتمكنوا من فهم قصدي الحسن واني باسم الله الاكبر ابتدئ في بيان المقصود فاقول :

(١٤ — القسمة في الآخرة) ذكرتم في صحيفة ٥٤٤ ج ٧ م ١٢ ان الناس ينقسمون في الآخرة الى قسمين شقي وسعيد وأنهم فيها فريقان «فريق في الجنة وفريق في السعير » فهذا لا اخالفكم فيه في شيء

(١٥ — مساواة الناس في بدء الخلقة) قلتم في صحيفه ٥٤٤ « وانه بدأهم على هذا ويعيدهم عليه » ففهمت من ذلك ان الله تعالى بدأ خلق الناس قسمين شقيا وسعيدا وانه تعالى اخرجهم في هذه الحياة على هذه القسمة وانه سيعيدهم في الآخرة على نفس هذه القسمة بلا تغيير ولا تبديل حيث ايدتم ذلك بقولكم « انه كما قسمهم الى شقي وسعيد في الدنيا والآخرة قسم بينهم » الخ . . . وهذا ما اخالفكم فيه ولا اوافقكم عليه من بعض الوجوه للاسباب الآتية :

أولا : ماذكره الله تعالى في الكتاب العزيز من أمر الفتنة أوالامتحان لاختبار كل من يؤمن به تعالى حتى يعلم منه اما الثبات نهائيا على الايمان أو الزعزعة عنه عند الامتحان أو الفتنة المذكورة كالآية : «أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لايفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » فالله تعالى يصرح في القرآن بنفسه بانه تعالى لا يعلم الصادق من الكاذب في الايمان الا بعد ان يفتنه و يجر به و يمتحنه ليعلم منه قوة الخيار للايمان والثبات عليه أو التزعزع عنه بمطلق حريته الممنوحة له منه . أما قولكم ان ذلك علم انكشاف فهو مردود لانه لا يوجد لله علم مكشوف لان المعدوم والموجود في علم الله سواء

ثانيا :قال تعالى عن الشيطان : « وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك منها وربك على كل شيء حفيظ » أي انه تعالى لم يجعل للشيطان على الانسان سلطة مّا ليحور (؟) إرادته الحرة الخصوصية من الايمان الى الكفر بل هي وسوسة ضعيفة « ان كيد الشيطان كان ضعيفا » أمرها بسيط ولا تأثير منها وممكن لكل انسان بحريته ان يتجنبها بما خلق الله تعالى فيه من عقل وجعل له من الهام - والله تعالى لم يمنع الشيطان عن تلك الوسوسة للانسان الا ليجعلها في ضمن الفتنة أو اللازم المقرر في نظام الله ليعلم منها من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك منها. وان هذا العلم لا يكون الا بالمراقبة المذكورة . اذ بغير ذلك لا يكون معنى للمراقبة التي مدلولها التأمل لانتظار وقوع فعل من شخص معلوم في احد (؟) جهتين متضادتين

ثالثا :قال تعالى « وماجعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم » فهو تعالى يصرح هنا انه لا يعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه منهم قبل الفتنة بالانقلاب عن القبلة بيت المقدس الى الكعبة الا بعد حصولها . وهنا لا يتوهم القارئ ان الله تعالى كان يجهل شيئا أو يعزب شيء عن علمه . كلا بل هو بكل شيء عليم لان الله تعالى كان يعلم أن ماخلقهم عليه من نفس كاملة وعقل يمكنهم بهما ان يتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم بمطلق حريتهم التي منحها لهم بلا أي مانع ، هذا من جهة ومن جهة أخرى بحسب الوضع الذي شكله

الانسان واستقلاله كالآية « إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا » فكان ذلك داعيا لانقسامهم أنفسهم مع ان الله تعالى لم يقسمهم من قبل ذلك . فتجد واحدا يسير في طريق الخير دفعة واحدة وآخر في طريق الشر دفعة واحدة وثالث (؟) ينتقل بين طريق الخير والشر مع العلم انهم جميعا في امكانهم أن يسيروا من طريق واحد دون ان يروا الثاني ولا يعلمون به فتقسيمهم في الاصل غير موجود بالمرة ولكن النظام الموضوع امام حريتهم هو المقسوم فقط وفرق بين قسمة النظام وقسمة النفوس التي تسير بحريتها على أي شكل كان مما في هذا النظام المعلوم لله من قبل خلق الناس أجمعين

(١٧ — علم الله الازلي وسير الناس في الطريق) ربما تقولون مما ذكرته آنفا انه مادام الناس غير منقسمين من قبل سيرهم في احد الطريقين . وانهم يمكنهم جميعا ان يسيروا في طريق واحد من غير ان يروا الثاني ان علم الله تعالى الازلي فيما يختص بسيرهم هذا غير ثابت من جهة الواقع منهم ونفس الامر وانه تعالى لا يعلم مَن مِن هؤلاء الناس سيكون في الطريق الايمن أو من منهم سيكون في الطريق الايسر ، وجوابي على ذلك : ان كل مايحدث مهما كان من عمل الانسان الحر كان معلوما لله ازلا قبل وقوعه فعلا بصفة عامة لاتخصيص فيها لزيد من الناس وانه تعالى خلق الناس ليسيروا في أحد طريقين متضادين أو في كل منهما على التناوب « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » مع كونه يراقبهم بنفسه كل المراقبة «أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » فالمراقبة هي أساس العلم بالتخصيص بأحد الطريقين أو المختار منهما في أي وقت بواسطة أي انسان بتمام حريته . ومن هذه المراقبة يعلم الله تعالى في أول وهلة ماخصص كل فرد لنفسه من أحدهما . مع كونهما وكل مافيهما من أنواع الاعمال المختلفة معلومين لله تعالى من الازل كما مر . وكل هذا بالبداهة لايزيد علم الله تعالى شيئا ولا ينقصه شيئا وغاية مافي الامر ان الله تعالى خلق الناس في الاصل طاهرين وأخرجهم في هذه الحياة الدنيا لغرض هو : ليعلم منهم من يسير في الطريق الايمن بحريته ومن منهم يسير في الطريق الايسر ولذا كانت المراقبة لازمة كالآية «ان الله كان عليكم رقيبا » . ويؤيد ذلك مايأتي

للمقسوم المحتوم « اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب »

خامسا : قال تعالى في بعض الآيات « ولما يعلم الله الذين آمنوا » فهذا العلم بالايمان يدل على وقوعه في المستقبل دون الماضي . فهو لا يؤيد على الله الجهل او انه علم انكشاف للواقع دون غيره كلا بل يدل على تنفيذ ما اراد الخالق ان يكون من نظام وضعه للانسان بصفته مخلوقا سيفعل الخير أو الشر في آن واحد . والمطلوب علمه هو تقييد ما يختاره الانسان على نفسه من كل المعلوم لله ازلا من كلا الطريقين . فاذا فعل انسان خيرا من بدء حياته الى مماته ووقع ذلك فعلا فقد كان هذا الواقع معلوما لله ازلا بصفته معلوما لا بصفته واقعا لا محالة . ولكن بجانبه ايضا ان الله يعلم للشخص نفسه انه سيفعل الشر على نوع مّا من بدء حياته الى مماته بصفته معلوما لا بصفته واقعا غير ان هذا الانسان اختار بحريته الاول وترك بحريته الثاني فصار هذا الاخير من المعلوم لله غيبا لا يظهره للشخص ولا لاحد في العالم « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا »

وبهذا وبغيره يثبت لكم ان الله تعالى لم يخصص من الازل اناسا للايمان معلومين من قبل وجودهم وسينكشفون بالواقع . كلا بل كل موجود في الحياة امامه طريقان متضادان تحت حريته يراقبه الله تعالى حتى يعلم منه في اي جهة عزم بنفسه الثبات عليها فكان تعلق العلم الالهي عن كل انسان دائما هو من جهتين متضادتين في آن واحد لا من جهة الواقع وحده كما قلتم ولما كان الانسان لا يمكنه الجمع بينهما في وقت واحد فعلم الله تعالى المطلوب هو تخصيص أحدهما للانسان بارادته وحريته الذاتية . . . إذ ان هذا هو الغرض الوحيد من الخلقة

(١٨ — تعلق العلم الإلهي — علم الله بالواقع وبضده في وقت واحد) قلتم في صحيفة (٥٤١ ج ٧ م ١٢) انه متى وقع الشيء علمنا ان علم الله تعالى كان متعلقا بوقوعه لأن علمه تعالى يكون دائما مطابقا للواقع والا كان جهلا .. وذلك محال»

به الخلقة الانسانية كان يعلم عنهم في آن واحد انهم يمكنهم جميعا ان لا يتبعوه (ص) بمطلق حريتهم وفي الوقت نفسه كان يعلم بالنتيجة التي سيجازيهم بها وتصيبهم في الحياة الدنيا والآخرة ان لم يتبعوه ويعلم من قبل ايضا بالنتيجة التي سيجازيهم بها في الحياتين ان لم يتبعوه . غير ان هذا العلم المطلوب ليس انكشاف الفعل الواقع المطابق وحده للعلم السابق دون غيره كما يقول المنار . كلا . كلا بل هو علم تنقل ارادة كل منهم الى اي جهة يرغب السير بحريته في احد الطريقين المتضادين المعلومين لله من قبل وهما مفتوحان معا في كل وقت أمام كل انسان حتى يمده الله بعد ذلك بجزاء ما اراد . وهذا العلم بالطبع لا يكون الا بالمراقبة كالآية « افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت »

رابعا : ان خلق الناس متساويين (؟) في بدأ الخلقة وخروجهم الى الدنيا للتنافس في عبادة الخالق بحريتهم هو كل الحق الذي كان الغرض منه وجود العالم كالآية : « وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا » وكالآية : « اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض الا بالحق » . . فهل يعرف المنار ما هو هذا الحق؟ هذا الحق هو منح المخلوقات ومنها الانسان « الحرية » الكاملة في عبادة الله وللسير في أحد الطريقين المتضادين متحملا نتائج احدهما او كل منهما بالتناوب على عاتقه بما وهبه الله من عقل وشعور والهام مع تمام الاستقلال في الارادة « وما تكسب كل نفس الا عليها »

فاذا كان الناس مقسومين كما قلتم من الاصل وفي الدنيا وانهم سيعودون على هذا التقسيم نفسه في الآخرة . . فان الحياة الدنيا والخلق في الاصل والمبدأ يصيران بذلك عملا من الله باطلا كل البطلان لا علة ولا حكمة منه اصلا . . بل يكون اشبه بتسخير القادر للعاجز ورحمة اناس وتعذيب آخرين بالاستبداد والقوة دون غيرهما مع ان الكل « انسان » ومن نفس واحدة يشعر الواحد ويحس كما يشعر الآخر وهذا لم يعمله ولن يعمله الرحمن الرحيم . ولا يشير اليه في كتابه الكريم وانما يشير الى ان الكل مكرمون « ولقد كرمنا بني آدم » ومخاطبون بالآية « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » فلا قسمة في اصل الخلقة ولا تقسيم الا في الآخرة فانها ستكون طبقا لما اكتسبناه بحريتنا من احد النجدين المتضادين « وهديناه النجدين » لا طبقا

تعالى أنه آمن الا في حال إيمانه ولا يعلم الله تعالى انه كفر الا في حال كفره • وان حكم الواقع عند الله في العلم هو كحكم المعدوم سواء بلا فرق وان كان ذلك يعجز عنه عقل الانسان « ليس كمثله شيء »

ثانيا : عثرت في الكتبخانة الخديوية على رسالة في التوحيد بخط نسخ للامام أبي حنيفة رضي الله عنه (مجموعة نمرة ١٢٧ ن ع ٢٣٧٢) يقول فيها ما يأتي : « لم يجبر الله تعالى أحداً على الكفر ولا على الايمان ولا خلقهم مؤمنا ولا كافرا ولكن خلقهم أشخاصا والايمان والكفر فعل العباد . يعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافرا . فاذا آمن بعد ذلك علمه مؤمنا في حال ايمانه وأحبه من غير ان يتغير علمه وصفته وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة اه »

فافتكر ان مدلول ذلك وان كان مجملا ولم اطلع على تفصيل له في كتاب آخر فهو يطابق في الغالب لتلك المبادئ التي أذكرها الآن وأؤيدها .

ثالثا : ما يدلكم على أن علم الله تعالى بالنسبة للعمل الانساني لا يتعلق بالواقع وحده ، بل يعلم به و بضده في آن واحد بلا فرق ـ مخاطبة الله تعالى للكافرين يوم القيامة أو ذكر أحوالهم التي سيقولونها بأنفسهم بعد ان يبصروا كل شيء على حقيقته كالآية : « ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين » ـ فهذا يدلك على ان الحال الذي كانوا فيه في الدنيا وقد كفروا بالله كان ممكنا لهم أن يؤمنوا فيه بدل الكفر بلا أي مانع حتى يكون الكفر بعيدا عنهم في العدم كما صار الايمان الذي يتمنوا (؟) ان لو ردوا الى الحياة لاعتنقوه(؟) ، ولا يخفى ان ذكر الله تعالى لمثل هذه الامثال لم يكن عبثا ، بل لغرض ان نعلم أن علمه تعالى لم يكن معلقا بالكفر الذي كفروه فعلاً و يعذبون لاجله في الآخرة ، لان معنى التعلق يدل على ارادته الذاتية في لزوم الكفر منهم ولو باختيارهم الذي تفرضونه مع وجود هذا التعلق ، مع ان الله تعالى يتبرأ من ذلك « ولا يرضى لعباده الكفر » ، وانما كان يعلم عنهم الايمان كما يعلم عنهم الكفر في آن واحد بكيفيتهما المتضادة ثم استمر الله تعالى في مراقبته لهم حتى علم منهم انهم اختاروا الكفر بحريتهم

أما أنا فأقول لكم ان علم الله تعالى يتعلق بوقوع الاشياء قبل حصولها في أحوال مخصوصة يريدها الله تعالى بحق كالآية : « انما أمرنا لشيء إذا أردناه ان نقول له كن فيكون » ومثال ذلك وجود العالم قبل ان يوجد . . . ولكن بالنسبة للنظام الذي خلق الانسان عليه وأراد ان يسير بمقتضاه في هذه الحياة بصفة عامة فلا تعلق لوقوع الافعال الانسانية من قبل وقوعها غير أنها معلومة بشكلها التي وقعت عليه ان وقعت مثل ضدها تماما بالنسبة لمن وقعت منهم بالذات وان كان الضد الذي لم يقع صار في حيز العدم ولكنه ما زال معلوما لله تعالى في الغيب الذي لا ندركه ولا يريد الله ان ندركه لأن هذا التعلق الذي تقصدونه معناه تحديد ما وقع فعلا مهما كان من أي عمل إنساني انه كان في العلم الالهي واقعا لا محالة قبل وقوعه دون غيره . . وهذا هو الخطأ المحض بل هذا هو الخلاف الذي بيني و بينكم في الغالب ومنه أيدتم عدم فهمكم لكثير مما ذكرت آنفا (وسأشرح فيما بعد ان هذه النقطة نفسها هي التي فرقت الامة الاسلامية احزابا وكانت أصلا لسقوط الامة الاسلامية في أيامها المتأخرة المظلمة) إذ الحقيقة هي :

أولا إن الواقع كان معلوما لله تعالى مثل كثير من أنواعه واضداده بالنسبة لمن وقع منه الشيء نفسه في وقت واحد وغاية ما في الامر ان الواقع تخصص لفاعل الشيء من ضمن أنواع كثيرة كانت مفتوحة امام حريته لتنفيذ واحد منها في وقت واحد وان هذا التخصيص هو الذي كان يراقبه الخالق ليعلمه (راجع ١٧ علم الله الازلي وسير الناس في الطريقين) لانه تعالى أراد ان يكون هكذا النظام الانساني في العالم كما قال تعالى « وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » فاذا كان علم الله تعالى معلقا من الازل بمن يؤمن انه سيؤمن في وقت كذا قبل وقوعه ومن يكفر انه سيكفر في وقت كذا فما الداعي لقوله تعالى : « وليعلم الله الذين آمنوا » ؟ وأيضا — لماذا يتخذ منا شهداء أي شاهدين على من كفر به بحريته للمحاكمة في الآخرة ؟ ٠ اللهم الا لان الناس كلهم في نظر الله سواء ٠ وانه تعالى فتح امام كل انسان طريقين متضادين فلا يعلم الله

الشهير الموجود بالموسكي بمصر وهذا المحل كان فيه من أنواع البضاعة ما يبلغ عدده المليون من الاصناف ثم وضعت هذه البضاعة في دواليب بترتيب منظم وكل صنف عليه نمرته مكتوبة . فالبضاعة المكتوب عليها نمر فردية من ١ و٣ و٥ الخ الى المليون مكتوب عليها أيضا انها بضاعة جيدة والمكتوب عليها نمر زوجية من ٢ و٤ و٦ الخ بضاعة رديئة . ثم أحضرت أربعة رجال من رجال ادارة المنار وقلت لأولهم ان لك في هذا المحل عشر نمر من ١ الى ١٠ والى الثاني من ١١ الى ٢٠ والى الثالث من ٢١ الى ٣٠ والى الرابع من ٣١ الى ٤٠ ثم دخل الاربعة رجال في المحل متمتعين بحريتهم وأخذ كل منهم نمره المقررة له منكم من قبل . فهكذا تقولون أنتم عن علم الله الازلي بازاء عمل الانسان في الدنيا حال وقوعه . فانكم قبل ان يأخذ الاول نمره من ١ الى ١٠ كنتم تعلمون بذلك ولما أخذها صار الواقع منه مطابقا لما كنتم تعلمون من قبل - وحاشا ان يكون فعل الله مشابها لذلك

الثاني : قلب هذا المثال بشكل آخر مع ثبوت النمر التي تعلمها من أولها الى آخرها وثبوت الرجال أنفسهم وافرض انك أعلنت هؤلاء الاربعة بأن لكل منهم عشر نمر في كل النمر الموجودة بالمحل من غير ان تخصص لهم نمرا محددة كما فعلت في المثال الاول بل اشترطت أن لكل منهم ان يقلب في المليون نمرة الموجودة ويأخذ عشرا منها كلها . فهل يمكنك بعد ان أدخلتهم في هذا المحل على هذا الشرط ان تخبرني إن كنت تعلم ما هي العشر نمر التي سيأخذها الاول أو الثاني أو الثالث أو الرابع قبل ان يضع يده بالفعل على واحدة منها . الجواب : لا تعلم ذلك الا بعد ان يضع كل منهم يده على كل منها ؟ . ولكن هل ذلك غيّر شيأ في النمر المعلومة لك كلها أو غير الرجال أو انقص شيئا من معلوماتك بخصوصها ؟

الجواب كلا . فهكذا اقول عن الخالق سبحانه انه اخرجنا في هذه الحياة على مثل هذا الغرض وفتح للجميع طريقين متضادين فيهما من انواع الافعال مايعجز عنه الحصر والكل يعرفها ويميزها العقل الانساني وكان هذا سر قوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها » ثم خاطب الجميع بقوله : « هو الذي خلق لكم ما في الارض

بدل الايمان نهائيا فجازاهم بالنار حقا والرد الى الحياة الدنيا من الآخرة مستحيل لان هذه الحياة الدنيا حق أيضا وان ما فعلوه فيها صار حقا حتى طبعوا أنفسهم عليه بحريتهم لا من أصل خلقتهم الاولى كما ان النار في الآخرة هي الجزاء الوحيد ، « وما ربك بظلام للعبيد »

رابعا : ما هو أظهر من الآية السالفة قوله تعالى : « فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل » فان العمل الذي عملوه من الكفر والفساد صار واقعا في الدنيا حتى عذبهم الله عنه في الآخرة وان هذا الواقع نفسه علموا عنه في الآخرة « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » انهم كانوا قادرين على عمل غيره أو ضده في الوقت الذي عملوه فيه حتى كان يمكنهم ان يجعلوا الذي عملوه في العدم والضد مفعولا . وكل ذلك يؤخذ منه ان علم الله تعالى لم يكن معلقا بما فعلوه وحده بل كان يعلمه تعالى كما يعلم بضده عنهم في آن واحد وبمراقبة الله تعالى لهم علم ما اختاروه بتمام حريتهم من الكفر فكان لهم الجزاء حقا بتعذيبهم في النار « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »

ولو أردنا ان نحصر كل الآيات القرآنية التي تدل على ما ذكرناه لاخذنا وقتا طويلا غير اني أذكر من أشهر هذه الآيات قوله تعالى : « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » ومنها : « وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فاصدق وأكن من الصالحين » ومن ذلك أيضا قوله تعالى : « يقول يا ليتني قدمت لحياتي » ومنها قوله تعالى : « قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت » ومنها أيضا : « ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون » ومن ذلك أيضا : « ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل » الخ الخ

(١٩ — مثالان عن علم الله الازلي وعمل الانسان) أخشى ان تقولوا ان ما ذكرته معسلطا (؟) يصعب فهمه فاحتياطا لزيادة الايضاح أذكر لكم مثالين :

الاول : إفرض يا صاحب المنار أنك أصبحت غنيا ومالكا لمحل « ستين »

يجتمعا في الاخرة في الجنة . و بالعكس فان الطريق الذي سار فيه (س) في الدنيا بحريته و به صار في الآخرة في السعير كان مفتوحا ايضا في الوقت نفسه امام (ج) في الدنيا وان الاخير كان يمكنه السير فيه مثل (س) وان يكون معه جنبا الى جنب حتى يجتمعا (؟) معا في السعير وكل ذلك لا يغير شيئا من علم الا آله الازلي

(٢١ — الله اول ملك دستوري في العالم) . قال تعالى في الكتاب العزيز: «قل اعوذ برب الناس ملك الناس آله الناس » فصرح تعالى في هذه الاية انه ملك الناس والهم . وهنا اسأل صاحب المنار ما هي نوع الحكومة التي يحكم الله تعالى بها النوع الانساني بصفته ملكا عليهم كما صرح في هذه الآية الكريمة ؟ . فاذا كانت نوع الحكومة الالهية مجهولة لصاحب المنار فاني اقول له انها هي الحكومة التى تعشقها وتتلهف على وجودها الآن جميع الامم و يسفكون لاجلها دماءهم واموالهم للحصول عليها الا وهي «الحكومة الدستورية » فان الله تعالى يحكمنا بالدستور الازلي لا بغيره وهو جل شأنه مع مطلق قدرته واوسع علمه لم يشأ ان يحكم الناس الأ حكما دستوريا عادلا لنتعلم من ذلك ومما هو مسطور في القرآن الحكيم عن هذا الحكم ما نجعله اساسا في اعمالنا واحكامنا الدنيوية حتى يقام العدل وتحيى الامم على أساس رصين وكفى الانسان شرفا ان يكون هو الوحيد خليفة الله في الارض ليعمل في حكمه كعمل الله كالاية « إني جاعل فى الارض خليفة »

ولما كان الله تعالى هو الخالق لكل شيء والعالم بكل شيء علما تاما كان هو وحده الذي اسس هذا الدستور دون غيره وهو الذي يرتاح لعدالته كل مخلوق في الارض والسماء ارتياحا تاما لانه صدر هذا القانون بالرحمة وفيه « كتب على نفسه الرحمة » وكان الاساس الثاني لهذا الدستور هو منح المخلوقات « الحرية » الكاملة بعد وجودها في الدنيا لتعمل بها كل ما في وسعها « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » وانه تعالى لا يمس هذه الحرية في هذه الحياة مهما فعلت تلك المخلوقات من صالح او اساءة الا ان يمدها بجزاء ما تفعل بالرغم عنها جزاء عادلا ليس الا طبقا لما في القانون المذكور الموافق لتقلب الطبيعة الإنسانية «وما تجزون الاما كنتم تعملون» و بمقتضاه

جميعا » فلا عين شقيا ولا قيد سعيدا وهو تعالي اذلك لا يعلم المؤمن الا في حال إيمانه ولا الكافر الا في حال كفره والكل امام الوهيته في الاصل « انسان » وهنا لا يقال ان الله تعالى جهل شيئا لان العلم المطلوب لله هو تخصيص المعلوم ازلا لمن يختاره عوضا عن تعميمه الذي كان عليه قبل هذا الاختيار وكان ذلك بناءعن ارادة الله الذاتية فيوضع الانسان على هذا النظام من الازل — وكل ذلك بالبداهة للمتأمل المدقق لا يزيد علم الله شيئا ولم ينقصه ما دام الله تعالى قائما بالمراقبة ولذا كان الله من الازل الى الابد بكل شيء عليم (؟)

(٢٠ — ادوار الخلقة الانسانية أمام العلم الالهي) ينقسم الانسان الى ثلاثة ادوار امام العلم الالهي : الدور الاول ويبتدأ من بدء الكون الى وقت الولادة . وفيه جميع الناس سواء فلا شقي ولا سعيد

الدور الثاني : الحياة الدنيا وفيها كل انسان بين السعادة والشقاء فلا شقي ولا سعيدا الا عند الوفاة . والدور الثالث الاخرة وفيها الناس فريقان : « فريق في الجنة وفريق في السعير »

فاذا فرضنا ان الآخرة تجسمت امامنا ونظرنا بالعين اشخاص كل فريق ووجدنا الشخص(ج) من فريق الجنة والشخص (س) من فريق السعير . فاقول ان كلامنهما صار كذلك طبقا لما سير نفسه فيه بحريته في الحياة الدنيا وليس لكونه كان مكتوبا من الازل شقيا او سعيدا فلا يوجد فيعلم الله الازلي ان(ج) هذا سيكون بالذات والواقع سعيدا ليس الا ولا ان (س) هذا سيكون شقيا ليس الا وان العلم الازلي هو ان كلامن(ج) و (س) شخص طاهر مكرم لاشقاء له ولاسعادة الا بعدان يولد في الحياة الدنيا سيسير فيها بحريته على نظام ذو (؟) وجهين متضادين فيهما السعادة والشقاء يراقبه الله تعالى عند اختيار واحد منهما فيعلم له تعالى وقتها من فعل (ج) انه سيكون في الآخرة سعيدا ومن فعل (س) بحريته انه سيكون في الاخرة شقيا وان الطريق الذي سار فيه (ج) في الدنيا وبه صار سعيدا في الاخرة كان مفتوحا في الوقت نفسه امام (س) أيضا وانه كان يمكنه ان يسير مع (ج) فيه جنبا الى جنب وان

في هذا اليوم ولا تعلم انه سيأخذ هذا الجزاء ٠لان ذلك ليس هو القانون المعلوم عند الحكومة ٠ بل قانون الحكومة عام على الجميع وان أخلاق الناس تتقلب بين الخبيث والطيب بحريتها ٠وان القانون مذكور فيه كيفية السرقة وأنواعها التي يمكن ان تحصل منه كما تحصل من خلافه ٠ وأمام ذلك الجزاء على كل نوع منها وليس على الحكومة الا مراقبة الرعية لتنفيذ ما هو معلوم لها من قبل في بنود هذا القانون فاذا كان الشخص (ج) ارتكب جناية السرقة وكانت تنطبق على المادة ٣٥ تجازى (؟) بمنطوقها ايضا وبالعكس اذا عمل عملا صالحا ذكرته الحكومة في القانون ايضا وكانت له مكافئة كافأته بها ٠ وبديهي للمطلع ان الفرق بين القصدين كالفرق بين السماء والارض أو هو كالفرق بين حكومة الدستور وحكومة الاستبداد ٠ ولكن صاحب المنار يقول في (صحيفة ٥٤٣) «لست قادرا على تصور فهمه المسألة ولا فهم وجه الاشكال التي كانت به اقتل ادواء المسلمين عنده فاحل له ما أحكم من العقد في خياله » فاذا كان صاحب المنار للآن لم يفهم وجه الاشكال فليتصور الآن الفرق بين المقالين السالفين وليعلم مما ذكرناه وما سنذكره على هذا الاشكال على وجهه الحق :فان الحق والباطل لا يجتمعان « ان الباطل كان زهوقا »

(٢٣ ــ لاقسمة معينة لشخص معين في الارل)يقول صاحب المنار صحيفة ٥٤٥ : أما علم الله تعالى فهو قديم بقدمه ازلي بأزليته ــ فالقسمة فيه أزلية أيضا » وأقول: أما علم الله تعالى بكل ما كان وماسيكون فأمر بديهي مسلم به ولكن قسمة الاشخاص من أن هذا الشخص بالذات شقي في العلم الازلي وذاك بالذات سعيد أزلا أمر لم يفعله الخالق ويتبرأ منه القرآن . نعم نظام الشقاء الانساني أو السعادة الانسانية معلوم لله تعالى أزلا ولكن هذا النظام سينفذ على بني الانسان الذين أرادهم الخالق أزلا ان يكونوا خلفاءه في الارض بلا فرق بين انسان وآخر فيطبق الله هذا النظام العام على أعمالهم الحرة المعلومة له من قبل ان يكونوا بصفة عامة فبعضهم سيكون بهذا النظام شقيا تبعا لحريته والبعض سيكون به سعيدا بحريته أيضا طبقا لبنوده المكتوبة قبل العالمين « وما ربك بظلام للعبيد »

صار « من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها » ولهذا تنزه عن الحكم الاستبدادي المجهول نظامه وتحلى بالكمال المطلق والعدل والرحمة لان كل ما يحدث في الارض والسماء كتب فى هذا القانون « ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها (اي نخلقها) ان ذلك على الله يسير » وبه يصيبنا فى الحياة الدنيا والآخرة بجزاء الخير أو الشر طبقا لاعمالنا وما يناسبها من بنوده العادلة

فان فرضنا مثلا ان المادة ٣٥ من قانون ما فى حكومة السودان ان من يسرق كذا بالطريقة كذا فانه يجازى بكذا و بكذا . فطبعا هذه المادة تسري على جميع الناس الذين يشملهم هذا القانون بلااستثناء وما على الحكومة الان تراعيهم وتراقبهم حتى اذا وقع واحد مرتكبا ذنبا تنطبق عليه هاته المادة تجازى(؟) بما فيها تماما . وهكذا نقول عن النظام الذي كتبه الخالق على الناس بصفته ملكا دستوريا عادلا عليهم فقد كتب قانونا لمجازاتهم بالخير أو الشر فى الحياتين تبعا لارتكابهم خطأ أوعملهم خيرا طبقا لبنوده العامة العادلة ولذا كان رقيبا على كل نفس لتنفيذه « ان الله كان عليكم رقيبا »

(٢٢ — الفرق بين فهمي وفهم صاحب المنار في القسمة) صاحب المنار يفهم من المثال الاخير السالف عن المادة ٣٥ من قانون الحكومة ان الشخص (ج) مثلا اذا ارتكب جناية السرقة بكيفية تنطبق عليها قال : ان الحكومة السودانية عند ماسنت قانونها كتبت فيه هذا الشخص وانه سيسرق في وقت كذا وسيجازى بكذا قبل ان يحصل منه ذلك وقبل ان يقبض عليه بسنين عديدة : ولما وقعت منه السرقة قال ان ماحصل فعلا منه كان مطابقا لعلم الحكومة لان الواقع دائما يكون مطابقا للعلم — وبمثل ذلك القسمة وعلم الله اما أنا فأقول ياصاحب المنار ان علم الحكومة ليس كما تزعم ان علم الله تعالى وان كان يحيط بكل شيء ولكن ليس كما تتوهم لان الحقيقة هي غير ذلك . لان الحكومة كتبت في قانونها ما يناسب أخلاق كل الناس وأعمالها من غير ان تخصص عملا فالشخص معلوم ، وانها لا تعلم ان هذا السارق بالذات سيسرق

أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب »
أي ان كل من يكذب على الله من بني الانسان يناله الجزاء المناسب لكذبه مما في الكتاب الذي هو قانون الله العادل ، و بالطبع يختلف الجزاء باختلاف درجة الكذب أو التكذيب وكل ذلك يدل على عدم قسمة النفوس في العلم الازلي بل النظام هو المقسوم والله بكل شيء عليم　　　كاتبه

أحمد بدوي النقاش

ضابط بالجيش المصري بالسكة الحديد السودانية

***

﴿ جواب المنار ﴾

الآن قد جاء هذا الكاتب الفلسفي بما لم يأت به من قبل ولا يفهم من سؤاله عن القضاء والقدر ولا من رسالته في إنكار عقيدة قسمة الخلق الى سعداء وأشقياء وهذا الشيء الجديد هو اعتقاده ان الله تعالى لا يعلم ما يكون من أعمال عباده الا بعد وقوعها ، فلا أدري أكان على هذا الاعتقاد من قبل وكان هو الذي يريده من كلامه السابق فقصرت عبارته عن بيانه أم حمله الحرص على الاتيان بشيء جديد في الدين على هذا المركب الصعب بعد ان سددنا في وجهه باب الاعتراض على عقيدة القدر وعقيدة القسمة ؟

لا أناقشه في كل ما اخطأ به في هذه الرسالة لئلا يتشعب الكلام و يطول بل أخص الكلام في مسألة العلم الإلهي بعد أن أبين له بالايجاز فقرة لم يفهم مرادي منها و بنى على فهمه خلافا طفق يحتج لرأيه فيه بالآيات وغير الآيات. تلك الفقرة هي التي تكلم عنها في المسألة ١٥ وهي قولنا « وأنه بدأهم على هذا و يعيدهم عليه» ففهم من هذا انني أعني بهذا انه تعالى خالق كل فرد من أفراد البشر إما شقيا غير مستعد في فطرته لعمل الخير الذي يكون به سعيدا و إما سعيدا مطبوعا على الخير في أصل فطرته لا يستطيع غيره　هذا رأي يمكن لمن يقول به ان يستدل عليه بالمشاهدة

قال تعالى : « يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم و يغفر لكم » فهذه الاية الكريمة تؤيد ان خير الله تعالى المطلوب أعطاه لهؤلاء الاسرى متوقف على تغيير ما في قلوبهم وان المعلوم لله تعالى وقت نزول هذه الاية من قلوبهم هو عدم الخير أو ضعف الايمان به أو الكفر فاذا غيروه بحريتهم التي لا يمسها الخالق في هذه الحياة الى خير او ايمان أصابهم الله تعالى بعد ذلك بخير احسن مما اخذ منهم وقت الحرب من مال أو أبناء — وان علم الله تعالى بخير قلوبهم هذا متوقف على ارادتهم الحرة لانه هكذا أراد الله تعالى ان يكونوا بتمام الاستقلال في ارادتهم ليغيروا ما في قلوبهم كالآية « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وهذا دليل كاف على ان الله تعالى ينفذ جزاءه أو قسمته طبقا لارادتنا الحرة في اختيار نوع من الاعمال • وليس طبقا لكونها هي والافعال كانت مقسومة في الازل بالذات حتى يكون الواقع مطابقا للعلم دون غيره — كلا — بل الواقع وضد الواقع في العلم عند الله سواء واذا قال تعالى « وان عدتم عدنا » فان قول الله تعالى للكافرين « وان عدتم » دليل على عدم الممانعة لهم من الله في الاعادة لفعل ما كانوا عليه من الفساد والكفر ثم قوله تعالى: « عدنا » أي عدنا بعد ذلك بالانتقام تبعا لما ستفعلوه (؟) ان وقع منكم في نظير كفركم كما انتقم بمثل ذلك قبلا فاذا كانت لهم قسمة من الازل معلومة ما كان هذا التعميم البين الذي يدل كما قلنا على عدم كتابة شيء مخصوص أو منح قسمة مخصوصة لاحد من الناس في الازل وبمثل ذلك قوله تعالى : « وان تعودوا نعد » وهذا يشبه بلا تمثيل الى ان شخصا من أفراد الحكومة ارتكب جريمة تناسب مادة (٩٥) مثلا من قانون العقوبات فكلما يرتكب جناية تناسب هذه المادة عاقبته الحكومة بمضمونها فاذا عاد وارتكب نفس الجناية اعادت معاملته بالمادة نفسها وهكذا فقول الله تعالى : « وان تعودوا نعد » أي ان تعودوا لفعلكم الذي به تجازيتم (؟) بمقتضى القانون الإلهي — نعد لمثل هذا الجزاء عليكم (؟) بالثاني — فأنتم أحرار فيما تفعلون • فبذلك و بغيره قلنا « ان الله تعالى أول ملك دستوري في العالم » لشحن القرآن الحكيم من أمثال هـذه الآيات الواضحة كالآية : « فمن

يقول (٢ : ٢٥٥ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) أي يعلم ما يكون امامهم من مستقبل أمرهم وما كان من ماضيهم فهو محيط بكل شيء من أمرهم وهم لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء لانه هو واهب العلم للانسان وواهب كل شيء يتمتع به ، وقال أيضا بعد ذكر خبر القيامة وهي من علم الغيب (٢٠ : ١١٠ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) فهل أحاط أحمد بدوي به علما فحدد ما يتعلق به علمه ومالا يتعلق به ؟ ؟

ألم يخبر الله تعالى نبيه ببعض أقوال الناس وأعمالهم قبل وقوعها كقوله عزّ وجل (٢ : ١٤٢ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم) وقد صدق الله فقالوا ذلك ، وقوله (٦ : ١٤٨ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) الآية وقد صدق الله فقالوا ذلك ، وقوله (٤٨ : ١١ سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ، يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم) وقد صدق الله فقالوا ذلك ، وقوله (٤٨ : ١٥ سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا ، بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) وقد صدق الله عز وجل فقالوا ذلك وكانوا يريدون به ما اخبر تعالى انهم يريدونه

ومن اخباره جل جلاله باعمال الناس قبل وقوعها في الدنيا قوله وسع كل شيء علمه بعد الآية الاخيرة التي ذكرناها آنفا من سورة الفتح (قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) وقد كان ذلك — وقوله تعالى مبشرا في هذه السورة بفتح مكة وكان النبي (ص) رأى ذلك في منامه (٤٨ : ٢٧ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنَّ المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون) الآية وكان ذلك كما قال عز وجل وقوله (٣٠ الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو القوي العزيز * وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وقد

و ببعض النصوص كما يمكن لمعارضه ان يستدل ولكنه لم يكن هو الذي عنيته بتلك الفقرة بل عنيت بها حال جميع البشر (لا كل فرد منهم) في الحياة الدنيا من أولها الى آخرها وحالهم في الحياة الآخرة وهما الحالان اللتان يعبر عنهما علماؤنا بالمبدإ والمعاد . وقد قال تعالى (٧ : ٣٠ كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) فهذا ما أعنيه وهو مشاهد في أمر الدنيا وأمر الآخرة مرتب على أمر الدنيا فلا خلاف بيننا في هذا ولله الحمد

ان الضابط أحمد افندي بدوي النقاش يريد ان يثبت ان الانسان خلق حرا مختارا مستقلا في أعماله تمام الاستقلال وانه مالك لاسباب سعادته وشقائه ملكا تاما وان هذه الحرية والاستقلال والملك لا يعارضها شيء من سنن الفطرة وليس للخالق فيها فعل ولا لإرادته عليها سلطان ولا لعلمه بها تعلق الا أن الله تعالى يعلم ما عمل الانسان بعد وقوعه . وهذا مذهب لم يقل به فيما نعلم أحد من البشر المليين ولا غير المليين . بل الذي عليه المحققون من فلاسفة هذا العصر أقرب الى مذهب الجبرية من المليين كما بينا ذلك من قبل

إن العلم الإلهي يتعلق بالمعلومات تعلق انكشاف لا تعلق خلق وإيجاد و إلزام وإجبار فهو لا يعارض مذهب صاحبنا الجديد أو فلسفته الغريبة فما الذي حمله على إنكار علمه تعالى للغيب وتمحله لإثبات ذلك بالآيات الناطقة بابتلاء الله الناس وتعليله ذلك بقوله « لنعلم » وقوله « ليعلم » (* وقد فسرنا أمثال هذه الآيات بما يطابق الدلائل العقلية على إحاطة علم الله تعالى والآيات الكثيرة الناطقة بعلمه للغيب ومنه أعمال البشر قبل وقوعها والآيات الكثيرة المبينة لبعض تلك الاعمال قبل وقوعها

ورد وصفه تعالى بعالم الغيب والشهادة في الانعام والتوبة والرعد والمؤمنين والم السجدة والحشر والتغابن ، ووصف بعلم الغيب فقط في سور أخرى ، فبأي سلطان يتحكم أحمد افندي بدوي في علمه تعالى للغيب فيستثني منه أفعال الناس وهو تعالى

*) راجع ص ٧ — ١٠ ج ٢ من التفسير و ص ٤١٢ — ٤١٤ م ١١ من المنار

الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ٧ ختم الله على قلوبهم) الخ وقوله (١٨ : ٥٧ وجعلنا على قلوبهم اكنـة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا ، وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا)

ولو شئنا لانتقلنا من هنا الى موضوع تكثر فيه الآيات الناقضة لمذهبه في الاستقلال التام والحرية المطلقة التامة للبشر في افعالهم كاسناد اعمالهم اليه تعالى وتقييد مشيئتهم بمشيئته فمنها : (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق — ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين — يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا — فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى — وأضله الله على علم — سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملي لهم ان كيدي متين — وما تشاؤن الا ان يشاء الله — قل كل من عند الله — ولو شاء الله مااقتتلوا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة — ولو شاء الله لجمعهم على الهدى — ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم — ولو شاء الله لهداكم اجمعين — ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها — قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله — يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة — ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا — فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا — وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله — ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء — والله لا يهدي القوم الظالمين — والله لا يهدي القوم الفاسقين)

وامثال ذلك كثير وما كنا نحب ان نشير اليه في موضع لا يتسع لابطال ما فهمه الجبرية منه على اننا قد بينا ذلك في التفسير وفي مواضع اخرى لا يمكن لاحمد افندي بدوي ان يستغني عما ذهبنا اليه في تفسيرها وهو ان مشيئة الله تعالى وارادته جارية على سنن حكيمة هو الذي وضعها لنظام العالم ومنها ان للانسان علما بما يفعل وارادة ترجح بعض الاعمال الممكنة المستطاعة له على بعض واستقلالا ما في عمله الاختياري اي الذي يعمله

صدق خبر الله تعالى ووعده في الموضعين فغلب الروم في بضع سنين وفرح المؤمنون يومئذ بنصر الله إياهم على المشركين كما هو مبين في محله . ويدخل في هذا الباب ما بشر الله به زكريا بيحيى وما بشر به مريم وذكره من وصف ولدها وأعماله قبل ولادته ، ومن اخباره تعالى شأنه بأعمال الناس واقوالهم في الآخرة قوله (٧ : ٣٨ قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار، كلما دخلت أمة لعنت اختها ، حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اولاهم لاخراهم ربنا هؤلاء أضلونا) الى الاية ٥٠ منها وليتدبر احمد افندي البدوي قوله تعالى بعد ذلك (٥١ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم) ومن قبيل آيات سورة الأعراف في تحاور أهل الجنة واهل النار وتخاصمهم آيات سورة الصافات كقوله (٣٧ : ٢٧ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) الخ وهي في تخاصم أهل النار ، وقوله في حوار اهل الجنة بينهم ثم اطلاعهم على اهل النار ومخاطبتهم إياهم (٥٠ فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون ٥١ قال قائل منهم اني كان لي قرين ٥٢ يقول أئنك لمن المصدقين) الخ الايات وفي سورة (ص) شيء من تخاصم أهل النار ، وفي سورة الحديد نبأ عما يكون من التحاور في الآخرة بين المنافقين والمؤمنين

أفنسيت ايها المنكر لعلم الله تعالى بأعمال الناس قبل وقوعها هذه الآيات كلها أم تجد لها تفسيرا برأيك تحرفها به عن مواضعها كما حرفت غيرها بسوء الفهم لا بسوء القصد كما هو الظن فيك، ولولاه لما نشرنا رسالتك، ولما طمعنا في هدايتك، فراجع نفسك ، واستغفر ربك ، ولا تغتر بعد برأيك ، واعلم ان هذه الزلة التي زللت لا تتفق مع الايمان الصحيح الذي يعتد به المسلمون ، ومن فضل الله عليك ان كنت على هذا الشذوذ الفاحش مؤمنا بالقرآن متأولا له وهذا هو محل الرجاء فيك ، والطمع في رجوعك الى الحق ، اذا كنت غير مغرور بنفسك

وهناك نوع آخر من أخباره تعالى عن مستقبل بعض الناس ، منه الاخبار بعدم إيمان اناس مخصوصين كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على إيمانهم والحجة فيه مزدوجة فهو حجة على علمه تعالى بغيب الناس وحجة على ان من الناس من يختم الله على قلبه فيفقد الاستعداد للايمان والحق والخير . ومن ذلك قوله تعالى (٢ : ٦ ان

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ غاية الاماني ، في الرد على النبهاني ﴾

كتاب مؤلف من سفرين كبيرين لأحد علماء العراق الاعلام المكنى بأبي المعالي الحسيني السلامي الشافعي . رد فيهما ما جاء به النبهاني من الجهالات والنقول الكاذبة والآراء السخيفة والدلائل المقلوبة في جواز الاستغاثة بغير الله تعالى وما تعدى به طوره من سب أئمة العلم وانصار السنة كشيخ الاسلام ابن تيمية . بين المؤلف في كتابه هذا الحق في مسألة الاستغاثة وما يتعلق بها ، وأطال فيما لا بد من الاطالة فيه من تكذيب ماعزي الى ابن تيمية كذباً وبهتانا من الاقوال الباطلة وماعزي اليه مما ظن الناقلون لجهلهم انه انفرد به وهو لم ينفرد به وما زعموا أنه باطل لعدم الوقوف على دليله ، وجاء بالنقول الصحيحة من كتبه وكتب غيره من العلماء التي تفند أقوال المعترضين الكاذبين والجاهلين تفنيدا ، وتقذف بالحق على الباطل فيدمغه فيكون زهوقا

وفي هذا الكتاب مالا أحصيه من الفوائد العلمية في التوحيد والحديث والتفسير والفقه والتاريخ والآداب والتصوف ، وما انفرد به بعض المشاهير فانكره العلماء عليه كالانكار على الغزالي وابن العربي الحاتمي وغيرهما

فعلى هذا الكتاب نحيل الذين يكتبون الينا من الشرق والغرب يسألوننا ان نرد على النبهاني وكذا من اغتروا بقوله وتقوله وظنوا ان قولنا في الاعتذار عن عدم قراءة كتبه والرد عليها « انه لا يوثق بعلمه ولا بنقله » هو من قبيل السب . وحاش لله ما هو إلا ما نعتقده فيه وفي كتبه بعد النظر في بعضها ورؤية مافيها من الاحاديث الموضوعة والنقول المكذوبة والاستنباطات الباطلة ممن جعل نفسه بالاستنباط مجتهدا وهو ينكر الاجتهاد ويعترف بأنه ليس أهلا له

وجملة القول ان الفرق بين اعتقادي وهو اعتقاد جميع المسلمين و بين اعتقاد احمد افندي بدوي انا نحن نؤمن بان الله تعالى عالم الغيب والشهادة يعلم ما يعمله عباده قبل ان يعملوه و بعد ان يعملوه لا يتقيد علمه بالزمان ، وانه يعلم ماسوف يجازي به جميع الناس في الآخرة كما يعلم جميع ما يصيبهم من البلاء في الدنيا قبل وقوعه و بعده بلا فرق ، وان الجزاء على الاعمال انما يكون بحسب تأثيرها في الارواح وتزكيتها للنفوس او تدسيتها لها كل ذلك مما يحيط به علمه وتنفذ فيه مشيئته بحسب علمه ، وان هذا كله لا ينافي ما منحه الله للناس من اختيار واستقلال بل هو مرتب عليه والمنحة وآثارها من فضله بمحض ارادته . واما احمد افندي بدوي فهو يعتقد ان الانسان خارج في افعاله عن محيط علم الله تعالى ومشيئته مستقل تمام الاستقلال ليس لله عليه سلطان في أفعاله وانه سبحانه وتعالى عما وصفه به كحكومة السودان في امر الجزاء وضع قوانين وهو لا يعلم من يعمل بها ومن لا يعمل ولكنهم بعد ان يعملوا يطلع على عملهم فيجازيهم عليه ! ! ! هذا ما يريد ان يصلح به هذا الجندي دين المسلمين ، هذا هو التحقيق الذي فاق به الاولين والاخرين ، وما هو الا ضلال مبين ، فعسى ان يرجع عنه ولو بعد حين

ليست من الموضوع في شيء لبرضي أحدهم هواه و يظهر فضله بتأليف كتاب كبير في مسألة صغيرة

وقد يظن من له حظ من علم الحديث ان هــذا الـكتاب لا حاجة الى مثله لان سنة المغرب القبلية ثابتة في الصحيحين ، فلا ينبغي ان يكتب فيها أكثر من سطرين ، حرصا على الوقت ان ينفق إسرافا فيما لا فائدة فيه . واما المقلد فلا يبالي أصح الحديث في المسألة أم لا لأنه يتبع ما وجد عليه آباءه وان كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون

وهذا الظن أيضا لا يصح ولا يرتضيه صاحبه لنفسه إذا هو اطلع على كتاب الاجوبة المرضية ولو كان الامر كما يظن قبل قراءته لمــا اطلت في تقريظه وتنبيه الاذهان اليه

الكتاب صغير في حجمه كبير في معناه وفائدته فهو كالمعول الصغير يهدم به البناء الكبير . هو يهدم لك تلك الشبهة الباطلة التي كبرت واتسعت حتى أحاطت بأذهان أكثر الناس وهم الذين يقولون إن علماءنا الذين سبقونا هم الذين أحاطوا بعلوم ديننا فيجب ان نأخذه منهم لأن كتبه المقدسة لاننا لايمكن ان نفهمها كما فهموها. هذا ما كان يقوله المقلدون في كل دين حتى قاله المسلمون الذين امتاز كتابهم المنزل بابطال التقليد وذم فاعليه : يقول اتباع كل مذهب منهم ان فقهاء مذهبنا هم اعرف الناس بكلام ربنا وسنة نبينا فاذا قلدناهم كنا متبعين للكتاب والسنة من غير ان ننظر فيهما ولا ان نفهم شيئا منهما بل يجوز لنا ذلك ويقول لهم اهل البصيرة بل عليكم ان تصيبوا حظا من النظر فيهما وان يكون اصل اهتدائكم بهما وان يكون كلام العلماء من المفسرين والمحدثين والفقهاء عونا لكم على ذلك فلا يسمعون «وما اضيع البرهان عند المقلد» وقد يزيد طالب العلم منهم جمودا وتعصبا ما يراه في بعض كتب مذهبه من الاستدلال والترجيح والرد على المخالفين الذين لم يطلع على ادلتهم فيظن ان ذلك هو التحقيق الذي ليس وراءه غاية فيتيه بذلك عجبا ولو رجع الى اصول تلك الدلائل وكلام اهل الشأن فيها لرأى ما لم يكن يرى وتغير حكمه على كثير منها وهذا كتاب الاجوبة المرضية يمثل لقارئيه نموذجا من ذلك

وقد قرظ هذا الكتاب طائفة من العلماء تقاريظ حسنة فكأنهم كلهم ردوا على النبهاني ما جمعه كحاطب ليل ٠ وقد طبع بحروف واضحة في مصر ولكن جاء فيه كثير من غلط الطبع فجمع في جدول في آخره فينبغي لمن يقرأه ان يراجعه و يصحح الكتاب عليه قبل القراءة ٠ وهو يطلب من الشيخ أحمد رزق بشارع الفحامين بمصر وثمنه خمسة وعشرون قرشا

***

﴿ إعلام الموقعين . وحادي الارواح ﴾

سبق لنا التنويه بكتاب (إعلام الموقعين) والنقل عنه فأكثر قراء المنار يعرفون قيمته و يعلمون انه لم يؤلف مثله أحد من المسلمين في حكمة التشريع ومسائل الاجتهاد والتقليد والفتوى وما يتعلق بذلك كبيان الرأي الصحيح والفاسد والقياس الصحيح والفاسد ومسائل الحيل وغير ذلك من الفوائد التي لا يستغني عن معرفتها عالم من علماء الاسلام ٠

واما « حادي الارواح إلى بلاد الافراح » فهو كتاب للامام أبي عبد الله محمد بن القيم صاحب إعلام الموقعين جمع فيه ما ورد في الكتاب والسنة وآثار السلف في الجنة مع بيان معانيها وما يتعلق بها بما عهد من قلم المصنف الجوّال في ميدان البيان ، بما يعجز عن مثله فرسان هذا الشان ، وقد طبع الكتابان معا بحرف جميل في مطبعة النيل بمصر في ثلاثة مجلدات

***

﴿ الاجوبة المرضية ﴾

« عما أورده كمال الدين بن الهمام على المستدل بثبوت سنة المغرب القبلية »

كتاب صفحاته ٣٦ وإذا كان يعد صغيرا في ورقاته فهو كبير في موضوعه بل يقال بادي الرأي انه أكبر من المسألة التي وضع لبيانها وهي سنية ركعتين قبل فريضة المغرب، وربما يظن الذكي الذي لم يقرأه انه ككثير من الكتب التي وضعت لبيان شيء لا يتسع القول فيه فأكثر واضعوها من الاستطرادات والمباحث التي

منذ ثلاث سنين وشهور مسامرة في نادي جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الصادقية بتونس موضوعها الحرية والاسلام شرح فيها معنى الحرية والشورى والمساواة وقسم الحرية الى اقسام : حرية في الاموال وحرية في الاعراض وحرية في الدماء وحرية في الدين وحرية في خطاب الامراء ، وختمها بالكلام في آثار الاستبداد

طبعت هذه المسامرة في هذا العام فبلغت صفحاتها ٦٤ صفحة وتفضل صاحبها باهدائنا نسخة منها منذ اشهر وكتب عليها بخطه وقد ارجأنا تقريظها راجين ان نجد وقتا نطالعها فيه ولما نجده ، فرأينا ان ننوه بها الآن تنويها اجماليا وسننقل في جزء آخر نموذجا منها

ومن وجوه العبرة في هذه المسامرة ان علماء تونس الرسميين يخطبون في الاندية حتى في المسائل السياسية وحكم الاسلام فيها وبهذا يفضل علماء جامع الزيتونة علماء الجامع الازهر . ومنها ان الشيخ محمد الخضر كان في الوقت الذي ألقى فيه مسامرته قاضيا لمدينة بنزرت وهذا يدل على ان عمال الحكومة التونسية يتمتعون بحرية اوسع من حرية عمال الحكومة المصرية الممنوعين من الكتابة — بله الخطابة — في السياسة ولو من الوجهة الدينية . او ان فرنسا اوسع صدرا من انكلترا في ذلك

***

﴿ شرح المعلقات للزوزني ﴾

المعلقات السبع لفحول شعراء العرب في الجاهلية مشهورة وفائدتها لطلاب ملكة الشعر وأدب هذا اللسان معروفة ، وشرح الزوزني لها هو عمدة المتأدبين في فهمها وقد طبع اكثر من مرة ولعل أحسن طبعاته هي الطبعة الاخيرة بمطبعة دار الكتب العربية بمصر فهي تفضل غيرها بمعارضة المعلقات فيها على النسخة التي اعتمدها الشيخ محمد محمود الشنقيطي امام اللغة والادب في هذا العصر (رحمه الله تعالى) وباثبات الأبيات الزائدة على ما في شرح الزوزني كما وجد في نسخة الشنقيطي وبضبط الأبيات بالشكل ، وبضم معلقتين أخريين اليها احداهما للنابغة الذبياني والثانية لاعشى بكر وائل وقصيدتي النابغة الداليتين الشهيرتين اللتين يصف في احداهما المتجردة

الكمال ابن الهمام أعلم الحنفية في عصره ولم يجيء بعده مثله بل يقل وجود مثله فيمن تقدمه منهم حتى قيل انه وصل الى رتبة الاجتهاد المطلق وكتابه الفتح القدير هو امثل كتبهم المتداولة واقواها استدلالا وبحثا في الحديث وتخريجا له ولكنه لما كان بحثه واستدلاله لاجل تأييد المذهب لا لأجل بيان الحق في نفسه سواء وافق مذهبهم ام وافق غيره من المذاهب كان كثير الغلط والخطإ في الاستدلال فاذا فحص العالم المستقل ادلته التي يرجح بها مذهبهم على مذهب الشافعي وغيره يرى الكثير منها خلابة وجدلا وكتاب الاجوبة المرضية يشرح لك ذلك في مسألة سنة المغرب القبلية فان الكمال عفا الله عنه يعارض الاحاديث المتفق عليها والمروية في احد الصحيحين وغيرهما من كتب الصحاح بأثر عند ابي داود لم يرتق به الى مرتبة الصحة فيقول في ترجيحه اقوالا ينقضها ما هو مقرر في علوم الحديث والاصول حتى انك لتعد من خطإه فيه العشرات

فكتاب الاجوبة المرضية على صغره يبين لكل ذي بصيرة ان المسلمين لا يستغنون بكتب فقهاء المذاهب مهما جل مؤلفوها عن القرآن والسنة وكتب الحفاظ في الحديث وعلومه ، وانهم لا يكونون مهتدين بكلام الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الا اذا جعلوا العلم بهما مقصودا لذاته في الاهتداء لا لتأييد مذهب على مذهب

اما مؤلفه فهو الشيخ محمد جمال الدين القاسمي المنقطع في دمشق الشام للتأليف وتصحيح الكتب المفيدة والتدريس مع الاستقلال في الفهم والاخلاص في العمل والاعراض عن زينة الدنيا وما يرغب فيها علماء السوء من المال والجاه . ومع هذا كله يتهمه الحشوية والمفسدون في الارض بأنه مشتغل بتأسيس مملكة عربية ويغرون به الحكومة الدستورية كما كانوا يغرون به الحكومة الحميدية فله ان يقول:

انا في امة تداركها الله (م) غريب كصالح في ثمود

* * *

﴿ الحرية في الاسلام ﴾

ألقى الشيخ محمد الخضر أحد علماء تونس المدرسين في جامع الزيتونة الاعظم

الدستور بما كان يلقيه من الخطب في الجامع . وهو مؤلف كتاب (الاسلام روح المدنية) الذي رد فيه على (لورد كرومر) وقد كان من جرأته في الحق أن طبعه في بيروت قبيل اعلان الدستور وفيه نُقول من كلام الأستاذ الامام معزو اليه بعضها بالتصريح ونقول أخرى عن المنار (كما أشرنا الى ذلك في تقريظه) ولولا ان جاء الدستور عقب طبعه لما سلم من الخطر والبلاء من الحكومة الحميدية عدوة العلم والدين . فمجلة النبراس جديرة بتعضيد محبي الاصلاح ومساعدة النابتة الصالحة التي يرجى بنجاحها نجاح البلاد . وقيمة الاشتراك فيها ٢٥ قرشا لأهل القطر المصري وثمانية فرنكات لغيره من الاقطار ما عدا الولايات العثمانية فالقيمة لأهلها ريال مجيدي وربع

* * *

(المفيد) جريدة يومية سياسية أنشأها في بيروت صديقنا عبد الغني افندي العريسي وهو من خيرة النابتة الحرة في بيروت مهذب الاخلاق ذكي الفؤاد شديد الغيرة على الدولة والملة قوي الاخلاص لها وحسبك انه كان على حداثة سنه من اعضاء جمعية الشورى العثمانية التي أسسناها في القاهرة لمجاهدة استبداد الحكومة الحميدية وطلب الدستور . فانا لا أزكي عليه وعلى صاحب النبراس أحدا من نابتة الديار السورية في الحرية والاخلاص للدستور والرغبة في ترقية الامة بعد كهولنا المشهورين كالسيد الزهراوي ورفيق بيك العظم

وقد ظهرت مزايا جريدة المفيد لأهل الفهم في بيروت بصدعها في انتقاد الوالي قبلاً ادهم بك وغيره من رجال الحكومة ومقارعتها لأصحاب النزعات الجنسية من الترك الذين يهضمون حقوق الامة العربية وتنبيهها اهالي البلاد العربية التي انشئت بلسانهم الى ما به حياتهم ورفعة شأنهم ، من غير تقية ولا مراعاة ولا مداراة ، وهي شديدة الانتقاد حتى كادت تكون غاية متطرفة فيه كجريدة المقتبس وإن الحرية التي لا تزال طفلة في مهد البلاد العثمانية لا تكاد تستطيع حمل اثقال الغلو في انتقاد الحكام . فننصح لصديقنا ورفيقنا الجديد ان لا يخرج عن محيط الاعتدال ، وان يوجه سهام نقده دائما الى الاعمال لا الى العمال ،

ثم اذكره بان يتقي في تنبيه الأمة العربية وارشادها عصبية الجنس التي ينهى

زوج النعمان بن المنذر ، و يعتذر في الاخرى له عما بلغه من السعاية فيه . و يطلب الكتاب من دار الكتب العربية الكبرى للحاج مصطفى الحلبي واخوته بمصر

***

﴿ الوطن — أو — سلستره ﴾

هي القصة التمثيلية الشهيرة لكاتب الترك وخطيبهم وأحد زعماء الاحرار السياسيين فيهم وامام النهضة الحديثة في ترقية اللغة العثمانية وتكوينها نامق كمال بيك (رح) وهو يمثل في هذه القصة حب الوطن يغالب العشق فيغلبه ، و يصور فيها الوجدان والوجد والشعور المتغلغل في اعماق النفس ، والهوى المستتر في زوايا القلب ، حتى تكاد تكون هذه المعاني الروحية ، اشباحا مرئية ، ولكنه يسرف في ذلك أحيانا فلا يراعي فيه ما تعهد مثله الطباع وتعرف طعمه الأذواق فينتبه الذهن إلى كونه خياليا لا حقيقيا ، وقد اشتهرت هذه القصة في أوربا حتى ترجمت باللغات الفرنسية والألمانية والروسية ، ولكنها كانت محجورا عليها في عهد الحكومة الحميدية ، كسائر آثار مؤلفها ، وجميع ما ينبه الأذهان من أمثالها ، حتى إذا ما جاء الدستور ، فأباح ما حرمه الاستبداد من الآداب والعلوم ، بادر الاحرار العثمانيون إلى تمثيل هذه القصة بالتركية ، ثم مثلت في بيروت بعد ترجمتها بالعربية ، ترجمها بالعربية الشيخ محي الدين الخياط وأجدر بمثله ان يحسن ترجمة مثلها ، ويجعل فرعها وارثاً لمحاسن أصلها ، وقد أودعها بعض الأناشيد والقصائد من نظمه فزاد ذلك في معناها وحجمها ، وطبعها سليم افندي هاشم وكمال افندي بكداش وهي تطلب من المكتبة الاهلية ببيروت ومكتبتي هندية والمليجي بمصر

* * *

﴿ المجلات والجرائد ﴾

(النبراس) مجلة أنشأها في بيروت صديقنا الشيخ مصطفى الغلاييني وهي تبحث في المسائل الأدبية والسياسية وغير ذلك ومشربها دستوري إصلاحي . ومنشئها من تلاميذ الأستاذ الإمام كان على عهده مجاورا في الأزهر يواظب على دروسه وهو ممتلئ غيرة و إخلاصا وقد اشتهر إسمه في بيروت في اثناء اعلان

باب الأخبار والآراء

﴿ الديار السورية ، في عهد الحكومة الدستورية ﴾

بيروت

جعل ناظم باشا الشهير واليا على بيروت بعيد طلوع فجر الدستور وكانت الولاية لاتزال سكرى بخمرة الانقلاب ، وأهلها من احتقار الحكومة والافتيات عليها في هياج واضطراب ، فكانت سياسته فيها كسياسته في عهد الاستبداد : سياسة مداراة للأهالي حتى كان نفوذ كثير من البحارة والحمالين (الشيالين) في بيروت أقوى من نفوذه ، وجوارهم أعز من جواره ، بل ظهر للناس كافة انه أحوج الى حمايتهم منهم الى حمايته ، وقد وافينا بيروت في تلك الاثناء ورأينا منه هذا الضعف ، فتلطفنا في الاشارة اليه بالنصح ، مبينين له ان الاهالي مهما ظهر من اعتصابهم ، واعتصامهم فيما ليس من شأنهم ، لايقفون في وجه الحكومة اذا اخذت بالحزم ، وعنيت بما هو أول واجب عليها من حفظ الامن ، بل قلنا له ان الوالي يجب ان يكون في مثل هذا الطور الذي نحن فيه منفذا للدستور بضرب من الاستقلال يشبه الاستبداد حتى يكون الاهالي معه كمن وردفيهم انهم يقادون الى الجنة بالسلاسل أي يلزمون الاعمال التي تقودهم اليها إلزاما لامحيص عنه . وقد أشرنا الى هذا فيما كتبناه عن رحلتنا في مجلد السنة الماضية

ولكن هذا النصح لم يؤثر في نفس الوالي لأنه جرى في المداراة على ماتعوّد ولأنه كسائر كبار الحكام قد شعر بثقل مسوءلية الدستور من حيث شعر أكثر الاهالي بضد ذلك وظنوا ان الحكومة لم يبق لها عليهم من سيطرة ولا قوة فكان حفظ الامن وإضاعته في بيروت في يد عصائب أولي القوة من عامة الاهالي الذين يطلق عليهم لفظ (الابضايات) ونحمد الله ان كانت حكومتهم على مافيها من الخطر حافظة للامن العام

ثم نقل ناظم باشا الى دمشق الشام بعد اخراج شكري باشا منها - وسيجيء ذكره - وبقي فيها الى الشهر المنصرم فأعيد الى بيروت وعسى ان تكون حاله فيها خيرا من حاله السابقة في بيروت ومن حاله في الشام وسنشير اليها

عنها الاسلام ، وتنافي مصلحة الدولة في هذه الأيام ، وان نبث بثرها بعض الاغرار من الترك والاشرار من سائر الاقوام ، بل يجب إحياء اللغة العربية لانها لغة الدين الاسلامي الذي لا يفهم حق الفهم الا بها ، واللغة المشتركة بين جميع المسلمين على اختلاف اجناسهم ، لا لغة العنصر العربي وحده ، ولتكن دعوتنا الى إحيائها ونقل جميع العلوم العصرية اليها ، كدعوة علماء الاسلام وانصاره من الترك الذين نرى من نفثات اقلامهم في جرائدهم ومجلاتهم ما لم نر لجرائدنا ومجلاتنا خيرا منه في الحث على احياء هذه اللغة الشريفة ، فارجع الى مجلة « صراط مستقيم » تجدها في ذلك على هدى وعلى صراط مستقيم

ولا أنهى صاحب « المفيد » عن الوقوف بالمرصاد لمن يزل عن هذا الصراط من الترك وغيرهم فيعزز جنسيته ، وهو جاهل بأنه يضر بذلك قومه ودولته ، بل عليه ان يتتبع عوارهم ، و يقلم أظفارهم ، ويترجم مايكتبون في ذلك ويحذرهم من مغبته ، و إغرائه كل عنصر بتعزيز عصبيته ،

وقيمة الاشتراك فيها اربعة ريالات في بيروت وليرة عثمانية في سائر الجهات

* * *

(الرقيب) جريدة تصدر في بغداد مرتين في كل أسبوع وتكتب بالعربية والتركية صاحبها ومديرها عبداللطيف افندي ثنيان (وكيل مجلة المنار) ويعجبنا منها ان أكثر مايكتب فيها هو في انتقاد ماينتقد على حكومة بغداد وعلى أهلها ومطالبة الفريقين بما يجب على كل منهما من الاصلاح . وفي يدنا الآن العدد ٥٠ منها الذي صدر في ٨ رمضان وهو مفتتح بترجمة ما كتبه النادي العسكري في بغداد للصدارة ونظارتي الحربية والداخلية عن الاختلاف واضمحلال الفيلق السادس . وسننشره في باب الاخبار . ويليه نقل ماروي عن طلعت بك ناظر الداخلية الجديد من اهتمامه بأمر الامن وراحة الاهالي وكتابته الى الولاة بذلك . والتعقيب على هذا الخبر بعدم ظهور اثر ولا ذكر له في ولاية بغداد ، والعدد كله على هذا المنهاج . قيمة الاشتراك فيها مدة سنة يصدر فيها مئة عدد ٣٠ قرشا لاهل بغداد و٣٥ لسائر الولايات العثمانية و٧ روبيات لاهل خليج فارس والهند و ١١ فرنكا لسائر الممالك

دمشق الشام

كان والي الشام عند اعلان الدستور شكري باشا ولعله أضعف ولاة الدولة عقلا وفهما، وأسوأهم ادارة وأقلهم حزما ، ناهيك بسوء تصرفه في حادثة آخر رمضان من العام الماضي فقد كان فيها آلة في ايدي اعداء الدستور ومثيري الفتنة ابتغاء قلب الحكومة الدستورية ، وإعادة العبودية الحميدية ، وقد اشرنا الى ذلك في سياق رحلتنا السورية في منار العام الماضي فلا نعيده وقد عزل بتلك الحادثة شر عزلة

ثم ولي الشام من بعده ناظم باشا فلم يأت فيها باصلاح جديد بل انتشرت في دمشق على عهده جمعية (ولقان) الافسادية ، التي أطلقوا عليها اسم «الجمعية المحمدية» تمويها وخداعا لعوام المسلمين . نشرها مثيرو فتنة آخر رمضان كالشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ صالح التونسي واعوانهما من الوجهاء ، ولو لم يصطلم محمود شوكت باشا بجيش الحرية تلك الفتنة في الاستانة بتلك السرعة التي أدهشت العالم لظهرت الفتنة في دمشق الشام في أقبح مظاهرها ولقام عشرات الألوف الذين دخلوا جمعية الافساد ينادون بابطال الدستور واعادة السلطة الحميدية ، باسم الشريعة المحمدية ، على حين لم يخذل الاسلام سلطان من السلاطين كما خذله وأضعفه السلطان عبد الحميد لاسقى الله عهده ، ولا أرى المسلمين مثله بعده

حادثة رمضان الماضي في دمشق

أشرنا في الجزء الماضي الى هذه الحادثة المشئومة وقد ظهرت بوادرها في آخر مدة ناظم باشا وشاع ان له يدا فيها وان ضلعه مع الفاتنين الذين أثاروها ولهذه الاشاعة سئل عن ذلك في بيروت فأنكره وقال انه دافع عن كرد علي لما اتهم أولا بمشايعة جمعية (ولقان) وكتب الى الاستانة ان كان كرد علي ارتجاعيا فانا ارتجاعي فكيف يتهمه بعد هذه الشهادة بالارتجاع ، وشاع أيضا ان حسين عوني بك مدير المعارف بالشام قد مهد لهذه الفتنة في الاستانة تمهيدا قربها به من تصور الحكومة ، وان السبب في ذلك حملات المقتبس الشديدة في الانتقاد عليه و بيان ما في ادارته من الخلل والتقصير .

و يغلب على ظني انه لو بقي ناظم باشا في الشام لتلافى الفتنة ولأنقذ من مخالبها مثل الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال القاسمي وعبد الرحمن بك اليوسف

ثم ولي ولاية بيروت أدهم بيك وهو رجل قلم وفكر ، لارجل ادارة وعمل ، بارد المزاج لايبالي ان يعرف حال البلاد وأهلها ، ولا يهمه ماوقع فيها وانما يرى كل الواجب عليه ان ينظر في الاوراق التي تلقى اليه ، فيوقع عليها التوقيع الرسمي الذي كان يتعلمه ، اذلم يكن من قبلُ يعلمه ، وقد بينا في المنار من قبل اننا نصحناله بأن يعيد نفوذ الحكومة الى نصابه ، ويوقف افتيات عصائب العوام عند حده ، و يعنى بحفظ الامن والحرية الشخصية ، وانه أجابنا بأن هذا لايمكن ولا يتيسر الا بعد أن تصلح حكومة الاستانة نظام الشرطة والشحنة (الضابطة والبوليس) وتنفذه في جميع الولايات ، ولم يكن يعقل معني قولنا ان ذلك في استطاعة كل حا كم وانه لايفتقر فيه الى إصلاح القوانين ولا تجديد النظام وإنما يحتاج فيه الى الحزم ومعرفة حال الاهالي ونفوذ الحا كم الحا زم . و بينا أيضا اننا نصحنا بمثل ذلك لمتصرف طرابلس جواد بيك وانه كان يجيبنا بمثل ماأجابنا أدهم بيك الوالي لان كلا منهما من أصحاب النظر لا من أصحاب العمل ولكن المتصرف كان يحيل على الوالي كما يحيل الوالي على الاستانة

ظهر بعد ذلك صدق ماقلناه لهما أولهم فقد ولي قيادة الشرطة ببيروت أمير الألاي نجيب بيك ففل عصائب المفتاتين ومنع حمل السلاح وما كان من إطلاق الرصاص في الليل والنهار وقبض على من لم يفر و يغادر البلاد من المحكوم عليهم وأرهب جميع الاشقياء فعرف الاهالي مالم يكونوا يعرفون من سطوة الحكومة واحترامها ، وكان خير عون له على هذا نافذ بيك رئيس الشحنة (مدير البوليس)

وولي متصرفية طرابلس الامير أمين ارسلان فعني في أول الامر بحفظ الامن فتيسر له مع سوء حال الشرطة والشحنة ما كان يراه سلفه متعسرا بل مستحيلا من منع إطلاق الرصاص والظهور بحمل السلاح وارهاب الاشقياء والقبض على كثير من المحكوم عليهم منهم وإلقائهم في السجون ، ثم فترت همته في آخر العهد وقيل انه صار يقبل شفاعة بعض الوجهاء أ والمنتسبين الى بعض الجمعيات ولعله لايدري انهم انصار الاشقياء وأعوان السفهاء وشركاء اللصوص وسالبي الامن . وقد انتخب مبعوثا عن متصرفية اللاذقية وولي مكانه آخر . فهل يعتبر الولاة والمتصرفون و روءساء الشرطة والشحنة في سائر البلاد بفعل نجيب ونافذ وأمين في حفظ الامن واحترام الحكومة؟